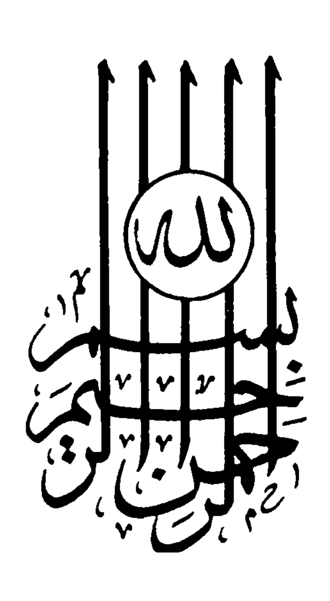
محمد بن ناصر العبودي



وحديث عن ماضي المسلمين وحاضرهم

الطبعة الأولى
١٤١٢هـ - ١٩٩١م





مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الأمين نبينا محمد وعلى آله وأصحابه اجمعين

أما بعد: فإن كشمير جزء غال من الوطن الإسلامى الكبير اعتدى عليه المعتدون فألحقوه بالقوة بدولتهم الواسعة وعجز المسلمون أو تعاجزوا عن إنقاذه منهم ومع ذلك فإن تلك القوة الغالبة عندما انتزعت الوطن الكشميري ظنت أنها ابتلعته ولكن الواقع أنها لم تستطع أن تنزع الإسلام من قلوب أبنائه بل لم تستطع ان تقتلع الشعور بالتميز الاسلامي عن بقية البلاد الكفرية من عواطف أهله.

فبقيت حاله الآن أهله مع المسلمين والمسلمون معهم فى العواطف والانفعالات من آلام وآمال، ومقاليد أمره من سياسية واقتصادية مع دولة الهند التى تريد أن تقربه من أهل الضلال لأنها تريد له الذوبان والاضمحلال فى المآل.

(يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون).

وإلى أن يقضى الله فيه من أمره بما يشاء فانه لابد لنا نحن المسلمين من توثيق الصلات بالإخوة المسلمين من أهل كشمير، ولابد قبل ذلك أو مع ذلك من توفير المعلومات الكافية عن أهل هذه البلاد لناشئة المسلمين والمهتمين بأمورهم على مختلف أقطارهم وأمصارهم.

فلذلك وانطلاقاً مما ذكرت حرصت على زيارة كشمير فكان ذلك مرتين أولاهما: كانت زيارة خاصة مبعثها الرغبة فى الزيارة وحدها لأنها المرة الأولى، وذلك بأننى كنت فى مدينة (بتنة) عاصمة ولاية بيهار الهندية أحضر مؤتمراً أو مهرجاناً كانت تقيمه الجامعة السلفية الإصلاحية هناك.

وعندما انقضى المؤتمر وجدت لدي فسحة من الوقت لزيارة ولايتين هامتين من ولايات الهند إحداهما: ولاية (اترابرديش) التى تعنى الولاية الشمالية وعاصمتها هي

مدينة (لكنو) والقصد الاعظم من زيارتها هو السلام على صديقنا الحميم العلامة السيد ابى الحسن الندوي، الأمين العام لندوة العلماء الذي يقيم في دار العلوم ـ ندوة العلماء في تلك المدينة ـ وكانت تلك الزيارة في عام ١٣٩٩هـ.

والأخرى كانت زيارة (سرنقر) عاصمة ولاية كشمير ومن ثم زيارة منطقة جبلية في تلك الولاية.

وكانت هذه هي المرة الأولى التي زرت فيها (كشمير).

أما المرة الثانية فكانت بعد أن اطلعت على أحوال المسلمين في كشمير فرأيت أنها متدنية في ميدان الثقافة الإسلامية، بل خيل إلى أنها منسية أو شبيهة بالمنسية من الجهات التي تعمل في المملكة العربية السعودية، والتي يكون عطاؤها السخى في بعض الاحيان لأي بلد بقدر ما يتوافر عنه من معلومات، ومايتقدم به أهله من طلبات فكتبت تقريرًا بذلك.

ثم تقدمت طائفة من أهل كشمير ممثلة في الجماعة الإسلامية هناك بالتماس إلى السفارة السعودية في الهند يتضمن طلب العون والمساعدة على الشئون الاسلامية من تعمير المساجد، وتشييد المدارس وتقديم المنح الدراسية ... إلخ.

فصدر أمر رئاسة مجلس الوزراء إلى رابطة العالم الإسلامى في مكة المكرمة بأن ترسل الرابطة وفداً أو شخصًا لهذا الغرض فطلبت مني رابطة العالم الإسلامى أن أتولى ذلك على اعتبار أنني سبقت لي رؤية كشمير وحصل عندي شيء من المعلومات عن أحوال المسلمين فيها فرحبت بذلك، ولكن حالت مشاغل دون التحرك إلى كشمير امتد زمانها إلى عام أو يزيد.

حتى لم أجد فسحة من الوقت إلا في وقت عطلة عيد الفطر المبارك من عام ١٤٠١هـ فسافرت إلى كشمير فى أواخر شهر رمضان وقضيت عطلة العيد فى عمل هناك.

وقد سجلت خلال زيارتي هاتين مذكرات يومية على عادتى فى مثل هذه الأحوال، ألفت هذا الكتاب الذي أسميته **(سياحة في كشمير)** والسياحة لمثلي

تكون عملاً لأنها تتناول الاطلاع على الأماكن الإسلامية، وتتحدث عن أهلها المسلمين.

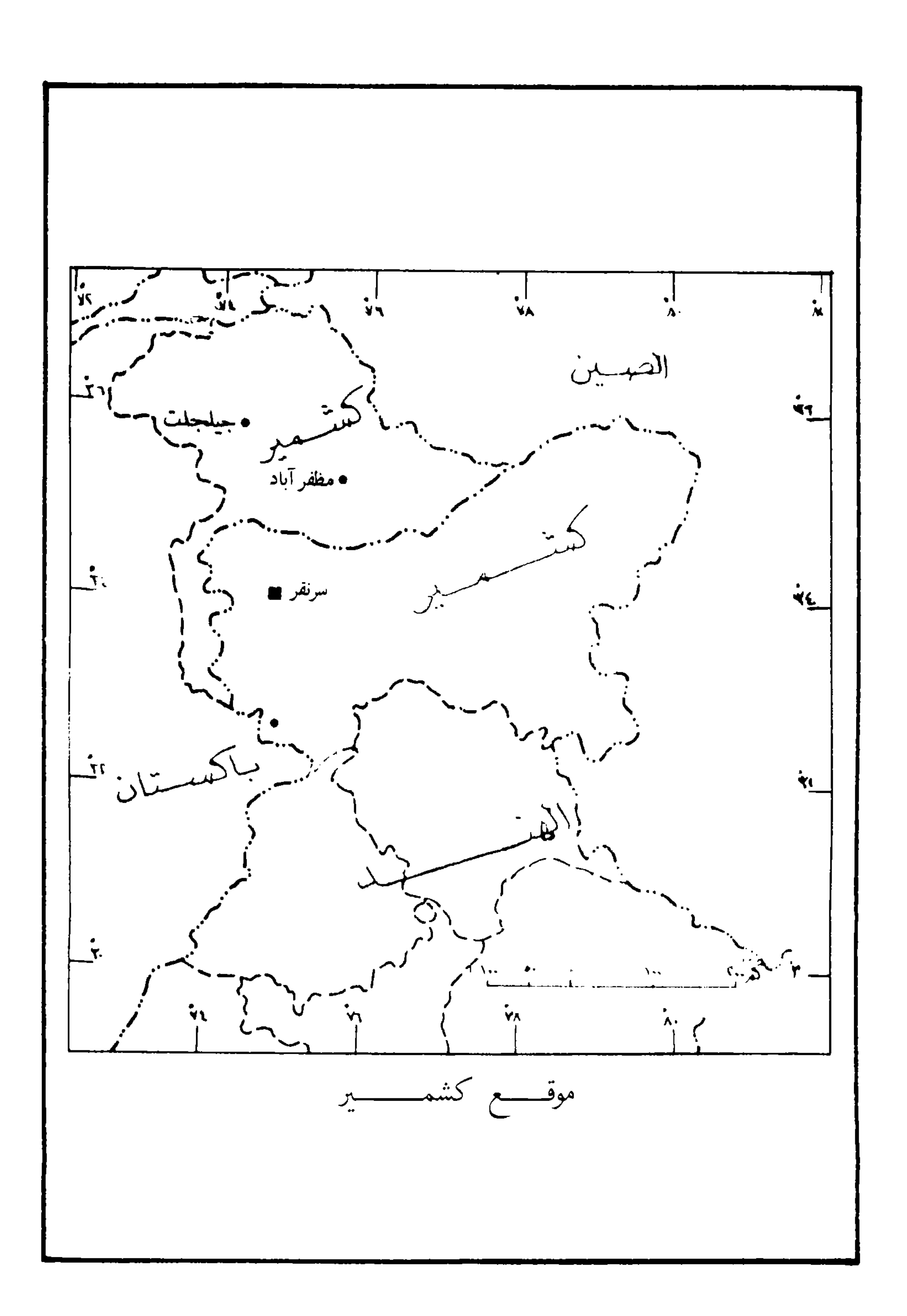
ثم تقتضي متابعة ذلك في الأوراق الرسمية ومحاولة العمل على مساعدتهم. أما عند بعض الناس فإنه قد يكون لكلمة السياحة مدلول آخر، و(**كل ميسر لما خلق له**) والله أعلم بالقصد.

الرياض : ١٥ المحرم ١٤٠٣هـ

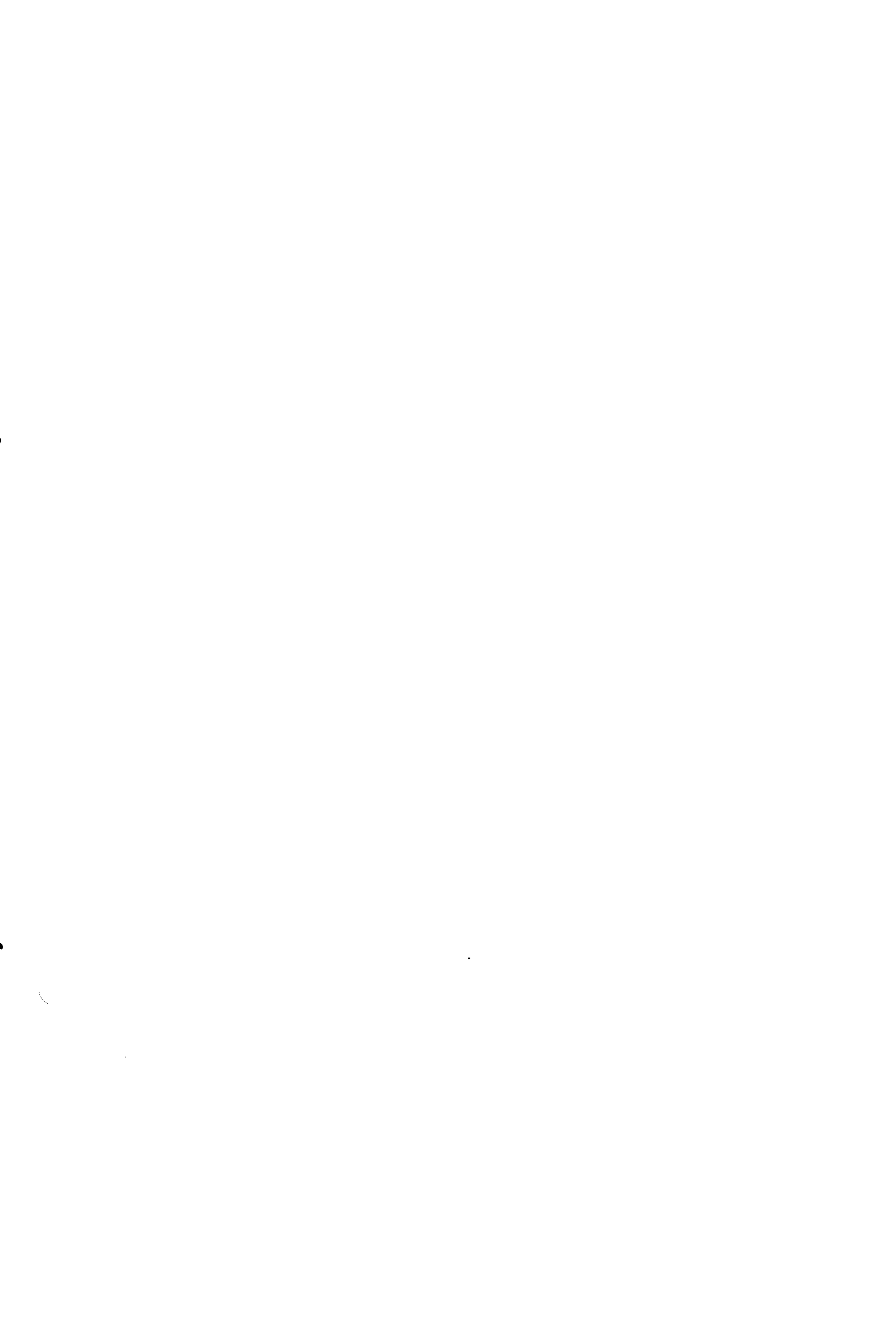
المؤلف

محمد بن ناصر العبودى

الأمين العام للدعــوة الإسلامية



موقع كشمير



بين يدي السياحـــــــــــة

قبل أن نقص عليك قصة السياحة في كشمير لابد أن نقص عليك شيئاً من قصة كشمير نفسها في هذه المعلومات الضرورية عن المشكلة السياسية المستعصية في كشمير، وإن كان الذي جعلها مستعصية هو ضعف المسلمين وتهاونهم في عدم تعاونهم وهو أيضاً تضامن أعداء المسلمين من الهندوكيين في تكالبهم على ابتلاع هذا القطر الإسلامي العزيز ثم باستمراء أكله وابتلاعه حيث لم توجد جهود إسلامية عالمية موحدة تدعمها جهود إسلامية محلية تعتمد الجهاد في سبيل الله سبيلاً للخلاص من الضيم ثم طريقاً للحصول على العزة والكرامة.

مع تذكيرك رعاك الله ــ بأن هذا الكتاب هو كتاب رحلة ومشاهدات وليس كتاب بحث دقيق يذكر المصادر والمراجع أو يؤرخ للأحداث والوقائع فيعللها و يدلل بها أو عليها.

أي كشمير نريد؟

هذا الكتاب يتحدث عن كشمير، هكذا بالإطلاق وكثير من القراء يعرفون أن هناك (كشميرتين) اثنتين أو إن شئت قلت: إن كشمير في الوقت الحاضر قسمان أحدهما منفصل عن الآخر فأي كشمير نعني؟

والجواب على ذلك يكمن في دراسة قضية كشمير، ونحن في هذا الفصل لن نسوق الدراسة عن كشمير لكى نبين مرادنا في هذه الكلمة لأن الأمر أسهل من أن يستحق ذلك.

كانت كشمير قبل الاستعمار الانجليزي إقليماً من أقاليم الإمبراطورية المغولية المسلمة، وفي عهد الاستعمار الإنجليزى كانت إقليماً مستقلاً اداريًّا بذاته لايتبع أى إقليم آخر في القارة الهندية إلا التبعية للاستعمار الإنجليزي الذي كان شاملاً على الهند، وكانت كشمير قبل الامبراطورية المغولية مملكة مستقلة بذاتها يحكمها حكام مسلمون معروفون للتاريخ وعند استقلال الهند و باكستان في عام ١٩٤٧م وتقسيم

القارة الهندية بينهما على حسب الحجم في السكان والأكثرية من حيث الديانة كانت كشمير ولاية أشبه بدولة مستقلة عنهما فطالبت بها باكستان على اعتبار أن أغلبية سكانها يدينون بالإسلام الذي قامت دولة باكستان من أجله وقسمت القارة الهندية على أساسه، ولكن الهند ادعت أنها لها على اعتبار أن حاكمها او ملكها هو ملك هندوكي وأنه طلب التدخل الهندي في البلاد وذلك بعد أن شعر بأن القبائل الكشميرية وأفراد الشعب سينتصرون على جيشه وقد فعل ذلك بدون الرجوع إلى رأي الشعب الذي لايرضى بأكثريته الساحقه، الانضمام إلى الهند، لأنه كان ولايزال شعباً مسلماً.

ومما يجدر ذكره أن حاكم كشمير هذا اسمه (هرى سنغ) ينحدر من اسرة سيخية متعصبة مشهورة بعدائها للمسلمين، وإن رأس هذه الأسرة في كشمير قد بقى فيها برضا الإنجليز.

ثم وصل النزاع إلى الأمم المتحدة إلا أن الهند سارعت باحتلال أكثر إقليم كشمير في عام ١٩٤٨م بعد أن مهدت لذلك بالكيد والدس مع حاكمها الهندوكي منذ إستقلالها عن بريطانيا عام ١٩٤٧م.

وضمتها إليها بالقوة ضاربة عرض الحائط بالأعراف الدولية وبمبدأ تقرير المصير الذي قررته الأمم المتحدة بعد ذلك في عدة قرارات تقضي بإجراء استفتاء في كشمير يقرر فيه السكان مصيرهم بالانضمام إلى الهند أو باكستان.

غير أن طائفة من رجال القبائل الأشداء من المسلمين كانوا قد سارعوا إلى مقاومة الضم قبل التدخل الهندي وامتشقوا الحسام بأسلحتهم القليلة ووسائلهم الضعيفة وانضم إليهم الجيش الباكستاني حتى أمكن أن يحرروا ٣٥٪ من أرض كشمير وأسموها (آزاد كشمير) أي كشمير الحرة وانضمت إلى باكستان حيث استقر بها الجيش الباكستاني المسلم ثم أصبحت ذات استقلال ذاتي وحكومة محلية كما هو عليه الحال فى باقى ولايات باكستان.

إذاً كشمير الحرة المنضمة الآن إلى باكستان شيء وكشمير المحتلة التي استولى عليها كفار الهنود بقوة السلاح شيء آخر، وهي الجزء الأكبر من كشمير.

ونحن نتحدث عن هذا الجزء الأكبر من كشمير الواقع تحت الاحتلال الهندي فهو الذي يعاني احتلالاً عسكريًّا صارماً، ويعاني احتلالاً ثقافيًّا أشد أثراً في كثير من الأحيان على ناشئة المسلمين من الاحتلال العسكري.

وقد وضعت الهند عليه قيوداً ثقيلة تحد من دخول المسلمين إليه وتمنع وصول المعونات الصريحة إليه من العالم الإسلامي.

حتى أصبحت المعلومات الحديثة عنه قليلة بل شحيحة بل وأصبح الوضع فيه في بعض الأحيان تشوبه الأساطير.

وهذا ماجعلني أكتب هذه الكلمات التي ألفت هذا الكتاب قياماً بواجب الأمانة في الإبلاغ وحرصاً على تقوية أواصر الأخوة بين المسلمين عن طريق نشر المعلومات وإيضاح الأحوال مهما كانت العقبات.

هذا وقد اصبحت كشمير (الهندية) مع جزء يسمى (جامو) مجاور لها ولاية واحدة باسم (جامو وكشمير) والفرق بينهما أن أغلبية السكان في (جامو) وهي الجزء الأقل سكاناً هم من الهنادك على حين أن اغلبية السكان في كشمير هم من المسلمين والأغلبية في الولاية التي تضم (جامو وكشمير) هي للمسلمين إذ تبلغ نسبتهم فيها حوالي ٧٥٪.

عند العرب القدماء:

عرف إسلافنا العرب (كشمير) كما عرفوا غيرها من البلدان القصية وبعد المعرفة كان التعريف فسجلوا عنها كما سجلوا عن غيرها من بلاد الله معلومات قيمة في تلك العصور القديمة التي كان فيها الحصول على المعلومات عن البلاد البعيدة عسيراً شاقاً لاوسيلة له إلا البحث المباشر بالسفر الذي هو قطعة من العذاب، بل إن العذاب هو قطعة من السفر كما قال احد ظرفائهم بحق.

وقبل أن تضعف همم المتأخرين من العرب كان أسلافهم قد دونوا نتفاً من المعلومات عن كشمير، وكانت في ذلك الوقت ركناً من أركان العالم الغامض المحتمي في وديان جبال الهملايا الشاهقة، خلف ستار أوسُتر كثيرة من الشتاء القارص الثالج

إلى الوديان العميقة، والقمم المنيعة وستار آخر هو ستار ثقافى فأهلها آنذاك كانوا على الدين الهندوكي السائد في الهند في القديم ولم يكن أهل كشمير قد اهتدوا إلى الدين الإسلامي الحنيف بعد.

وهذا له أثره الكبير في عدم قصد الحج إلى بيت الله الحرام الذي من حكمه وأسراره التعارف بين المسلمين كما أن من أثره أنه لم يكن هناك من يقصد البلدان العربية من أهل كشمير للتفقه بالدين ومن ثم الاختلاط بعلماء المسلمين فضلاً عن سفر المسلمين إلى تلك البلاد والاختلاط بأهلها من أجل تعليمهم وتثقيفهم لذلك جاء كلام البلدانيين من العرب الأقدمين عن الكشميريين كما كان يجيء كلامهم عن الأقوام الغريبة عن الدين ولذلك ـــ أيضاً ـــ تكلموا عن أهل كشمير كما كانوا يتكلمون عن كثير من الأقطار الأجنبية غير المسلمين.

وكما قلنا قبل قليل إن هذا الكتاب ليس كتاب بحث علمي ولكنه كتاب مشاهدات وتعليقات على تلك المشاهدات فإننا سنقتصر على مصدر كبير واحد من مصادرنا، بل هو الأكبر لأسلافنا في البلدانيات وهو (معجم البلدان) لياقوت الحموي ـــ رحمه الله.

لقد ذكر ياقوت كشمير كما ذكرها من سبقه من علماء العرب بلفظ (قشمير) بالقاف بدلاً من الكاف التي يلفظ بها اسمها اليوم مما حملني أول الأمر على أن أظن بأن الكاف عند ياقوت هي القاف المضرية ـــ بالضاء المنقوطة ـــ التي هي الجيم المصرية ـــ بالصاد المهملة ـــ كما تعرف اليوم وان ياقوت ومن سبقه من البلدانيين والكتاب عن البلدان البعيدة قد كتبوها قافاً لأنها قريبة من مخرج القاف، وأن المتأخرين لجهلهم برسم هذا الاسم في كتب السلف الصالح قد كتبوها كافاً لأن هذه (القاف) المضرية أو الجيم المصرية كما يعرفها الناس اليوم كانت تكتب (كافاً) في بعض الكتب وإن كان بعض المتأخرين يكتبها (كافاً) ولكنه يضع فوقها علامة المد المعترضة حتى يميز بذلك بينها و بين الكاف العربية الصريحة.

غير أنني عندما زرت كشمير وجدت أهلها ينطقون باسمها كما يدل عليه رسمها (كشمير) بكاف عربية أصيلة.

وبعد الحديث عن الاسم يطيب الحديث عن المسمى عند أسلافنا العرب.

نوه ياقوت بجمال نساء كشمير وعلل ذلك بقوله:

إنها مجاورة لقوم من الترك فاختلط نسلهم بهم فهم أحسن خلق الله خليقة يضرب بنسائهم المثل، لهن قامات تامة، وصور سويّة، وشعور على غاية السباطة والطول والغلظ.

ثم نقل عن أحد الرحالين من أسلافنا القادمين وهو مسعر بن مهلهل الذي كان قد تحدث عن زيارة له إلى الصين قال:

وخرجنا من جاجُلّي إلى مدينة يقال لها (قشمير) كبيرة عظيمة لها سور وخندق محكمان تكون مثل نصف (سندابل) مدينة الصين، وملكها أكبر من ملك (كله) وأتم طاعة. ولهم أعياد فى رءوس الأهلة، وفي نزول النَّيِّرين شرفهما ولهم رصد كبير في بيت معمول من الحديد الصينى لايعمل فيه الزمان، ويعظمون الثريا، وأكلهم البر ويأكلون المليح من السمك، ولايأكلون البيض ولايذبحون.

قال : وسرت منها الى (كابل).

وقد ذكرها بعض الشعراء فقال:

وجَوَّلْتُ الهنود وأرض بَلْخ و(قَشْميرًا) وأ دْنتني الكُمَيْت

هذا ماذكره ياقوت وهو نص هام لايقلل من أهميته إلا كون المدينتين اللتين مثّل بهما لمدينة كشمير التي لاشك في أن المراد بها عاصمة كشمير آنذاك غير معروفتين لنا وهما (سندابل) وكله الاَّ أن ذكره لمثل مآكلهم دلنا على أنهم في ذلك الزمان كانوا على دين الهندوكيين لأنهم هم الذين لايأكلون البيض واللحوم وهو ماعبر عنه قوله ولايذبحون، إلا أن قوله: إنهم يأكلون المليح من السمك الذي يريد به المملح من السمك يدل على أنهم غير متعصبين للمذهب الهندوكي أو أنهم كانوا يعتنقون مذهباً قد يبيح أكل السمك لأن الهندوكيين الورعين في دينهم في الهند ونيبال في الوقت الحاضر لايأكلون السمك، وإن كنت قد رأيت الهندوكيين في جزيرة (بالي) في

إندونيسيا التي أكثر أهلها منهم والمسلمون فيها أقلية في العدد يأكلون لحم نوع صغير من الخنازير.

والبيت الذي أورده ياقوت يدل على قربها من موضعين وإن كان القرب هذا يدل على البعد لأن الشاعر أراد أن يبين أنه قد وصل إلى أماكن بعيدة متنائية وهي الهند إلى الجنوب الشرقي من كشمير وأراضي بلخ إلى الشمال الغربي وهي في أرض أفغانستان في الوقت الحاضر.

ومما ينبغي أن نتذكره أن ياقوتاً، رحمه الله، قد كتب كتابه (معجم البلدان) في أوائل القرن السابع الهجري أي قبل أن يهتدي أهالي كشمير إلى الاسلام بحوالي قرن ونصف من الزمان طبقاً لما سيأتي الحديث عنه في فصل (دخول الإسلام إلى كشمير).

موقع كشمير

تقع كشمير في موقع ممتاز من جبال الهملايا فهي على أقدام تلك الجبال أو لنقل إنها في جبال متصلة بجبال الهملايا الشاهقة، ولذلك تأتي الأمطار الغزيرة التي تنطلق من جبال الهملايا ومن الثلوج العظيمة التي تجلل أكتافها وهاماتها فتمر بكشمير أنهاراً تحمل الخصب والنماء، ومن كشمير تنطلق تلك الأنهار لتروى الهند وباكستان.

وهذا ماجعل مطامع الهنود تتجه اليها ولاتتعداها كما ذكرنا ذلك في فصل القضية الكشميرية وموقعها في الشمال الغربى من شبه القارة الهندية التي تشمل في الاصطلاح الهند وباكستان ونيبال وبنغلاديش ومملكة بوتان الصغيرة وتحدها الصين من الناحيتين الشمالية والشرقية كما تحدها باكستان من الناحيتين الشمالية والغربية فهناك إلى الشمال من كشمير تلتقى حدود الصين بباكستان أما الحد الجنوبي لكشمير فإنه مشترك مع الهند.

وموقعها الشمالي العالي هذا جعلها موقعا جميلاً بل رائعاً وجعلها أرضاً خصبة لأنه على علوه خصب جميل المناظر بهي الوديان أخضر الجبال كثير الزهور والحور فلذلك

أسموه الجنة الصغيرة وتقع مابين خطى ٣٢ و ٣٨ شمال خط الاستواء. ولسموق جبالها وعلو هاماتها التي لم تنحن إلا للثلوج أسموها (قبة العالم).

وهو إلى ذلك كثير الثمار متنوع المزارع، و يكفي أن نذكر مثلاً على ذلك وهو أنك في الصيف ترى حقول الأرز الذي هو من نبات البلاد الدفيئة إلى جانبه أشجار التفاح التي هي من أشجار البلاد الباردة.

السكان:

جملة السكان ٥و٨ مليون نسمة يعيش ٥و٢ مليون منهم على الجانب الباكستانى من كشمير، و يبقى الستة ملايين الاخرى على الجانب الذي تحتله الهند من جامو وكشمير وهذا الجانب من كشمير يشمل اراضى جامو ووادي كشمير ولداخ. أما وادي كشمير الذي يسمى «قبة الأرض» و يرتفع من ١٥٨٥ إلى ٢٧٨٣٠ مترًا فهو سمي بذلك لموقعه الحالي حيث يرى الإنسان فيه مالا يمكن تصديقه من مناظر خلابة وفي النزهة سيرًا على الاقدام أو على ظهور البغال وسط هذه الجبال والمناطق الخضراء يكشف لك جمال كشمير الخلاب.

هل الكشمير يون هنود؟

إنك إذا تأملت الناس في كشمير قد تقتنع مثلي بأن أهل كشمير ليسوا هنوداً فلا تجمعهم بأهل الهند جامعة مما تجمع بين الشعوب، فهم يخالفون أهل الهند في الألوان ويخالفونهم في طبيعة البلاد وفي جوها إذ أهل الهند سمر تبلغ ببعضهم السمرة إلى حد السواد كما في أهالي مدراس وماحولها و بلادهم حارة سهلة. وأهالي هذه البلاد الكشمير يين بيض يبلغ ببعضهم البياض إلى أن يشبهوا الشامين أو الأتراك الجنوبيين في اللون أما التقاطيع فإنهم بأهالي شمال إفر يقية من العرب القر يبين من البحر مثل سكان قسنطينة ووهران في الجزائر أشبه منهم بالهنود.

و بلادهم باردة فى اكثر السنة بل ذات ثلوج فوق جبالها أغلب أشهر السنة على ان اللون وطبيعة الأرض لاتكون مانعاً من الاتحاد بين بعض الشعوب لأنها موجودة فى أماكن أخرى ولم تستطع ان تكون كذلك وان كان ذلك على قلة.

وإنما الأهم من ذلك فى عوامل الاتحاد والانشقاق هي المشاعر فالتاريخ المشترك والثقافة الموحدة التي من أهم العوامل فيها الدين واللغة ليست موجودة بين أهل عامة الهند وأهل كشمير فدين الكشميريين هو الإسلام آخر الآديان السماوية ودين الاكثرية من أهل الهند هو الهندوكية التي هى من اقدم الديانات وأكثرها وثنية.

ولغة أهل هذه البلاد هى الكشميرية المحلية مع الاوردية التي هى لغة المسلمين في الهند ولكن أهل الهند من الهنادك قد احيوا اللغة الهندية التي تعتمد على الثقافة الهندوكية وحاربوا — ولايزالون يحاربون — اللغة الأوردية التي كانت تصل الهند بالثقافة الإسلامية وقد نجحوا في محاربتهم فتقهقرت اللغة الأوردية ومازالت تتقهقر فإذا تم نهائيًا تغلب اللغة الهندية على الاوردية فإن الكشميريين يرون ان اللغة الهندية هذه لاتربطهم بها رابطة ولاتصلهم بثقافتها صلة بل هى مناقضة للثقافة الإسلامية الأوردية.

ولذلك يبقى العامل الأهم من عوامل الاتحاد عند وجوده ومن عوامل الانشقاق عنه فقده وهو عامل الآمال والآلام وهو هنا مفقود فيما بين الهنود والكشميريين تماماً.

إذ آمال الكشميريين أن يعز الله الإسلام والمسلمين ومنهم الباكستانيون وآمال الهنود والهندوكيين عكس ذلك، وآلام الكشميريين هى آلام الأمة الإسلامية كلها وهى لاتؤلم الهندوكيين بل هى قد تفرحهم.

إذاً : اية رابطة تربط بين الكشميريين والهنادك؟

والجواب : انه لاتوجد رابطة واحدة إلا رابطة القوة عند الهنود والضعف أو العجز عن مقاومة هذه القوة عند الكشميريين ان صح ان هذه رابطة!

وعلى خلاف ذلك الحال مع باكستان فأكثر الأشياء التي ذكرناها في أوجه الخلاف مابين الكشميريين والهنادك هى أوجه اتفاق موجودة مابين كشمير وباكستان وبخاصة شمال باكستان التي تعد كشمير جزءاً منه، ولقد جهدت باكستان في أول الأمر، عند تقسيم القارة الهندية بين الهند وباكستان ان تطلب لأهالي كشمير الحق الطبيعي الذي تنادي به الأمم المتحدة وينادي به ذوو الافكار

الحرة في العالم وهو حق تقرير المصير بالنسبة للشعب الكشميري وان يؤخذ رأيه في استفتاء دولي، إن شاء انضم إلى باكستان وان شاء انضم إلى الهند وان اراد الاستقلال كان له ذلك.

وقد حصلت بالفعل على قرارات دولية في هذا الشأن من الأمم المتحدة ومن مجلس الأمن ولكن الهند رفضت ذلك كله وتمسكت بالقوة المسلحة في موقفها من السيطرة على كشمير ولم تكن هناك أمم إسلامية تساند باكستان مساعدة فعلية عسكرية ترغم الهند على قبول قرارات الأمم المتحدة واعطاء حق تقرير المصير لشعبها فضلاً عن طرد الهنادك منها بالقوة.

إلا أن المسألة ظلت حبيسة في المحافل الدولية فترة من الوقت وإن كانت الحركة بشأنها قد قلت في الوقت الحاضر لما تعرضت له باكستان من مشكلات داخلية من أهمها تقسيمها نفسها إلى شطرين ثم انفصال الشطر الأكبر من حيث عدد السكان وإن كان هو الاضعف من النواحي الأخرى واستقلاله تحت اسم (بنغلاديش).

ثم المشكلات الداخلية في الانقلابات العسكرية إلى تولي حزب الشعب بزعامة (علي بوتو) مقاليد الأمور ونحوه في باكستان المنحى المدني الذي يفصل الدين عن الدولة و يبعد الدين عن الدولة و يبعد الدين عن الحياة الادارية رغم كون باكستان قامت أساساً على الدين فكأنها بفعله هذا تفقد مبرر وجودها.

والآن وفي هذا الوقت بالذات فإن الواجب على الزعامة الباكستانية أن تبقى مسألة كشمير حية في المحافل الدولية وفي أذهان الشعب المسلم في باكستان وفي كشمير حتى تتهيأ الأسباب للحل الإسلامي المنشود وان يحذروا الحذر كله من ان يجيء إلى السلطة رجل كالرجل الذي فرط في القضية العربية الإسلامية ورضى بالهزيمة والهوان.

والجدير بالذكر هنا أن الحكومة المركزية فى الهند تعمل بسياسة التميز تجاه المسلمين والهنادكة في كشمير فبينما لايجد المسلمون فرصا في الجيش وسلاح الطيران والبحرية والوزارات المركزية وغيرها من المؤسسات مثل الخطوط الجوية والبنوك يوجد هناك كثيرون من هنادكة كشمير يشغلون مناصب هامة في كل جهة من الجهات

المذكورة رغم كونهم أقلية محدودة في كشمير.

وكان رؤساء الحكومات المحلية المتعاقبة في كشمير مسئولين إلى حد كبير عن هذه الأوضاع ولاسيما الأوضاع الداخلية لمسلمي كشمير والشيخ/ محمد عبدالله رئيس وزراء كشمير مسئول عن ذلك أيضاً، و يقول بعض المتحمسين للإسلام من مسلمي كشمير إن الشيخ/ عبدالله اعتمد على الإسلام للوصول إلى السلطة واتخذه ذريعة لتحقيق أهدافه الشخصية فهو يؤدى الصلوات ولكنه يتخذ مواقف معارضة ممن يريد خدمة الإسلام وحتى إن بعضهم وصفه بأنه (ناصر) هندى يتحدث عن أمجاد كشمير و يعمل لها بعد أن جردها من الإسلام.

وقد يكون في ذلك نوع من المبالغة إلاّ أنه لاشك في أن الشيخ/ عبدالله لم يقم بواجبه نحو الإسلام ونحو تلبية الحاجات الدينية لأبناء المسلمين في كشمير وهو بدون شك تقصير لايغتفر وإن كان فعل بعض مافعله ليظهر للهنود وبقية المواطنين غير المسلمين في كشمير أنه ليس طائفيًّا وليس متعصباً للمسلمين ضد أرباب الديانات الأخرى.

على أن هناك رأياً آخر وهو أن الشيخ عبدالله رغم عقله وذكائه المتميز فإنه كان واثقاً أكثر مما ينبغي بالوعود الهندية، وقد شهد بنفسه كيف سارت الامور على غير ماكان يظن وكيف نكث الهنادك بوعودهم للكشميريين فصار الشيخ عبدالله ضحية لهذا النكث بالوعود والله أعلم.

ونسبة المسلمين في كشمير ٧٥٪ وهي النسبة الحقيقية وإن كانت الإحصاءات الرسمية التي اجرتها الحكومة الهندية تزعم ان نسبة المسلمين من سكان ولاية جامو وكشمير في عام ١٩٧١م كانت ٨٥و٦٥٪ وأن مجموع عدد الهنادك في الولاية كان بنسبة ٣٠٪ وأما المعتنقون للديانات الأخرى فتبلغ نسبتهم ٥٪.

و يشكل المسلمون الأغلبية الساحقة من السكان في المديريات التالية من الولاية:

آننتناغ ٨٣و٩٤٪ بارامولا ٩٢و٩٥٪ سرينقر ٣٧و٩١٪

بونش/ راجورى ٧٥٪ دودا ٩٣و٦٣٪.

وأما منطقة جامو من الولاية فيسكنها الهنادك بنسبة كبيرة.

ويتضح مما سبق ان المسلمين يشكلون أغلبية ساحقه في وادي كشمير بالذات. ومن هنا يمكن القول ان التحدي الذي يواجهه الإسلام في كشمير من المذهب الهندوكي ليس كبيراً إذا قارناه بالتحديات التي يشكلها أصحاب المذاهب المنحرفة والأيدولوجيات الإلحادية والدعوات النصرانية، فلايزال دعاة المسيحية يمارسون نفوذها على فئة من أبناء المسلمين عن طريق التعليم والثقافة الحديثة وهناك أشخاص كانوا ينتمون إلى الأمة الإسلامية حتى مستهل هذا القرن ثم انحرفت عقائدهم فانضموا إلى مذاهب باطلة مثل القاديانية وهؤلاء الأشخاص لايشكلون خطرا على المسلمين من الناحية العددية ولكنهم يؤلفون خطراً على الوحدة الفكرية لمثقفى المسلمين كما أن هناك خطر الدعوات الشيوعية واليسارية الإلحادية التي لايجوز تجاهلها.

الناحية السياسيـــــة :

لا تزال قضية كشمير معقدة منذ ثلاثين عاماً. قد حاولت الباكستان عام ١٩٤٨م في عهد لياقت علي خان وعام ١٩٦٥م في عهد الجنرال محمد ايوب خان وفي عهد يحيى خان عام ١٩٧١م تحرير وادي كشمير وضمه إلى الجزء الحر من كشمير (آزاد كشمير) لكن فشلت هذه المحاولات العسكرية.

وجمهور وادي كشمير من السكان المسلمين لايزالون يفضلون الانضمام إلى الباكستان لكنهم لم يقوموا بحركات عسكرية داخلية أثناء الحرب في ذلك الحين من شأنها أن تؤيد الباكستان في محاولاتها العسكرية ولذلك أسباب عدة منها:

الأول : ان المسلمين في ولاية كشمير عاشوا تحت حكومة هندوكية وتحت حكم الإنجليز مدة طويلة وقد عمل هؤلاء الحكام على توفير بعض أسباب الرفاهية للسكان كما عملوا على مقاومة آية محاولة لإفهامهم بإنهم جزء من الوطن الإسلامى الكبير وإنما ركزوا على إفهامهم بأنهم ذوو طبيعة منفصلة عن الآخرين مما قضى على الحماسة للعمل الإسلامى الجماعي عند بعضهم.

الثانى : فقدان زعيم متحرك في القرى المترامية الاطراف واقتصار القيادة في مدينة أو مدينتين.

الثالث: الرقابة الشديدة على هذه المناطق وعدم الخبرة في استخدام الآلات الحربية التي كان يمكن أن تصل إليهم.

الرابع : التشاجر والتصارع فيما بين الزعماء المسلمين.

الخامس : غلبة الأمية على أكثرية المسلمين في كشمير وعدم فهم الدين الإسلامى فهماً صحيحاً مما أدى إلى انغماسهم في البدع والخرافات مثل الاعتقاد في الأضرحة والمقبورين بأنهم ينفعون أو أن بركتهم تصل إلى من يتعلق بهم حتى المثقفون منهم قد غلبت هذه الافكار الخرافية على بعضهم.

ومن المؤسف أن رئيس الوزراء الاقليمى السابق لكشمير الشيخ محمد عبدالله كان يشجع هذه الامور الخرافية تقرباً للمبتدعين وتزلفاً للعامة ولذلك قام بتعمير (حضرة بال) مركز البدع والخرافات وأنفق كثيراً من واردات الأوقاف على هذا المكان الذي سيأتي الكلام عليه في اليوميات.

وقد استغل هو وأنصاره عواطف المسلمين السذج الدينية بتأكيد الزعم القديم بأن شعرة من شعر النبي، صلى الله عليه وسلم، محفوظة في ذلك المبنى فالناس الجهلة يقصدون هذه المقبرة لزيارة هذه الشعرة وفوق ذلك هناك عدد كبير من المقابر يتردد إليها عدد من المسلمين.

فالمشكلات التي يواجهها الآن مسلمو كشمير تحتاج إلى علاج عملي يستهدف إصلاح المسلمين انفسهم ومن ذلك محاربة البدع والخرافات التي أدخلت في الدين.

فحينما حضر رئيس وزراء الهند السابق (مرارجى ديسائي) مقبرة (حضرة بال) لف الشيخ عبدالله على رأسه عمامة من جانب المقبرة، والشيخ عبدالله ذات مرة حضر معبدا هندوكيا فقام في المعبد بما يقوم به الهندوكيون تقرباً منهم وإظهاراً لعدم التعصب بزعمه ضد الديانة الهندوكية.

وكان الشيخ عبدالله ينادي بإجراء الاستفتاء في كشمير ليعرف رأي الجمهور في القضية لكنه بعد توليه الحكم أخذ يعلن أن كشمير جزء لايتجزأ من الهند. هذا وفي

الشئون السياسية ففي كشمير عدد كبير من العيون والجواسيس فلذلك كله أساءوا التأثير على قلوب الناس.

ولاشك في أن الشيخ عبدالله كان يعد أكبر زعيم في كشمير، وهذا صحيح لأنه يمتلك بعض الخصائص التي لايساو يه فيها أحد منهم لكن القول بأنه أسد كشمير وبأنه ثائر على الهند من أجل الاستقلال ليس بصحيح لأنه بعد استقلال الهند لم يعط الجمهور هدفاً واضحاً وكان كما قلنا يطالب الحكومة الهندية بإجراء الإستفتاء من الجمهور لذلك كلما سجنته الحكومة تحرك الناس في المطالبة بالإفراج عنه.

وهكذا لم تزل حركة كشمير تدور حول شخصيته الوحيدة لكنه ترك رفع شعار الاستفتاء منذ عام ١٩٧١م.

وهناك حركة سياسية سرية اسمها (الفتح) لها نشاطها وهي تضم بعض الشبان و يقال: إن كثيرا منهم زج بهم فى غياهب السجون.

أما (جامو) وهي الجزء الثاني من ولاية كشمير فيشكل المسلمون في بعض محافظاتها الأغلبية وفي سواها الهنادك يشكلون الأغلبية. ويحاول بعض هؤلاء الهنادك اقتطاع هذا الجزء وضمه إلى ولاية (هماشل برديش) لاقامة ولاية مستقلة لهم.

إن ولاية كشمير في حاجة ملحة إلى الإصلاح في العقيدة والتربية الدينية فكراً واعتقاداً والاتصال بالجمهور واحسن واسهل الطرق لتحقيق هذا الغرض هو نشر العلوم الإسلامية في الجيل الناشئ ومحو الأمية بين النساء والرجال غير المثقفين.

وتحاول (الجماعة الإسلامية) الكشميرية أن تنشئ المعاهد الدينية في المدن والقرى ولذلك فانه من الضرورى جدًّا تقديم المساعدات إلى المدارس الدينية الموجودة هناك.

هذا إلى جانب بعث الطلبة المتخرجين من المدارس الدينية المحلية والحكومية إلى معاهد المملكة العربية السعودية وجامعاتها لمواصلة الدراسة فيها ليتأهلوا لتسلم القيادة الدينية الجديدة.

وتقطن في جامو قبيلتان وهما غوجر و بكروال وهم معروفون بالشجاعة والبسالة لكن من المؤسف أنهم لايدرسون إلا قليلا ففي هذه الأوضاع لابد من إنشاء المدارس الدينية والحكومية في المناطق التي يسكنها هؤلاء الأخوة المسلمون في القبيلتين المذكورتين ليتمكنوا من مسايرة جمهور المسلمين في كشمير.

دخول الإسلام إلى كشمير:

ننفل هنا ملخصاً عن مقدمة قصيرة لنشرة صادرة عن جمعية أهل الحديث في كشمير آثرنا البداءة بها مع يقيننا بأن هذه الجمعية ليست جمعية للمؤرخين ولكن وثوقامنا في نظرتها إلى العقيدة الإسلامية الصافية .

ثم نثني بنظرة عامة على الموضوع مما كتبته مصادر عدة.

ثم نشلث بمقال للعلامة الشيخ أبي الحسن الندوي مد الله في عمره حول شخصية الذي كان له الأثر الأكبر في دخول أهل كشمير إلى الإسلام وهو (الشاه همداني) كما يسمونه.

قالت نشرة أهل الحديث:

حتى القرن الثالث عشر الميلادي فإن ربوع كشمير لم تكد تعرف اسم الإسلام بينما النبراس الإسلامي كان يتوهج على المناطق الأخرى من شبه القارة الهندية ولم يبق كوخ بائس ولاقصر أميرى إلا استضاء به، وكان أتباع الإسلام قد أخذوا نصيبهم من كل مرافق الحياة، واستمرت بأرض كشمير تلك الأوضاع حتى دخلها ولأول مرة الداعي المسلم الشيخ عبدالرحمن شرف الدين المعروف ببلبل شاه سنة ٧٢٥هـ ١٣٢٥م، وأقام على ضفة نهر جهلم في الحين الذي لم تكن الوسائل النقلية متوافرة هناك بالشكل الذي نراها عليه اليوم، وكان الوصول إليها مستحيلاً إلا بعد إقتحام المخاطر الجسيمة في القفار الوعرة والأودية والأنهار والممرات الجبلية المخيفة.

وإمبراطور كشمير «جياليورين تشان» الذى كان من أتباع البوذية انضم إلى مظلة الإسلام مع كافة أسرته وأنسبائه بأن تأثر كثيراً بالسيرة الحسنة التي يسيرها الشيخ بلبل شاه، وترتب على خطوته هذه أن لم ينشب الناس حتى انضاف عدد

هائل منهم إلى الإسلام كما يقول المثل السائر «الناس على دين ملوكهم» وتسمى الإمبراطور بصدر الدين.

ثم دخلها الشيخ سيد مير على الهمداني المعروف بالأمير الكبير، والذي أطلق عليه الشاعر الإسلامي محمد إقبال لقب «سيد السادات ورائد العجم» وذاك سنة ٧٧٤هـ ورجع إلى بلاده بعد إقامة استغرقت أربعة أشهر، ثم عاد إليها بالمرة الثانية برفقة من طائفة السادات البالغ عددهم سبعة آلاف، وذاك سنة ٧٨١هـ فعكفوا على تعلم اللغة المحلية؛ و بدأوا مهمة نشر الإسلام في الوادي كله مما انهال طوابير جمة من الناس يدخلون في الإسلام حينما شاهدوا بأم أعينهم سمو أخلاق هذه الطائفة وحسن سيرتهم وسهرهم على عمل الدعوة، والجدير بالذكر أن المتزمتين من عبدة الأوثان والنساك انسلخوا من ديانتهم ودخلوا إلى الدين الإسلامي الحنيف.

الأشراك والحبائل:

القرابين التي كانت تقدم إلى المعابد الوثنية اتخذت سبيلها إلى أضرحة الأولياء بعد تعديل بسيط على الاسم، فهذه الاضرحة قد تحولت إلى متاجر ومصايد يتقاطر إليها الأعداد الغفيرة من الرجال والنساء يحملون القرابين مع قائمة بحاجياتهم التي كان المفروض أن ينيلهم إياها صاحب الضريح، و بلغ ببعضهم الجهل حدا علقوا العريضة على جدران القبور والأضرحة.

وإلى جانب هذه المصائد فقد بدأوا ينشئون أضرحة جديدة و ينسبونها بكل وقاحة وتزو ير صارخ إلى أولياء الإسلام، ولإنفاق سوقهم تقدموا خطوة فوضعوا عن أولياء الإسلام روايات لا تمت إلى الواقع بصلة حتى يسقط الناس في أفخاخهم التي نصبوها لهم فشلاً وضعوا رداء آدم عليه السلام في (سرنقر)، وعصا موسى عليه السلام في ترالى، وقرن أضحية اسماعيل عليه السلام، في تنجمرج و بئر زمزم في وشهرا، وشعرة النبي صلى الله عليه وسلم في «حضرة بال» بسرنقر ومبنى «حضرت بال» قد أنشأوه بكلفات باهظة تشارف على خمسة عشر مليون روبية وأسموه بالمدينة الثانية ودام وادي كشمير على هذا الوضع المؤسف حتى الآن، والذي يؤسفنا للغاية أن مئات المصائد التي توجد على امتداد هذا الوادي تقام فيها على مدار السنة

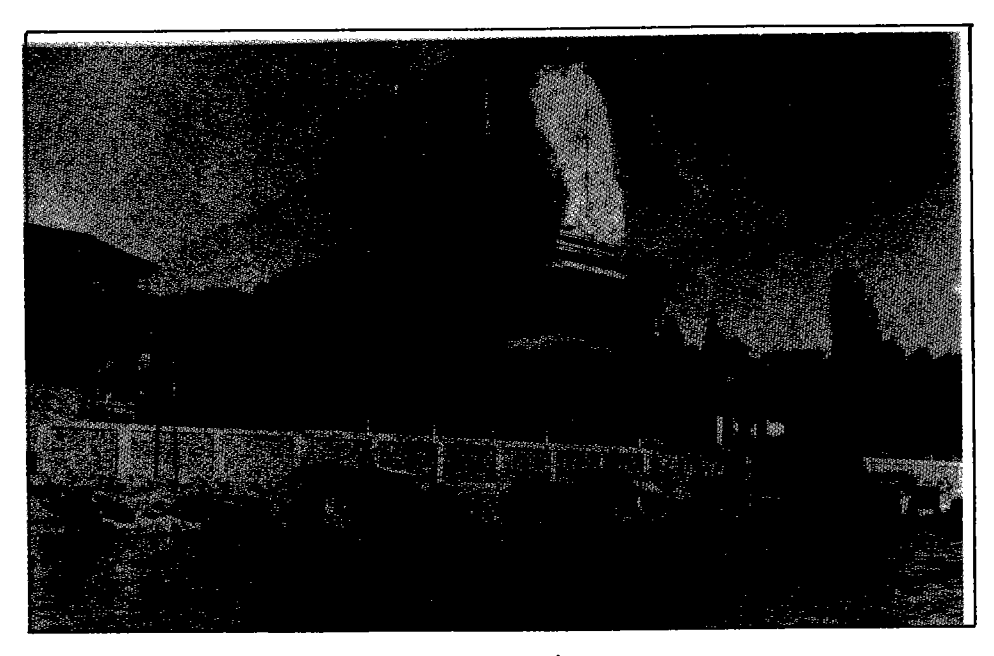
مهرجانات يختلط فيه الرجال بالنساء ومثل هذه المهرجانات تكون للمجاورين بمثابة موسم الربيع إذ أنها تدر عليهم ثروات هائلة.

ثم مضت نشرة أهل الحديث في كشمير تقول في الختام.

بارقة الأمل: وبما أن الإسلام رسالة عالمية خالدة تستمر الى يوم القيامة، فقد قيض الله طائفة من العلماء لمهمة الحفاظ على هذا الدين ونشره بين الناس، وتطهيره من أوساخ الشرك والبدع ... إلخ.

رواية التاريخ :

وهذا ملخص لما هو منتشر من الروايات التاريخية عن دخول الإسلام إلى كشمير وتعظيم الكشميريين للسيد الهمداني الذي كان سبباً في دخول أهل البلاد في الدين الإسلامى الحنيف فسلمو كشمير يذكرون السيد الهمداني فيما يذكرونه من أحداث ومناسبات بكل احترام حتى من غير المثقفين. و يعتقدون أن أهم تلك الأحداث هى أول زيارة قام بها أحد الزوار من سلالة النبي عليه الصلاة والسلام لكشمير لنشر



جامع أمير همداني في سرنقر

الإسلام فحضوره واعتناق الآلاف للإسلام بسبب سمو الروح يعد ضربة قاضية للادعاء بأن الإسلام قد جاء بحد السيف. فلم يكن فاتحاً مثل الإسكندر الأكبر أو امثاله بل جاء ذلك بفضل تفانيه للعقيدة هو وبعض أتباعه فالسيد العظيم جاءه الإلهام من جده عليه الصلاة والسلام وقد شيد مسلمو كشمير مسجداً عظيماً بجانبه رفاته ورفات أتباعه.

المكان المقام عليه المسجد حاليًّا كان مخصصاً في الماضي لمعبد واسم المسجد كانكا هى مولى وقد شيده المهراجا بوروارسين من عائلة مالوا في القرن الرابع عشر الميلادي، وقد انفق أمواله في تشييده وبالتالي فقد وجد الإسلام طريقه إلى كشمير قبل وصول السيد شاه همداني بنصف قرن كانت عائلة شاهميرى تحكم البلاد وقد أصبح شهاب الدين ملكاً بعد أن اعتنق اول الملوك الإسلام وهو رينشان أمام ولي الله السيد عبدالرحمن الملقب بلبل شاه صاحب.

اعتنق الحاكم وبعض خاصته الإسلام ولكنهم لم يلموا بأسسه رغم أن السيد عبدالرحمن كان من المتصوفين كما ان صادحو شاهبور المسئول عن المسجد كان له نفوذ كبير على الاهالى وبالتالي تمكن من نشر النور الجديد لفترة قصيرة ثم ظهر السيد شاهى همداني ـــ أمير كبير مير سيد على الهمداني.

مير سيد على الملقب شاه همداني نجل سيد شهاب الدين ولد بهمدان عام ٧١٤هـ التي كانت مركزاً للتعليم الإسلامي كما أنه كان ملمًّا بعلوم الفلسفة والمنطق والرياضيات وقد ذاع صيته في كل العالم الإسلامي.

وكان احتلال التتار لسمرقند وهمدان تحدياً لمن كانوا من سلالة النبي (عليه السلام) نظراً لمكانتهم وماكانوا يتمتعون به من احترام وعدهم شوكة في طريقه مما اضطر الكثيرين منهم إلى الهجرة لجهات اخرى، ومع ذلك فقد بقى منهم من بقى رغم الضغوط الشديدة، وكان سيد شاه همداني أحد أولئك الذين بقوا ولكنه لم يلبث أن ترك المنطقة احتجاجاً على مالاقى هو وزملاء له من سؤ معاملة التتار واتجه إلى كشمير حيث وصلها عام ٧٧٤هـ، وتم نشر الدعوة الإسلامية التي شملت المنطقة بأكملها وتم إسلام شاهبور بدون تردد على ايدي سيد شاه همداني.

كما ان الألوف ممن تضايقوا من الدين الهندوكي أسلموا وأحرقوا المعبد الهندوكي وحولوه إلى مسجد ومن المعترف به لدى المؤرخين والمسلمين أن السيد شاه همداني يتلقى الإلهام من النبي (عليه السلام) كما حصل بالنسبة لاقامة المسجد في نفس المكان الذي كان لأجيال عديدة مخصصاً للعبادة، والذي كرمه كاليهانا في مؤلفه راجتارونجى بعده مكاناً مقدساً.

حصلت تعديلات على مبنى المسجد بسبب الزمن ثم ترك السيد شاه همداني كشمير بعد إقامة المنصة وعاد للمرة الثانية عام ٧٨١هـ أي ١٣٧٨م وجاء إلى كشمير للمرة الثالثة والاخيرة عام ٧٨٥هـ أي ١٣٨٣م لتفقد مكان العبادة الذي شيده خلال حكم قطب الدين بن شهاب الدين.

ثم إن المير محمد نجل السيد شاه همداني وبناء على تعليمات والده جاء إلى كشمير عام ٧٩٦هـ أي ١٣٩٤م وبصحبته ثلاث مئة من أعوانه خلال حكم السلطان إسكندر نجل قطب الدين، وكان وزيره سيه بات هندوكيًّا متعصباً ومن مجرمي كشمير ولكنه عندما رأى المير محمد أعلن إسلامه وقال: «حتى الآن أرى نور تلك الدعوة فلماذا لاأعتنقها؟ وسمي بعد ذلك مالك سيف الدين وقام بنشر الدعوة.

وبما أن الإسلام يدعو إلى الحرية والمساواة والأخوة للجميع فقد وجد أرضاً خصبة لدى كل شخص. وبسبب واحد تلاميذ السيد شاه همداني فقد دخل الإسلام في كل ركن وقرية كما قام المسلمون الجدد بتحويل المعابد إلى مساجد بفضل مساعدة السلطان اسكندر ومن الافتراء القول بانه قاوم الإسلام.

أقام مير محمد همداني مسجد سيد شاه همداني عام ٧٩٨هـ وقد تبرع الملك بمبالغ طائلة لبنائه، وقد شب حريق بالمسجد عام ٨٨٥هـ وأعيد بنائه بفضل الحاكم بيبى صالح ورغبة زوجته بنت كاجى تشاك التي تبرعت كما قيل بجوادها ومصاغها لهذا السبب.

ثم أعيد بناء المسجد عام ١١٤٦هـ تحت رعاية بركات خان نائب الملك على نفس الأساس السابق. والغرف الصغيرة في الجناح الشمالي والأعمدة الأربعة الكبيرة الساندة للسقف هي نفسها التي كانت موجودة أيام مير محمد همداني وخازار خان

نائب الملك وكان أفغانيًّا حفر النقوش العربية على الحوائط فيما بعد.

والجزء الأكبر من تلك النقوش يعد من مجموعة «أوراد فاتحية» وهى تأكيد للتوحيد كما أنه توجد أيضاً بعض النقوش التى جاءت على لسان عبدالقادر الجيلانى «الكبريت الاحمر» كما يسميه غلاة الصوفية.

حصلت بعض الإصلاحات الأخرى في المسجد خلال أعوام ١٢١٨هـ و ١٢٤٣هـ و ١٣٠٢هـ و ١٣٢٤هـ وقام باصلاح السقف الأفغاني السردار عبدالله خان نائب الملك، وأنفق على الاصلاحات من ماله الخاص ومن خزانة المقاطعة. وفي عام ١٢٤٣هـ قام المسلمون بجمع التبرعات ولاتزال للإصلاحات وفي عام ١٣٠٢هـ تبرع نواب أحسان الله خان بمبلغ كبير لهذا الغرض. كما قام عام ١٣٢٤هـ مفتى عبدالرحيم باصلاحات اخرى بفضل مساعدة أحد تجار كشمير المدعو غلامى صمداني الذي كان يقطن بيشاور. الاصلاحات مستمرة من وقت لآخر وتغطي التكاليف من تبرعات الأهالي وايجار الحوانيت والمنازل المملوكة للمسجد والتي يطلق عليها اسم «الوقف».

هذا ملخص لما يعرفه سائر الناس عن الشخص الذي أدخل الاسلام إلي كشمير (شاه على الهمداني) فما هي حقيقته؟

أهو صوفي قد طلق الدنيا وهام على وجهه فأعجب الناس مظهره، فاعتقدوا فيه الصلاح وقلدوه فى دينه؟، أم هو سيد فى قومه، عالي الهمة في نفسه، زعيماً مطاعاً في عشيرته فاستعمل ذلك كله في الدعوة إلى الله؟، أم هو عالم مصلح بصير بأمور الدين عارف بأحكامه؟، أم هو داعية إلى الله بحكمة وقوة من دون أن يكون من الصنف الأول أو الثاني؟ لابد من البحث الطويل عن ذلك غير أنني وجدت كلمة ألقاها العالم المحقق والداعية المشهور السيد/ ابوالحسن الندوي الأمين العام لندوة العلماء وقد ألقاها في الجامعة الحديثة في مدينة (سرينقر) عاصمة كشمير أي بين لفيف من الأساتذة والعلماء وحسبك بالسيد أبي الحسن الندوي في المعرفة والنزاهة في التعبير فرأيت أن أنقلها هنا لأنها تجيب على بعض تلك التساؤلات؟

وقد نقلتها صحيفة الرائد الهندية الصادرة في ٦ ربيع الثاني عام ١٤٠٢هـ.

قال الشيخ أبوالحسن الندوي:

رجل أدخل البلاد بكاملها في الإسلام:

إذا قويت علاقة العبد بربه أتى بالخوارق والعجائب:

أشرقت شمس الإسلام فى هذه الأرض قبل خمسة قرون، وتحولت هذه البلاد من الوثنية إلى التوحيد الخالص، وذلك حينما قصدها داعية مخلص، ورجل ربانى وشيخ من الشيوخ الكبار، مصلح صالح، الشيخ الامير السيد على الهمداني.

إنني أتلذذ بذكر اسمه واهتز طرباً بأعماله الجليلة التي قام بها في هذه البلاد حتى قلبها رأساً على عقب وهو من همدان، هل تعرفون لماذا جاء من همدان إلى كشمير وأي حاجة ساقته إلى هنا؟، هل تزعمون أنه جاء إلى كشمير ليتمتع بجمالها ومناظرها وكانت بلاده هو جميلة كذلك، طافحة بالثمار والازهار؟ فما الباعث لتحمله المشاق والصعاب في السفر للوصول إلى هذه الارض البعيدة المنعزلة وانتم لا تزالون تذكرونه وهو في قلوبكم وتردد السنتكم اسمه الشريف وذكره اللطيف، فأنا اجيب على هذا السؤال ــ صدقوني ــ ان السيد على الهمداني لم يقطع هذه المسافة البعيدة لغرض من الاغراض المادية ولا لشيء آخر سوى الإسلام ــ كما ان هذا الغرض الديني، ساق صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم من أوطانهم وإلى أماكن بعيدة فخرجوا مهاجرين اهلهم ومالهم ودعاة الى الله والتوحيد الخالص هذا هو الشيء الذى أخرج السيد على الهمدانى من بلده.

كذلك ــ كانت جذوة الايمان ملتهبة في قلبه وكان يحمل معه مشعل العلم النبوى الشريف (على صاحبه الصلاة والسلام) وكانت فيه الغيرة الإسلامية التي ساقته إلى هذه البقعة الأرضية البعيدة ليبلغ رسالة الإسلام، ويخرج الناس من الظلمات إلى النور ومن عبادة الاوثان والاصنام إلى عبادة الله وحده، ومن رزق علم كتاب الله فانه يكون بلا ريب ولا شك، أخشى الناس لله واشد حباله وتعلقاً به وبالتالي هو اكثرهم اخلاصا لدينه كذلك واشد من غيره غيرة وحمية على الإسلام، ومن لم يرزق العلم على الاطلاق، لايستطيع ان يميز بين الجوهرة وقطعة من الحجر ولايحتفل به لكن الصراف هو يعرف قيمة الجوهر وهو احسن شيء واحبه لديه لانه

يعرفه، هكذا البستاني يعرف اهمية البستان وقيمته وهو حريص على بستانه يحرسه ويتعاهد أزهاره وكذا العندليب يستشعر بجمال الازهار ولايريد ان يفارقها ساعة والفراش يعرف قيمة المصباح ونوره إذا استضاء فيستميت دونه، ويضحى نفسه والعاشق أعرف بحبيبه دون غيره، وانبياء الله والعلماء يعرفون الله، ويعرفون عظمته وجلاله وتوحيد ذاته وصفاته وهم يتمنون الموت في سبيل الله. والسيد على الهمداني حملته عاطفته الإيمانية ــ كما قلت ــ على جناح الشوق إلى هذه البلاد لينورها بنور الإسلام ويرفع فيها لواء التوحيد، والتوحيد أساس دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم، ودعوة التوحيد التي جاء بها الرسول صلى الله عليه وسلم لا تزال باقية عبر القرون وستظل باقية إلى ان يرث الله الارض ومافيها هذه اكبر نعمة انعم الله تعالى بها على عباده.

نحن جميعاً نؤمن بالله وحده وبرسوله محمد صلى الله عليه وسلم رسولا ونبيًّا وبكتاب الله الذي انزل عليه والفضل في ذلك كله، بالنسبة إليكم، إنما يرجع إلى السيد على الهمداني الداعية الكبير الذي دخل كشمير وبدخوله دخلت كشمير كلها في الإسلام، كان عارفاً من العارفين ووليًا من الاولياء كان اعرف الناس بالله واخشاهم له واكثرهم فداء في سبيله واشدهم غيرة على دين الله واكثرهم تمسكاً بالتوحيد، ويعرف ذلك بهذا الواقع ان ذات مرة قال احدهم: «من يطع الله ورسوله فقد هدى ومن يعصهما فقد غوى» فغضب الشيخ ولم يملك نفسه وقال أجعلت لله ندا؟ قل: من يعص الله ورسوله منفصلا.

ومرة اخرى جاء رجل وقال أثناء حديثه مع الشيخ ولو شاء الله ورسوله لفعلت كذا، ساء ذلك الشيخ وشق عليه فقال زاجراً له هل عصيت؟ كيف تقول ذلك بل ماشاء الله وحده، لفعلت كذا، لأن العاشق كلما ازداد حبه لحبيبه زاد غيرة عليه والغيرة تابعة للحب وتابعة للعلم والإخلاص، أما ترون، لا تؤاخذوني على هذه الجرأة وسوء الأدب ــ إذا قلت إن كيف تكون غيرة الزوج على زوجته وغيرة الزوجة على زوجها هو لايحب ان تكون زوجته تميل إلى أحد سواه، وكيف تشرك بالله الذي خلق الإنسان وأعطاه كل شيء ليعبده وحده ــ ولايشرك به شيئاً، وهو لايرضى لعباده الكفر ولا أن يشركوا به شيئاً، وعلاقة العبد بربه فوق كل علاقة اخرى.

الإسلام دين سماوى وهو دين التوحيد ودين العدل والمساواة ودين الاخوة والمحبة.

كان الشيخ السيد على الهمداني يعرف طبيعة الإسلام وكان يؤمن بالإسلام كرسالة خالدة، باقية، وكان غيورا على الإسلام.

فلما بلغه أن هناك منطقة أو بلاداً تسمى بكشمير لم يصل إليها الإسلام، والناس يعبدون من دون الله آلهة ويجعلون له أنداداً و يتخذون من الناس شفعاء ويخضعون لكل مارأوا فيه شيئاً يعجبهم، إنني أرى أنه لو لم يأت الأمير السيد على الهمداني إلى هذه البلاد لم يكن هو مسئولا عندالله ولايحاسبه الله فى الآخرة على أنه لم يبلغ الإسلام في كشمير إذ وطنه همدان، على بعد المشرقين من كشمير بالنسبة إلى ذلك العصر، لم تكن ثمة طيارات أو سيارات لكنه رغم ذلك كله لم يقف فى سبيله شيء:

ومن تكن العلياء همة نفسه فكل الذى يلقاه فيها محبب

إن أصحاب الهمم العالية لايمنعهم شيء من الوصول إلى الغاية لا تعوق في سبيلهم العقبات ولا العراقيل وهم لايبالون بشيء ولو كانت الجبال الراسيات، الشيخ السيد على الهمداني كان واحداً من هؤلاء المغامرين الأبطال، كأنه سمع صوتاً فلكيًّا يقول ياأمير علي، اذهب إلى بلاد كذا، وانشر دعوة الإسلام هناك، فعرف أنه القيت عليه هذه المسئولية ولابد ان يقوم بها في اسرع وقت ممكن دون ان يفكر فيه طويلا، حتى ينال رضا الله و يستحق رحمته في الآخرة ولايحاسب يوم القيامة على رؤس الاشهاد، انت ياعلى! كنت عرفت ان بلدة من تلك البلاد كان — يعبد فيها غيرى، فماذا فعلت فيها؟ فخاف أنه كيف يواجه مثل هذا السؤال في ذلك الوقت الرهيب!.

كان يرى هذا المشهد رأي العين ولو اجتمع العلماء وحكماء الأمة أن يقنعوه أنه لايحاسب حساباً ولايسئل عن ذلك، لما اقتنع به بل اجابهم قائلاً: وكأني واقف أمام ربي وهو يسأل؛ وغيرتي لا تسمح لي ان أرى في أي بقعة من بقاع الأرض تعبد الآلهة من دون الله يرجى فيها وهى تسأل في حل المشكلات ودفع البلايا، فشأن

المؤمن إذا رأي أحداً يعبد غير الله و يكفر بالله أو ينحرف عن الإسلام فيجب عليه وجوباً أن لايفكر في الأمر ولا يركن إلى دليل ولا يأوى إلى عذر بل يخرج داعياً ومجاهداً في سبيل الله ويخرج الناس من عبودية الآلهية الكاذبة إلى عبودية الله وحده الحق الذي خلقهم وإليه مصيرهم ومرجعهم هو الذي يستحق الأمر والنهى ليس غير وهو الذي يملك النفع والضرر هو خالق الكون ومالكه هو يحيى ويميت وليس له شريك في الخلق والأمر، وليس أمره كالملوك في الدنيا، يبني واحد ويهدم آخر أو يملك — فتاج محل مثلاً — بناه الملك المغولى شاه جيهان وطلب البنائين لبنائه من تركستان وغيرها من البلاد، فبنوا له هذا البناء الشامخ وذهبوا وذهب هو وراءهم بحكم الأجل و بقى (التاج محل) يملكه كل ملك بعده.

وليس هذا الكون الذي خلقه الله كتاج محل أو (منارة قطب) في دلهي أو متحفاً من المتاحف يملكه كل احد ويحكمه من يريد — فالله خلقه وليس له شريك ولاسهيم في ذلك وهو وحده يحكم فيجب ان يكون المسلم متمسكاً بالتوحيد و يكون في كل حال تحت أمر الله ونهيه ولاينحرف عن جادة التوحيد قيد شعرة، فالمسلم حامل راية التوحيد في العالم و بالتوحيد قوته وشوكته و بالإسلام عزته وشرفه. هذه هي الرسالة رسالة التوحيد التي جاء بها السيد على الهمداني من همدان إلى هذه البلاد، ولايفوتكم هنا أنه لم يحمل معه السيف لنشر الإسلام هنا وفتح هذه البلاد كلا بل إنما كان عنده سلاح اقوى من الاسلحة واقطع من السيوف وهو الحب، والاخلاص والربانية الصادقة المشرقة والاخلاق الحسنة التي اثرت في قلوب الناس إذ تحول الشعب الكشميري الوثني شعباً مسلماً مؤمناً بالله وحده.

هل كان يمكن ذلك بالسيف؟ أبداً، فياللعجب كيف تمكن هذا الرجل الغريب من هذا الفتح المبين؟.

وهذا لا شك معجزة من معجزات الإسلام ظهرت على يد الشيخ السيد علي الهمداني رحمه الله، وأنا قد تحدثت مع الأخوان العرب كذلك أن رجلاً من رجال الله دخل كشمير مع طائفة من أصحابه، يقطع مسافة بعيدة شاقة، لأجل الدعوة والتبليغ فهو في عدة جولاته ادخل البلاد بأكملها في الإسلام وعلمت الآن أنه كان قام بجولات ثلاث في مختلف القرى والمدن، وذهب من بيت إلى بيت، قدم دعوته

بالحكمة والموعظة الحسنة حتى رقت قلوب الناس ودخلوا الإسلام أفواجاً.

ونشاهدكم اليوم ولستم إلا ثمرة دعوته الحكيمة، ونشعر فيكم بحرارة الايمان والتوحيد بعد مضي هذه المدة الطويلة المديدة، ولم تبرد تلك الشعلة التي أشعلها في قلوبكم الشيخ (مير السيد على الهمداني) بإيمانه القوي ونيته الصادقة الخالصة لوجه الله تعالى، وستظل هذه الشعلة ملتهبة ان شاء الله إلى ان تقوم الساعة و يرث الله الأرض والسماء.

والإسلام علاقة بين العبد والمعبود علاقة الإنسان العاجز الحقير بخالق هذا الكون الكبير المتعال. وإذا قو يت هذه العلاقة بين العبد وربه فانه يأتي بالخوارق و يصنع العجائب، ان دعوة الشيخ السيد على الهمداني لم تنته وأنتم أمناؤها هى امانة عظيمة وامانة خطيرة عليكم ان تحافظوا عليها وتحرسوها ومن واجبكم ان تطهروا هذه البلاد من جميع الوان البدعات والخرافات ومن الشرك بالله وإذا كان على العكس ماسمح الله ذلك فانه يؤذي الشيخ السيد على الهمداني في قبره و يقلقه لأنه حينما غرس شجرة التوحيد في هذه الأرض تمنى أن تظل هذه الشجرة مثمرة دائماً، تؤتي اكلها كل حين بأذن ربها كما بين لنا القرآن عن سيدنا يعقوب عليه السلام انه إذ أزف الاجل وحضره الموت، جمع ابناءه واحفاده وجميع أهل أسرته وقال: ماتعبدون من بعدى؟ قالوا: بكل ثقة واذعان ـــ نعبد إلهك و إله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلهاً واحداً ونحن له مسلمون.

كأنهم يقولون: يا أبانا لماذا تسألنا مثل هذا السؤال؟ لماذا تخاف علينا؟ نحن نشأنا على الإسلام والتوحيد وأنت ربيتنا كيف يمكن أن نضل ونترك دينك ودين آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق؟ فاطمأن بهم يعقوب عليه السلام وفارقهم فارغ البال، قرير العين.

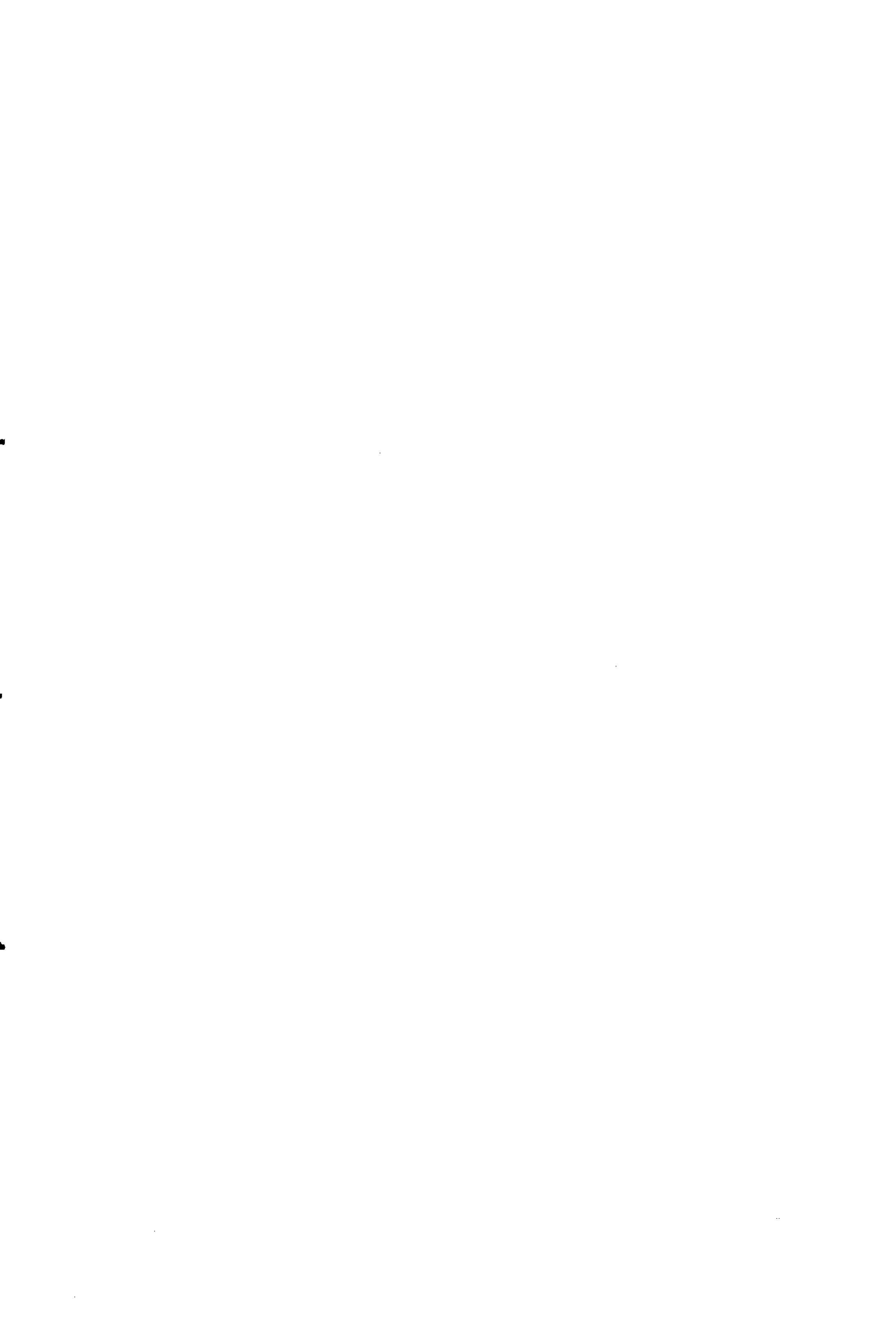
وكذلك الدعاة المصلحون وهم خلفاء الأنبياء وورثتهم لايريدون أن ينسى اتباعهم دعوتهم وتعليمهم وهذه هي دعوة السيد علي الهمداني دعوة التوحيد الدعوة الخالصة من شوائب الشرك والبدع.

ومن هذه الطريقة اعتنقت كشمير الإسلام وكانت من قبل لا تمت إلى الإسلام

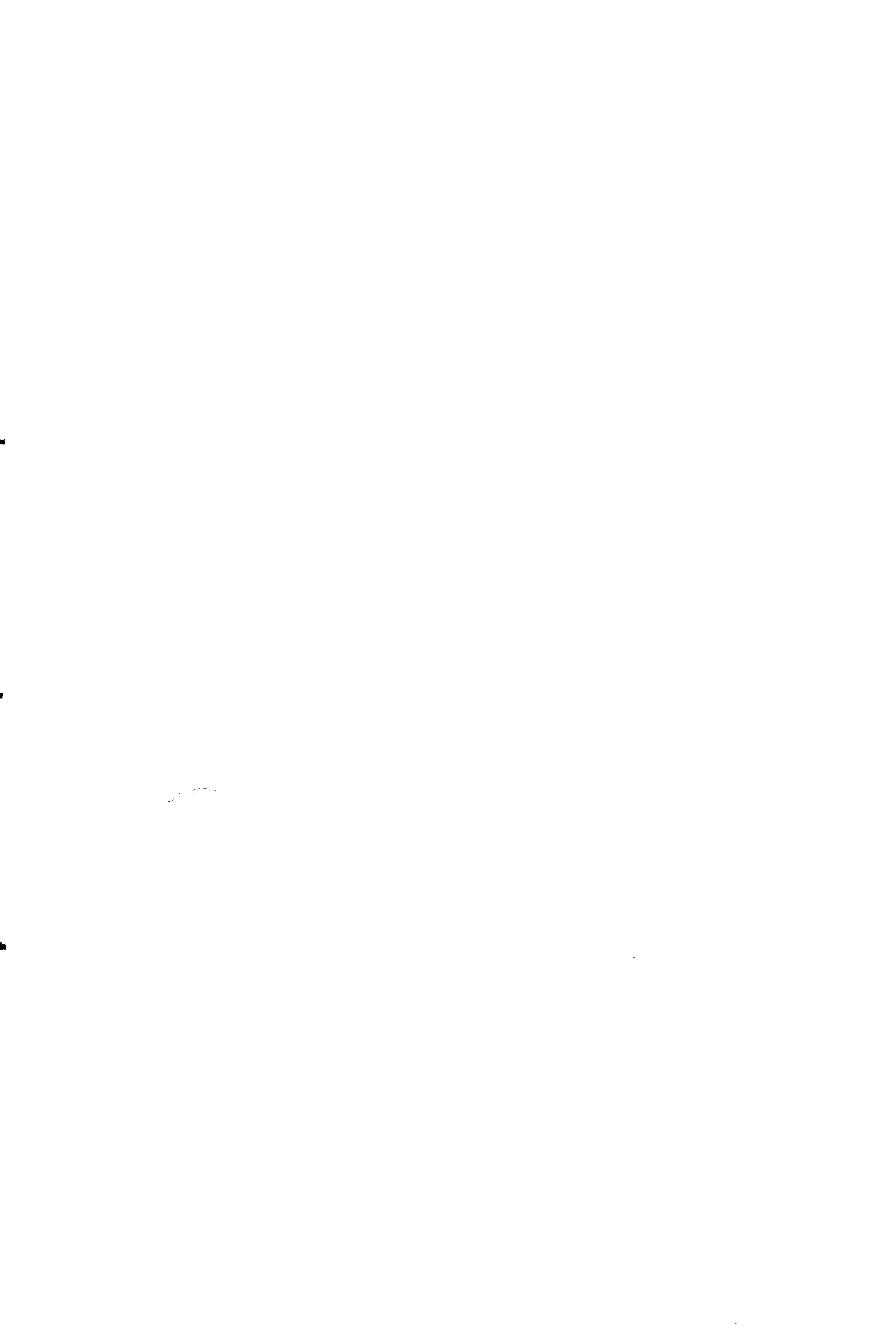
بصلة، فالشيخ الهمداني وأصحابه جاءوكم دعاة مرشدين واخرجوا آباءكم من الضلال إلى الهدى ومن الظلمة إلى النور ومن عبادة الآلهة إلى عبادة الله وحده، فتمسكوا بهذه الدعوة وعضوها بالنواجذ وتمسكوا بكتاب الله ولا تشركوا بالله شيئاً.

والتوحيد في الإسلام رأس الطاعات والعبادات وفيه سر قوتكم وغلبتكم وعزتكم يقول الله سبحانه. (إن الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحياة الدنيا وكذلك نجزي المفترين).

وإنني أصارحكم ــ يا أيها الأخوة أقول لكم ولا أرى في ذلك من حرج: إن مشكلاتكم لن تنحل حتى تخلصوا الدين لله عز وجل وتمسكوا بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ومن المحال أن تتخلصوا من هذه الحياة العبودية إلى حياة الحرية الشريفة إلا بذلك.



السياحة



يوم الأربعاء ١٩ جمادى الثانية ١٣٩٩هـ ١٧ مايو ١٩٧٩م

من دلهي إلى سرنقر :

جميع المقاعد في الطائرات الهندية مرقمة وفي داخل الهند لايوجد درجة أولى في الطائرات بل جميع المقاعد فيها تعد درجة سياحية إلا مابين المدن الكبيرة كبومبئ ودلهي.

وعندما صعدت في الطائرة ودلتني المضيفة على كرسي في الصف الأول بجانب فتاتين كنت رأيتهما وأنا واقف في الانتظار عند مكتب الترحيل فلفت نظري مظهرهما الذي لامثيل له بين الموجودين في المطار من أهل الهند فتعجبت من ذلك وقلت في نفسي من أي أرض في الهند هذا المظهر الجميل الذي لم أر له مثيلاً إلاّفي بعض أنحاء شمال باكستان؟.

وعندما تذكرت أننا مسافرون إلى كشمير وأنهما قد تكونان مسافرتين إلى هناك لأنهما من أهل تلك الولاية زال عجبي لما هو معروف في أهل كشمير من صباحة في الوجوه وجمال في المظهر.

وقامت الطائرة الهندية المعتادة من طراز بوينج ٧٣٧ ذات المحركين النفاثين وأعلنت المضيفة أن السفر سوف يدوم ساعة واحدة وكان قيام الطائرة في العاشرة والثلث، وهي مضيفة بيضاء اللون ربما كانت من شمال الهند إلا أن وجهها ليس عليه إشراق، ولعل سبب ذلك إقامتها في مواطن حارة من الهند أو بسبب الطعام الهندي الكثير التوابل والدسم ومعها كانت مضيفتان أخريان إحداهما عليها ملامح المغوليين والصينيين والأخرى ملامحها هندية معتادة فقدمن طعام الضيافة وهو شطيرة أي (ساندويتش) فيها قليل جدا من اللحم بعد أن سألوني وتأكدوا من انني لست نباتيًّا ومع الشطيرة قطعة صغيرة من (الكيك) وفنجان من القهوة وقد أتيت على ذلك كله لأنني لم أطعم طعاماً ولم أذق شرابا منذ مغرب أمس.

وكنت لم أكتب اسم فندق أقصده في كشمير لأنني لم أصادف من كان قد سافر إليها في الهند فخطر لي أن اسأل جارتي القريبة من الفتاتين من كشمير عن ذلك فكتبت أسماء ثلاثة فنادق ثم إذا بها بعد أن تشاورت مع جارتها بلغتها تقول لي وجارتها توافق على ماتقول بالإنجليزية إننا من أهل كشمير وهذه ـ وأشارت إلى صاحبتها ـ لها عم يملك فندقا ستسكن فيه إن أعجبك والأفضل أن نوصلك إليه أو إلى أحد الفنادق لئلا تقع في يد أحد من السماسرة أو المساومين.

وكانت الطائرة قد ارتفعت ارتفاعاً شاهقاً لم يمكنا معه أن نرى معالم الأرض بوضوح إلا أنه قبل وصول الطائرة بحوالي ثلث ساعة وصلنا إلى منطقة جبلية شاهقة تجلل هاماتها الثلوج بل إن الثلوج مطبقة فوقها قد شملت قممها كلها وهي ترى من جانبي الطائرة كليهما وبعد قليل أبعدت هذه الجبال وغيرها من الجبال الشاهقة فاتسعت الأرض وتدنت الطائرة للهبوط في أرض خضراء فيها أشجار مغروسة كثيرة ثم نزلت الطائرة في مطار سرنقر.

مطار سرنقــر :

وهو مطار لابأس بسعة مدرجه تحيط بممراته خضرة قد وشحتها ألوان من الزهور البهيجة المنظر من صفراء ووردية وزرقاء وبيضاء.

وعندما هبطت الطائرة أعلنت المضيفة وهي تودع الركاب كالعادة بأن درجة الحرارة في (سرنقر) تبلغ ١٤ درجة مئوية غير أنها درجة شديدة الانخفاض في هذا الوقت الذي يقرب من منتصف النهار وبخاصة بالنسبة لمثلي الذي أمضى فترة من الوقت في مدينة بتنه ذات الدرجة من الحرارة التي تجاوزت الأربعين، وبعدها قاسى حر لكنو.

وكنت أشعر بسعادة بالغة لم أشعر بها وأنا أهبط في أي مطار من مطارات المدن التي وصلت إليها في هذه السفرة ذلك بأنها كلها قد زرتها من قبل أما سرنقر عاصمة كشمير فهذه أول مرة أنزل فيها وهي سعادة كنت أحس بها عندما أدخل أية مدينة أو بلدة لأول مرة وذلك رغبة في الاطلاع على ماأجهله من أمرها ولرؤية معالمها وتطبيق ماكنت قد قرأته أو سمعته من أحوالها.

كان الجو عندما فتح باب الطائرة بارداً برداً ظاهراً مما أشفقت معه أن يعاودني شيء من الإنفلونزا كنت قد أحسست بأنني أصبت به بسبب حَرِّ مدينة (بتنة) الشديد وخيل إلي انني قد أبللت منه البارحة.

وبينما كنت أسير من الطائرة على قدمي إلى بوابة البناء لاحظت أن الفتاتين الجميلتين تسيران بجانبي وقالت لي إحداهما: إننا سننتظرك عندما تنتهي لدخول المدينة معاً ودخلت إلى بناية المطار فوجدت بداخلها رجلاً معه قائمة يطالعها و يشير لبعض الركاب إلى مكتب عليه لافتة كبيرة عنوانها (تسجيل الاجانب) وشرطي يقول لي: أين جوازك؟

ورجل يسألني: أتريد خدمة؟ إنني أقوم هنا بكل مايلزم للسياح، ولم ينصرف عني إلا بعد أن ضقت به ونهرته؛ ورجل آخر يسأل: أتريد تاكسي؟ وهو يعرف أنني مقبل على عمل عند مكتب الجوازات العجيب هذا الذي يوجب إبراز الجوازات في رحلة داخلية وليس ذلك فحسب وإنما يوجب تسجيل الأجانب وتحركاتهم. وبعض الطفيليين الذين ينصتون و يعلقون وقد يتبرعون ببعض التفسيرات أو التوجيهات.

ورأيت في مكتب الأجانب هذا رجلين وامرأة بيضاء جميلة كاللبنانيات وكانت مشغولة بطائفة من الناس والرجل الآخر مشغولاً كذلك فأما الثالث فهو الذي قدم إلى الاستمارة التي فيها بيان يطلب فيه من الراكب أن يسجل فيه اسمه وعنوانه وعمله والجهة التي سيقيم فيها، ولم يكن الرجل لطيفاً ولا ذكياً مما جعلني اتوقف في ملء الاستمارة فتركت المرأة من كان عندها وجاءت إلى فأخذت الأوراق من الرجل، وأخذت تسألني بلطف وتبين لي مايشكل منها، ولما سألتني عن عنوان الفندق الذي سأقيم فيه في سرنقر أخبرتها أنه أحد هذه الفنادق التي كتبت أسماءها جارتي في الطائرة فقالت: إنني أنصحك بأن تذهب إلى مركز السياحة حتى تختار من هناك الفندق الذي يناسبك وهنا تدخل الرجل وهو يفحص جوازي و يراه سياسيًّا فقال أنت سياسي فهل أنت تعمل في السفارة السعودية في دلهي؟، فقلت له: لا، فقال إذاً: أين موطن عملك؟ قلت في المملكة فقال: كيف يكون كذلك وأنت تحمل الجواز هنا؟، كأنه ظن أنه لايحمل الجواز السياسي إلا رجل يعمل في السلك السياسي خارج بلاده وهنا تدخلت المرأة فردت عليه بقوة وأعطتنى جوازى بلطف.

وكان قد مضي في هذا الأخذ والرد وقت ليس بالقصير فرغ خلاله بعض ركاب الطائرة من أهل البلاد وتركوا المطار إلى البلدة ونسيت خلاله الفتاتين الجميلتين وحديثهما فإذا بي أفاجأ بأنهما مازالتا تنتظرانني فأخذ أحد الحمالين حقيبتي وتبعته إلى سيارة أجرة حيث ركبت الفتاتان في سيارة مع بعض من استقبلهما وركبت في سيارة أجرة تبعت سيارتهما في الطريق الذي يبلغ طوله من المطار إلى العاصمة اثنى عشر كيلاً.

وعندما وصلت أحد الفنادق القديمة في حي من قلب المدينة أوقفتا السيارة ثم استقبلنا صاحب الفندق وادخلني مقهاة في مدخل هذا الفندق مليئة بالرواد وقال: لتستريح حتى تحضر حقيبتك ثم ذهب بي إلى غرفة في الطابق العلوي في الفندق المؤلف من طابقين فأراني غرفة سيئة الاضاءة بالنسبة للغرف التي أرتاح إليها في العادة ولكنني قلت في نفسي: إنني يمكنني أن أستريح فيه ليلة واحدة حتى أختار بعد ذلك غيره وبينما كنت أحاول ترتيب الحقيبتين واظن انني سوف استريح على أحد السريرين الموجودين في الغرفة إذا بصاحب الفندق يقول لي: هيا إلى المطعم أي مطعم الفندق فقلت لماذا؟ فقال: لتناول الغداء والشاي، فطلب لي شواء وخبزاً مع الزبد وهو يحدثني ويشرح لي كل ماأود معرفته من شئون هذه البلاد.

وعندما أسرعت بإخراج النقود وقلت هذا ثمن الغداء استنكر ذلك وقال: أبداً أنت لن تدفع شيئاً إنك ضيفنا ان الفتاتين قد دفعتا ثمن غدائك قبل أن تغادرا الفندق، ثم ذكر أنهما طالبتان في جامعة عليكرة الإسلامية في الهند، وان الدراسة في تلك الجامعة قد اوقفت منذ أيام ولمدة شهر وأنهما قررتا لهذا السبب أن تقضيا الشهر عند أهلهما في كشمير وأن إحداهما متخصصة في الجغرافيا والأخرى في اساليب التعليم.

ثم ذكر اسم احداهما (حنيفة) نعم إنه اسم القبيلة البدوية الجاف في بلادنا قد تحول إلى اسم فتاة رقيقة رشيقة في كشمير وان والدها كان وزيراً سابقاً في هذه البلاد وذكر اسمه وانه هو نفسه عم الثانية.

ثم صعدت إلى غرفتي واستلقيت على السرير إلا أنني شعرت ببرد شديد وان

الغرفة نفسها باردة وكذلك وجدت الحمام الذي بداخلها قد انقطع عنه الماء فأحضر الخادم إليه الماء في (سطل) بناء على أمر صاحب الفندق ولم أجد على السرير غطاء كافياً فانقبضت نفسي ولم أستطع البقاء في الغرفة فخرجت أبحث عن غيره أمشى.

في شوارع سرنقر :

ظللت أذرع شوارع المنطقة القريبة من الفندق الذى أسكنه بحثا عن فندق كبير مناسب ولغرض السير فى هذه المدينة الغريبة عليّ فلم أهتد الى فندق كبير.

ولاحظت كما يلاحظ الغريب لأول مرة يدخل فيها الى البلد الفروق بين أهل هذه البلاد وبين بقية أهل الهند فوجدتها كثيرة أولها وأظهرها أن الجنس الأسمر الداكن اللون الشديد النحافة غير موجود هنا وثانيها: أن الصباحة والملاحة في وجوه النساء أو على الأدق في وجوه كثيرة من وجوه النساء هى في مستوى لايصل إليه نساء أهل الهند بل ولا إلى قريب منه أما الملامح وبعض العادات الظاهرة فإن المرء يشعر بالفعل انه قد فارق التقاطيع الهندية الجنوبية وتقاطيع بلاد البنغال وانه ليس بينها وبين ملامح هؤلاء سبب أو نسب بل إنك هنا قد تحس كأنما أنت في لاهور لولا صباحة في الوجوه أكثر من أهل لاهور.

هذه هي الانطباعة الأولى عن أهل هذه البلاد أو على الأدق عن الأغلب فيها إلا أن هناك طائفة يسيرة منهم لها ملامح مختلفة بعيدة عن الملامح الهندية بل هى الملامح المغولية أو قل (التبتية) فهم ذو وجوه منتفخة عريضة ونساؤهم أقل جمالاً فيما يبدو للناظر الغريب مثلنا وملابسهن عجيبة إذ هى غير ملابس الأكثرية من أهل البلاد فهى مؤلفة من قميص واسع يشبه قميص الرجل العربي إلا أنه يقف عند الركبة وتحته سروال يضرب إلى الكعب إلا أنه غير واسع مثل سراويل الباكستانيات وتبين على وجوه هذه الطائفة من الناس المسكنة ورقة الحال، وربما كانوا من سكنة الجبال الذين يعيشون بين كشمير وبين التبت، لأن التبت لايفصلها عن كشمير إلا جدار عالٍ من جبال الهملايا التي تجلل هاماتها الثلوج حتى في هذا الوقت من السنة.

وأما عامة الناس فإنهم أحسن حالاً من أهل الهند في منظر الاجسام ونظافة الهندام بل إن النحافة المفرطة والحفاء الموجود في بعض البلاد الهندية والتخفف من

اللباس إلى درجة ألاَّ يبقى على الجسم إلا مايستر العورة المغلظة ليس كل ذلك موجوداً هنا.

وأما المدينة فإنها ذات حدائق كثيرة ونوافير تتطاير منها المياه ولكن أرصفتها غير جيدة وشوارعها لا تستطيع أن تزهو بنظافتها على المدن الهندية النظيفة مثل (بنقلور) عاصمة ولاية كرناتك فهي أفضل من هذه المدينة نظافة.

ويلاحظ المرء هنا كثرة الفواكه وتنوعها في هذه البلاد فأنت تجد فاكهة البلاد الباردة مثل الكرز والتفاح إلى جانب فاكهة البلاد الحارة كالموز والفاكهة التي تعيش بين حدود البلاد الحارة المعتدلة مثل المانجو.



حديقة في سرنقـــر

لقد تعبت من السير دون أن أعثر على ما أريده وهو فندق من الدرجة الأولى ترتاح إليه نفسي فسألت أحد المارة بالانجليزية عما إذا كان بقربنا فندق كبير؟ فأجاب نعم، إنه هناك اذهب إلى الأمام ثم انعطف إلى اليمين فاليسار حيث تجده مكتوباً عليه اسمه (بادشاه هوتيل).

وعندما وصلته تنفست الصعداء إذ منظره لابأس به وإن لم يكن على المستوى الذي أطلبه إلا أنني فوجئت بلافتة صغيرة مكتوبة على المكتب بالانجليزية (لايوجد لدينا محلات خالية) فسألت الموظف الذي وجدته في الادارة وهو شاب مهذب عن فندق مناسب فقال إنه فندق (بروى) أو فندق (جهانقير) فسألته عن الأخير فقال إنه ليس ببعيد إذ تستطيع أن تسير مع هذا الشارع مباشرة حتى تتجاوز الجسر الذي فوق النهر فتصل إلى نافورة هناك فتجده أمام النافورة.

ولما وصلت الفندق وجدت فيه فتى أراني غرفة واسعة مضيئة في الطابق الثالث إلا انه صعد بي مع درج متعب فسألته: لماذا لا يعمل مصعدكم هذا؟ فأجاب: (خراب) وهى الكلمة المستعملة لهذا المعنى في الأوردية، فقلت له بالعربية وهى المستعملة بالاوردية أيضا (تعمير ضروري) وقد أصلحوه بالفعل بعد ذلك.

وسألته عن أجرة الغرفة فأجاب: إنها مئة وخمسون روبية فقلت: هذا جيد وسأحضر امتعتي الآن ووجدت سيارة أجرة واقفة عند باب الفندق فركبت فيها وطلبت من السائق أن يذهب بي إلى الفندق الأول فلما وصلته لم أر المدير على المكتب وإنما وجدت عليه موظفاً آخر فقلت له: ياهذا إن غرفتكم باردة وليس في حمامها ماء جار، وإنني أردت الانتقال إلى فندق آخر وهو (جهانقير) وقد لبثت عندكم ثلاث ساعات فكم تريد مقابلها؟ فأجاب: إن أجرة الغرفة في الليلة خمسون روبية ويكفينا منك عشرون فأعطيته إياها شاكراً، وحملت أمتعتي إلى الفندق الجديد.

ولما وصلت سألت سائق الأجرة عن حقه فأجاب: عشر روبيات فاستكثرتها وأردت أن أراها في العداد فعاونني بواب الفندق وإذا بها خمس فقلت له أنت مسلم فكيف تفعل ذلك؟ فأجاب: خمس روبيات أخرى لأجل الحقيبة. وكان هذا هو عذراً قبيحاً في البلاد الهندية لأن الحقيبة مع راكب واحد لايلزم لحملها شيء.

وأسفت جداً لمغزى هذه المسألة الصغيرة إذ أنني في كل بلاد الهند التي يعمل فيها الكفار على سيارات الأجرة لم الاحظ أن احداً منهم حاول ان يأخذ مني أكثر من حقه كما ذكرت العروض والمساومة في المطار وذلك كله أمر رأيته هنا فقط فتأكد

في ذهني ماكنت قد ظننته من قبل وهو أن المسلم إذا ضيع التقيد بأوامر دينه والانتهاء عن نواهيه فإن الأخلاق الأخرى المصلحية الموجودة عند الأمم الأخرى لا تكون عنده. وقد جربت هذا في كثير من البلدان الإسلامية.

على أن عدم الوعي الديني والسياسي تجلى عند هذا السائق عندما بدأ يقول لي بدون مناسبة إنه لا يحب باكستان لأنها أعلمت (على بوتو) ولم يكن في حالة من صفاء الذهن أو من الاستعداد العقلي للنقاش، وإلا لكنت ناقشته وسألته عما قدمه (علي بوتو) للمسلمين في كشمير بخاصة وفي القارة الهندية بصفة عامة كما أنه قد حوكم في بلده مدة طويلة محاكمة علنية نشرت كل وقائعها فلماذا البغض لباكستان بسبب قتله أو إعدامه كما قال؟ اللهم إلا أن يكون ذلك بسبب التأثر بالدعاية الهندية.

يوم الخميس: ١٣٩٩/٦/٢٠هـ ١٩٧٩/٥/١٧م

كان البرد في الليلة البارحة شديداً عليّ إذ أثار البرد في كشمير بقايا الانفلونزا التي كان الحر في (بتنه) قد أغراها بي ولذلك لم يكفني إلا غطاء السريرين الموجودين في الغرفة كليهما عند النوم ولم يكن من السهل أن أغادر الفندق اليوم بسبب التعب فقضيت أوله في غرفتي التي هي ليست بالغرفة المغلقة بل جدارها الخارجى زجاجي كله وهي مرتفعة هنا تطل على شوارع القسم الحديث في مدينة سرنقر وأمامها نافورة للمياه تتوسط ميداناً صغيراً والأهم من ذلك أن المرء يرى منها بوضوح جبال الهملايا العملاقة، وكأنها الحائط العظيم قد نشرت عليه أردية بيضاء، إذ الثلوج تجلل رؤوسها كلها فهي هنا تشبه منظر جبال الهملايا في الفندق الذي نزلت فيه في (كتمندو) عاصمة نيبال ولأنها هنا ترى من جهة الجنوب الغربي ومن جهة الغرب أما في (كتمندو) فإنها ترى من الشمال إلى الشمال الشرقي ومع أن جبال الهملايا تبدو قريبة من سرنقر فإنها تبعد عنها حوالي مئتي كيل ولكنها ترى بهذا الشكل لارتفاعها.

ومنظرها إلى جانب منظر الإحساس بالبرد من أثر بقايا الانفلونزا مما يزيد المرء شعوراً بالبرد الشديد ومما يمنع من أن يحلم بالوصول إلى هذه الجبال ورؤية أقدامها.

وكما كان عليه الحال في (كتمندو) حيث يرى المرء جبالاً اخرى دون جبال الهملايا أقصر منها وليس على رءوسها ثلوج فإن الأمر هنا كذلك إذ انني من غرفتي أرى جبالاً دون جبال الهملايا أقل ارتفاعاً وليس على ظهورها ثلوج لأنها خضراء خضرة كثيفة ترى على البعد.

وهذه الجبال تحيط بعاصمة كشمير ولكنها تفسح لها المجال أكثر مما تفسح جبال كتمندو ذلك لها، ورغم كون نيبال محاذية في الحدود لكشمير فإن مظاهر الناس وألوانهم وعاداتهم ولباسهم كل ذلك يختلف اختلافاً جوهرياً مابين البلدين، ولعل مرجع ذلك إلى الديانة إذ في نيبال أغلبية السكان يدينون بالهندوكية، وفي كشمير تدين الأغلبية بالإسلام والدين في أغلب البلاد الهندية ليس مقتصراً على الاعتقاد في القلب كما عليه الحال في معظم الدول الحديثة وفي البلدان العربية، وإنما يصحبه هنا تميز باللباس بل حتى طريقة الحياة لأن الطعام يكون في بعض الأحيان مختلفاً مثل الاختلاف الحاصل بين المسلمين والهندوكيين في أكل اللحوم.

أما الأوضح والأظهر هنا فهو لباس النساء فالهندوكيات يلبسن لباساً يظهر قسماً من وسط الجسم والمسلمات لايفعلن ذلك.

ففي هذه البلاد (سرنقر) لايكاد المرء يرى أية امرأة مسلمة تلبس اللباس الهندوكي الذي يظهر شيئاً من الجسم وإنما هو في أكثره لباس كلباس الباكستانيات الذي هو قميص يضرب إلى مافوق الركبة وتحته سروال واسع طويل وفوق الكتفين منديل من القماش الرقيق يكون حريرياً في أكثر الأحيان وليس له قيمة في اللباس إلا كونه متمماً له مثل رباط العنق في البدلة الافرنجية فهو يتدلى طرفاه من خلف ظهر المرأة دون أن يسترمنها شيئاً أو يفيد بشيء وإن كان لبسه في الأصل لكى يغطي الرأس.

والحجاب هنا موجود ولكنه ليس كثيراً فلا يعدم المرء أن يرى امرأة متحجبة حجاباً كاملاً بحيث لايرى شيء من بدنها أو وجهها البتة.

كيف دخل الإسلام إلى الهند:

لابد لكل مسلم يدخل إلى الهند و يرى انتشار المسلمين في كل بقاعه أن يسأل نفسه إذا كان مهتماً بأمر المسلمين عن الكيفية التي دخل بها الإسلام إلى هذه البلاد الواسعة المتعددة الأجناس والأصقاع وإن كانت كل أجناسها وأصقاعها لها طابع خاص مشترك هو الذي جعلها جميعاً تندرج تحت (الهند).

وهو إذا سأل ذلك السؤال فإنه لن يجد إجابة مختصرة كافية في كتب التاريخ العربي القديم ذلك بأن الحديث عن الهند متفرق في عدد من الكتب العربية القديمة ولسبب آخر وهو أن أحداثاً جسيمة حدثت في الهند ومدنية إسلامية إزدهرت فيه خلال عصور الانحطاط الذي اصاب الأمة العربية بعد واقعة التتار فلم يسجلها المؤرخون العرب كما سجلوا الحوادث الاخيرة، لذلك عكفت اليوم على قراءة كتاب والد الشيخ ابي الحسن الندوى (الهند في العهد الاسلامي) بسبب عدم خروجى من الفندق.

وليس هذا المقام مقام إيضاح الكيفية التي دجل بها الإسلام إلى الهند فمحل ذلك في آخر الكتاب عند الكلام على الإسلام والمسلمين في الهند ولكن الذي استرعى انتباهي هنا وشدني إلى ذلك أكثر من غيره هو ان الفتح الإسلامي الذي دخل من الشمال لم يأت عفواً ولا كان إلا بعد جهاد عظيم وتضحيات جسام حمل القسم الأكبر منها الإمام الشهيد محمود بن سبكتكين رحمه الله، ومع الأسف الشديد إننا نشاهد الآن بعض المسلمين في البلاد العربية والبلاد الإسلامية الأخرى لايتصوزون ذلك، بل ربما لايبالون بما يلاقيه المسلمون في الهند في الوقت الحاضر ظنا منهم ان ذلك امر لايعنيهم وانهم لن يخسروا كثيراً إذا تجاهلوه.

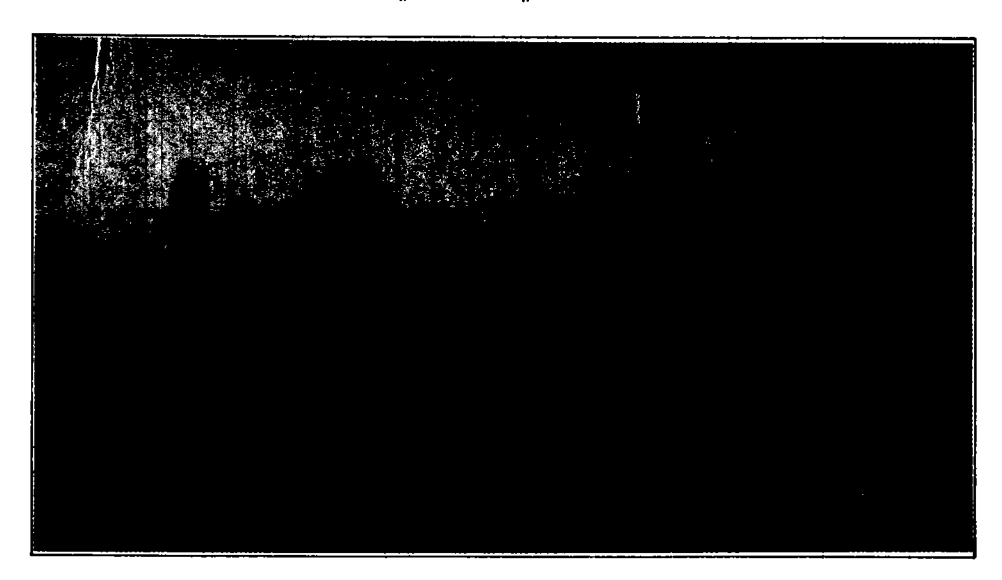
أما العقبات التي صادفت الفاتحين المسلمين في هذه البلاد التي أعتبر أنا بعد أن رأيت الهند وخيل إليّ أنني عرفت طبيعة أرضها التي تنتشر فيها البرك الأرضية والمستنقعات المائية في هذا الزمن الذي هو زمن السدود ومكافحة الأوبئة فإنني أكبر واجل الرواد والمسلمين الأوائل و بخاصة منهم أولئك الذين قدموا من بلاد ذات طبيعة جافة فصابروا فيضان الأنهار في الهند وصبروا على اجتياز مخاضاتها وقطع أوحالها فضلاً عن حرارة الجو والاوبئة المستقرة فيها منذ القديم.

يوم الجمعة ١٣٩٩/٦/٢١هـ ١٩٨٩/٥/١٨م

جولة على النهر:

هنا في سرنقر عاصمة كشمير يجرى نهر من أنهار كشمير الكثيرة قريباً من فندقنا بل هو ملاصق له و يسمى نهر (جيلهم).

وفي هذا الصباح كانت الجولة على الأقدام في ضواحي مدينة (سرنقر) الحديثة ومنها ضفة هذا النهر الذي لايتميز ببهجة المنظر، فضفافه طينية شبه واقفة وهى رمادية اللون ضاربة إلى السواد، ومياهه كدرة تشبه مياه النيل في وقت الفيضان من حيث اللون وإلاّ فإنه صغير لا يصح الحديث عن مقارنته بالنيل من حيث الحجم بل هو اصغر من احد فرعي النيل عند القاهرة وفي هذا النهر قد اقاموا قوارب بمثابة المساكن لطبقات فقيرة من الناس رايت الأغلب منهم من القرويين و بعضهم من ذوي السحن المغولية ولعل السبب في ذلك أنهم هم الذين يأتون من الأرياف وليس لهم مساكن في البلد فينزلون مثلما ينزل الريفيون الفقراء في أحياء شعبية من ضواحي المدن وقد رأيت عدة نساء يخرجن من نافذة القارب آنية البيت يغسلنها في النهر وهو يجرى وقد عرفت بعد ذلك أن السكنى في قوارب في النهر ليست بدعاً في كشمير.



بيوت على الماء في سرنقر

وقد مررت على أحد الحوانيت برجل كشميري رأيت عنده آخر جالساً يشبه الصينيين ولكن على رأسه طاقية مما يدل على أنه مسلم فسألته أأنت من الصين؟ فأجاب: لا، أنا من التبت من المسلمين هناك، وسألته هل أهل التبت هنا كثيرون؟ فأجاب: لا، ولكن يوجد منهم أناس من اللاجئين هربا من الشيوعية.

وقد رأيت كثرة الفاكهة ظاهرة وأنواع الفواكه متعددة قل أن تطلب نفسك شيئاً منها فلا تجده فاشتريت منها من ثمار العمبة (المانجو) الجيد بسعر ٥ روبيات للكيلو أي: ريالين سعوديين، والبطيخ الأصفر الشمام بروبيتين للكيلو والكرز الجيد الكبير الحجم نسبياً بست روبيات الكيلو.

وهذه الأسعار ليست رخيصة إذا قيست بمستوى المعيشة وبأن البلاد خصبة كثيرة الأمطار بل متعددة البحيرات والأنهار.

ولاحظت أنه يوجد هنا طائفة من الزهور التي تباع أو توضع على المناضد.

والحدائق ذات النافورات موجودة هنا بكثرة لافتة للنظر حتى إنك لتظن أنك في أوربا ولست في آسيا والناس يستمتعون بها ويستعملونها للجلوس أو الا ستلقاء والراحة، وقد رأيت مرة بعض الناس يصلون فيها إذا حان الوقت كما نفعل نحن وليست الحدائق في ضواحي المدينة وأطرافها بل في وسطها الحديث مثل المنطقة التي يقع فيها فندقنا.

الخطبة العجيبة:

قلت لأحد الخدم الذين يعملون في الطابق الذي أسكن فيه من الفندق: إني أريد أن أصلي الجمعة وأريد أحداً يدلني على جامع قريب فقال: إن مديرنا يصلي الجمعة والخروج إلى المسجد يكون في الثانية إلا ربعاً لأن الصلاة في تمام الساعة الثانية والنصف، وسوف أخبرك بالموعد فما عليك إلا أن تبقى في غرفتك حتى أخبرك.

ولكنني استبطأته، ونزلت إلى قاعة الاستقبال السفلى فلبثت قليلاً حتى أقبل

ذلك الخادم ومعه رجل بدين وجيه قال لي بعد أن سلم وحياً: اتريد صلاة الجمعة؟ قلت: نعم، فقال: هيا.

ولما سألته عن اسمه قال: (شيخ محمد أفضل) فسألته عن عمله، فقال: أنا مدير الفندق فسرنا على أقدامنا إلى المسجد مع شارع عجيب ذي حوانيت على جانبه فوقها طبقتان من المنازل أمام تلك المنازل رواشن (جمع روشان) كما نسميها نحن في الحجاز وهي الشرفات الخشبية وهي هنا معمولة من الخشب المخروط وكلها ذات عقود ومحاريب بديعة بحيث يكاد يبدو الشارع لوحة واحدة فنية، لايرى البصر فيها موضعاً ليس فيه شيء من هذه الشرفات البديعة التي كان يوجد مايقرب منها عندنا في الحجاز في بيوت الأغنياء والوجهاء ولكنه انقرض الآن لأنه عمل يدوي شاق، ومثل هذه الشرفات الخشبية أصبحت قليلة الوجود الآن في العالم.

وعندما سرنا مع الشارع حوالي ٣٠٠ متر خرجنا منه إلى زقاق يوصل إلى ميدان صغير أرضه مفروشة بالحجارة السوداء المهذبة تحيط به بيوت من طابقين فيها شرفات خشبية (رواشن) ولكنها أقل وجاهة من تلك التي على الشارع الكبير وهذه الحارة من الأحياء القديمة في هذا الجزء الذي هو يعد من القسم الحديث في عاصمة كشمير مدينة(سرنقر).

إن هذا الميدان الصغير الذي فرشت أرضه بالحجارة وأحاطت به البيوت الصغيرة ذات الطراز القديم ومنظر بعض النسوة المتحجبات و بعض الأطفال الموجودين في الشارع والشيوخ الذاهبين إلى المسجد وهم يتمتمون بالدعاء لما يجعلنى أعتقد أننى في الأحياء الشعبية في بعض المدن العربية كدمشق والقاهرة وهي بدمشق أشبه، لأن ألوان الأطفال والنساء فيها يغلب عليها البياض.

وصلنا إلى المسجد الجامع فإذا بنا ندخل مع باب خشبي ضيق أفضى بنا إلى أماكن للوضوء مظلمة بعدها يدخل المرء إلى مسجد صغير فوجئت بصغره رغم أن فيه محراباً في جهة القبلة إلا أنني عرفت السبب فيما بعد.

ولم نكد نجد مكاناً بسبب صغر المسجد وامتلائه بالمصلين وكان الخطيب قد بدأ

الخطبة إلا أنني أسمع صوته ولا أراه وإنما نسمع الخطبة واضحة من سماعة مكبرة للصوت في المحراب.

وتبين بعد ذلك أن المسجد الرئيسى هو في طابق أعلى من هذا الذي نحن فيه وأن الأعلى قد امتلأ وهذا الجزء الأسفل في المسجد كأنه مسجد مستقل وبجانبه جزء آخر كأنه مسجد مستقل أيضا ولكن يصل بينهما باب ونافذة.

وكانت خطبتهم عجيبة حقاً إذ يتخللها مايشبه الأناشيد والأصوات المنغمة الجماعية فهي بالأوردية أو الكشميرية لا أدرى ولكن الخطيب يورد آيات قرآنية فيقرأها بألحان عجيبة غريبة جميلة حتى إذا بدأ فيها شاركه في تلاوتها بالألحان جماعة من الحاضرين في الصلاة وقد تكرر منه تلاوة الآيات الكريمة (**ياأيتها النفس المطمئنة ارجعى إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي**) ثم إذا أتم هو ومن معه تلاوتها بالالحان أخذ يفسرها بلغته دون أن يشاركه أحد ثم عاد يتلوها بالحان جميلة لاتشبه الألحان التي تقرأ بها في البلدان العربية وإنما قد يقال إن فيها شبهاً قليلاً من الحان القراءة عند الفرس فيتابعه القوم باصواتهم وهم مثله يتلونها بالالحان.

ثم يعود ليتكلم بلغته حتى يأتي على شعر أو مايشبه الشعر في تلك اللغة فيقرأه بلحن يتابعه عليه المصلون حتى يظن المرء أنه يسمع تواشيح دينية جماعية وليست خطبة في مسجد جامع ثم يعود فيورد آية قرآنية أخرى بلحن منغم يتابعه عليه بعض المصلين وهكذا.

وقد تذكرت بعد ذلك أن هذه لاتعد من الخطبة الشرعية للصلاة وإنما ذلك حسب عادتهم في الهند وباكستان وماقرب منها أن يلقي الخطيب قبل الخطبة الشرعية موعظة باللغة الوطنية تكون طويلة في الغالب لأنه يلقيها والمصلون يتقاطرون على المسجد، ولأنها تكون باللغة التي يفهمونها ثم بعد ذلك يؤذن المؤذن لصلاة الجمعة فيبدأ الخطيب بخطبة قصيرة إما أن تكون كلها بالعربية أو يكون جزء منها بالعربية.

وكدت أجزم عندما دخلنا المسجد بأن هذه هي الخطبة الوحيدة لولا أن المؤذن أذن دون فاصل ثم عاد الخطيب نفسه فقرأ باللغة العربية خطبة قصيرة مسجوعة ربما

كانت من أحد الكتب القديمة صلى فيها على النبى صلى الله عليه وسلم ثم ترضى عن أصحابه الأربعة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وكل واحد له سجعة تخصه لايشاركه فيها غيره وقد يخصه أكثر من سجعة ثم على السبطين الكريمين الحسن والحسين ثم على عدد من الصحابة الآخرين بسجعات أخرى ثم قال: وعلى الإمامين الجليلين الربانيين السيد عبدالقادر الجيلاني والسيد أمير الهمداني وكنت أعرف أن الهمداني هو الذي انتشر الدين الإسلامي على يده في كشمير فأعرف السبب في الدعاء له، ولكنني عجبت كيف يدعون للشيخ عبدالقادر الجيلاني وهو لم يصنع لهم شيئاً إلاّ مثل ماصنعه لهم غيرهم من العلماء لاسيما أنه مات قبل أن ينتشر الإسلام في كشمير.

وعندما فرغ من خطبته القصيرة بالعربية التي أعتقد ألا أحد يعرفها غيري، بدأ بخطبة أخرى قصيرة دعا فيها للإسلام والمسلمين فأمن بعض الناس على دعائه الا أنه عندما أخذ يدعو باللغة الوطنية ضج المسجد بالتأمين لأنهم كانوا آنذاك قد بدأوا يفهمون مايقول.

ثم أقام الصلاة وصلى صلاة مطمئنة وعندما سلم منها اخذ هو وجميع المأمومين يدعون بأصوات منغمة وبشكل عال بحيث ارتجت لذلك جنبات المسجد واستمروا على ذلك فترة دون انقطاع وكلهم يشارك فيه.

فلما فرغوا منه أخذوا بالتنفل فصليت ركعتين كعادتى إلا أنهم استمروا بعد ذلك يصلون وأنا الوحيد الجالس بدون تنفل.

ثم خرجت مع صاحبى وسألته عن المكان الذي يقال إن فيه شعرة من شعرات الرسول، صلى الله عليه وسلم، فقال: الأفضل أن تأخذ سيارة الأجرة التابعة للفندق وسوف أبعث معك دليلاً من قبلي يعرف الانكليزية ليريك بقية المساجد والأشياء المعظمة في هذه البلاد فقلت له: شكراً وليكن ذلك غداً.

ثم طلبت منه أن يعطيني بعض النشرات السياحية عن هذه البلاد إذا كان لديه منها شيء فقال: هناك نشرة باللغة العربية.

فلما أعطانيها رأيتها مكتوبة بلغة عامية ممسوخة وهي اقل وضوحا بالنسبة إلي من الانكليزية ولقد عجبت وهي صادرة من مصلحة السياحة ألا تجد من ينبهها على ذلك، وربما كان السبب أن معظم الذين يأتون إليهم من العرب لغرض السياحة هم من الذين يعرفون الانكليزية مع أن العرب الذين يقدمون إلى هذه الولاية (كشمير) قليل جداً حسبما فهمته وقد دلني على ذلك تخمينهم لجنسيتي فأكثرهم يسألني أأنت فرنسي وبعضهم يقول: ألماني، وقال اثنان منهم: أأنت أمريكي فأجبتهم أنا عربي مسلم ولله الحمد فيبين السرور على وجوههم وصاروا يسارعون بقولهم: السلام عليكم وبعضهم يقول: ياأخي.

والواقع أن هذه البلاد تكاد تكون مجهولة من أكثر أهل البلدان العربية مع أنها بلد سياحي أنموذجي ورخيص جداً إذا تجنب المرء النزول في فنادق الدرجة الأولى، إلا أن الذي يتصور السياحة على أنها لهو ولعب فإنه لن يجد بغيته هنا بسهولة لأن القوم هنا مسلمون متمسكون بتقاليدهم رغم سفور نسائهم أو هذا هو مبلغ علمي عنهم.

وإلا فإن السائح يجد فيها المناظر غير المألوفة له والعادات والمآكل المختلفة كما يرى طبيعة الأرض الجميلة والحدائق والبرك والجبال الخضراء التي تجللها الثلوج وسيجد الجو دفيئاً مناسباً له عندما يصليه الحر بناره في بلاده العربية.

وسيمتعه أن يجد فيها قوماً من البسطاء الذين يحبون الإسلام والمسلمين ولايحملون في قلوبهم غلاً لغيرهم.

كما أنه ربما يلاحظ مالاحظته من أن القوم لايمتازون على بقية أهل الهند في الذكاء ولذلك لايفهمون كلامك إلا إذا كان واضحاً وربما تقول: مكرراً.

كما أنهم في الفندق لايتقيدون بالقواعد التي يأخذبها من يدعون الإمعان في التمدن والتحضر مثل الدخول عليك في الغرفة بدون استئذان بل حتى دون قرع الباب بأصبع اليد.

والفضوليون فيهم قليل إلا إذا عرف الواحد منهم أنك غريب فإنه يسرع بسؤالك

عن بلدك وجنسيتك ولماذا جئت إلى هذه البلاد كل ذلك بطريقة عفوية.

إلا أنهم مؤدبون مع الأجنبي الذين يحترمونه بشكل عجيب حتى إن مجرد نظرة منك إلى الخدم تجعلهم يهزون أجسادهم و يسرعون إلى الاستفسار منك عما تر يد وهم في هذا الأمر بأهل نيبال أشبه منهم بأهل الهند.

ومعاملة الرجال للنساء في الشارع هنا مثل ما هي في الهند فلا مغازلات ولامحادثات نابية ولاشيء من ذلك يخدش الذوق حتى أنك لتحس أن الرجل منهم ينظر إلى المرأة كما ينظر الرجل إلى الرجل وقد تعمدت أن ألمح أي انطباع خاص على وجوه رجالهم أو أي اهتمام عندما يمر بهم سرب من الفتيات الحسان النظيفات الأبدان والثياب فلا أرى أي انعكاس لذلك لا طرباً وزهواً كما يفعل الرجال في بعض البلدان، ولا نظرات فيها شيء من الرغبات المكبوتة ولا كلمات أو عبارات تدل على ذلك مع أن نساءهم والحق يقال لسن كالهنديات بل ربما يراهن السائح جديرات بأن يهتم بهن الرجال، و بأن يمتعوا أبصارهم برؤ يتهن وأسماعهم بحديثهن.

ذلك بأنهن إلى صباحة وجوههن واتساق تقاطيعها فإنهن ذوات قامات ممشوقة واجسام متناسبة فالسمن المفرط والذي يقرب من الإفراط الموجود في بعض أنحاء الهند والترهل في الأعضاء الذي هو الغالب على المسنات فيها لايلاحظ هنا والنحافة المفرطة في بعض النساء الهنديات ليست موجودة في النساء هنا.

وفيهن كما في بقية السكان من هذه البلاد لطف وظرف لايوجد عند أهل الهند حتى إنك إذا حادثت كشمير ياً لمدة قصيرة شعرت بأنك قد أصبحت صديقاً له فإذا قلت في نفسك إن ذلك ربما يكون وهماً أو من تصو ير خيالات فإنه و بدون قصد منه تبدر منه بادرة تنفي وهمك وتز يد علمك بطيب قلوب هؤلاء القوم ومحبتهم للغر يب فهو يؤكد صداقته لك ولو بأن يسألك عن موعد اللقاء القادم بك في مطعم شعبي.

كان عشائي أمس في مطعم صيني في الطابق الأعلى من الفندق الذي أسكن فيه، وهو فندق (جهـا نقير) المسمى على اسم الملك المغولي (جهان قبر) أي ملك العالم ليس مناسباً وهو إلى ذلك غالٍ إذ بلغت الوجبة ثمناً هو (٣٢) رو بية ومع ذلك كل مافيه غير طبيعي بل شبه مستورد إن هذه البلاد ليست صينية ولذلك عندما

سألت الفتى الذي يخدم مائدتي فيه: أأنت من الصين؟ أجاب لا أنا من نيبال، مع أن ملامحه ملامح الصينيين ولكن نيبال فيها من كل أجناس الشرقيين ملامح كما شرحت ذلك في كتابي «نيبال بلاد الجبال»

فقلت في نفسي لأجرب اليوم مطاعمهم الشعبية فهم مسلمون ليس هناك مشكلة في مسألة اللحم وحله وهم إلى ذلك نظيفون فيما يظهر من احوالهم. ووجدته مطعماً مزدحماً نوعاً إلا أن ذلك ليس مثل الإزدحام الذي يكون عادة على المطاعم الهندية وبخاصة ماكان منها في بلاد البنغال.

ودخلت المطعم وربما لايصح أن يقال إنه شعبي جداً على الاصطلاح الذي سار عليه الناس بأن لايسموا بذلك من الأماكن إلا مايرتاده فقراء الشعب إذ جل من رأيتهم هنا ثيابهم نظيفة وهم من أهل المدينة فليس عليهم علامات الريف من أثر الشمس والخشونة في الأجساد.

وعندما جلست على مقعد نظيف وإن كان قديماً أمامه مائدة معتادة من الخشب جاء إليّ الخادم وهو رجل في سن الخمسين سمح الوجه حليق كما هي عادة أكثرهم إذ لا تكاد تجد من أهل هذه البلاد من المسلمين من يعفي لحيته فسألني عما أريد بلغة لا أدري ماهي؟ ولم يقدم قائمة للطعام ربما لأنها غير موجودة أو لأن رواد المطعم يتفاهمون مشافهة فطلبت منه بالانكليزية وهو يعرفها معرفة رديئة أن يحضر لي أرزاً ولحماً بالمرق وإذا أطلق اللحم هنا يراد به لحم الغنم لاغير ويسمونه (ماتن) وهي ليست بعيدة من اللفظ الفرنسي له (موتون) ولاأدري أأخذت إحدى اللغتين من الأخرى أو الأمر إنما هو مصادفة وظني أن الأخير هو الصحيح لأن الأشياء التي يشيع استعمالها تنفرد كل لغة أو مجموعة من اللغات بأسماء خاصة لها لا تنقلها عن غيرها إذ تكون تلك الأسماء قد استقرت في تلك اللغات قبل سهولة الاتصالات في العصور الحديثة.

وكان أول مافعله هو أن أحضر ماء للشرب في كأس وضعه على المائدة وهذا أمر موجود في كل المطاعم التي دخلتها حتى مطاعم فندقنا مع ان البلاد باردة وهذا الفصل بالذات فصل بارد ولكن ربما كان هذا تقليداً عندهم متبعاً من أهل الهند.

ثم جاء بصحن كبير من الأرز وإناء يشبه القدر الصغير من المعدن فيه مرق ولحم وافر من لحم الغنم سررت له وكنت طلبت منه ألا يكون فيه شيء من الفلفل أو التوابل الحارة فقال: إننا لانضع في الطعام شيئاً من الفلفل وكان ذلك صحيحاً.

وكانت أكلة شهية إذ المرق خفيف خالٍ من الأصباغ الملونة والدهن الثقيل الذي يميز مرق أهل الهند الذي يسمونه (الكاري) حتى أصبحت هذه التسمية عالمية لنوع غليظ ثقيل من المرق.

وبعد هذا الطعام طلبت القهوة فجاء بها مع الحليب الذي أخبرني أنه حليب طازج وليس مجففاً وعند الحساب كانت القائمة إحدى عشرة روبية ونصفاً أي أقل قليلاً من خمسة ريالات وكان الخادم مهذباً لطيفاً فأعطيته روبيتين حلوانا (أي بقشيشاً) فأخذها وأسرع يدسها في جيبه وهو ينظر حواليه لئلا يبصره أحد من زملائه الذين كان عددهم أربعة إذ كانت فوق مايطمع به كما انني لاحظت أن دفع (البقشيش) هنا ليس شائعاً فيما يظهر إذ لم أر أكثرهم ينتظر مني ذلك كما عليه الحال في وسط الهند.

وكنت أتفرس في وجوه رواد هذا المطعم وكلهم من أهل البلاد فلا أرى فيهم مايدل على أنهم من أهل الهند بل إنهم بالأفغان والأكراد أشبه منهم بالهنود فإذا أضفت إلى ذلك في ذهني أن ديانتهم الإسلامية تختلف عن ديانة أهل الهند تصورت أي شعور يشعرون به إزاء الهنود على أنني لم أسمع شكوى كثيرة من هذا الأمر ولا أدري سببه وربما كان لضعف الوعي السياسي ولانقطاع الصلة بينهم وبين المسلمين في الخارج دخل في ذلك إضافة إلى تأثير الدعاية الهندية فيهم.

وفي سوق شعبي :

بعد ذلك تجولت في سوق شعبي في الحي الحديث من (سرنقر) وهو غير بعيد من فندقنا جها نقير ولكنني لم أزره قبل ذلك فإذا بي أزداد يقيناً بشدة الشبه بين هؤلاء القوم أو على الأصح بين مدينة سرنقر والأحياء القديمة في مدينة دمشق ذلك بأن باعة الفواكة المختلفة موجودون في أكثر أنحاء الشارع بتعددها وكثرتها وأنواعها ليست ببعيدة من تلك التي يقف بها البائعون المتجولون على مفارق الطرق أو في الشوارع

الجانبية في مدينة دمشق وهناك إلى جانبهم أيضاً باعة الخضروات التي تطهى للطعام من الكرنب إلى الفاصوليا والبازلاء والفول.

وخيل إليّ وأنا أسمع بعضهم ينادى على بضاعته بلغته الكشميرية أنه يلفظ اللفظ نفسه الذي ينادي به بائع الفاكهة أو الخضار على بضاعته في دمشق وذلك من حيث إخراج الكلمات وطبقة الصوت وليس لهم بذلك أدنى علاقة بما كانت تلتقطه أذني من مناداة الهنود في قلب البلاد الهندية بعضهم بعضاً تلك المناداة التي هي ذات طابع خاص وطبقة صوتية معينة لايكاد المرء يسمعها من غير الهنود تماماً مثل الغناء الهندي الذي هو نغمات معينة وطبقات صوتية رقيقة وهم يطربون له و يغنون بمثله في بلادهم الهندية كلها على اختلاف لغاتهم.

و يزيد الشبه هنا بدمشق مناظر الصبية الذين يبيعون أو يمرون بوجوههم البيضاء والباعة الكبار بالإشراق الموجود على وجوههم مماثل أو قريب لما تلاحظه على وجوه سكان الشام من الريفيين والقرو يين.

كما أنك في هذا السوق وفي سائر أسواق مدينة سرنقر لاتجد زحام عربات الركشا التي تميز أكثر المدن الهندية فالعادية منها التي تسيرها قوة الآدمي غير موجودة أصلا والركشا النارية نادرة هنا أو أندر من النادرة وإنما وسيلة المواصلات هي الحافلات العامة وهي كثيرة وكذلك سيارات الأجرة المعتادة ولكن أبواق السيارات المزعجة تسمع منها وتزعج الناس إلا أنها على شكل أقل مما هي عليه في بقية المدن الهندية.

أما البضائع في هذه السوق فإنها بضائع جيدة مما يشعرك بأن القوم أحسن اقتصاداً وأيسر أحوالاً من بقية البلاد الهندية، ولاشك في أن هذا هو الانطباع ولكنه ليس بالدراسة الدقيقة الصحيحة إلا أن مظاهر الفقر المدقع والتسول الشائن ليست موجودة في الشوارع.

وعلى أية حال فإن السائح مثلي الذي يحب رؤية الغريب من دون أن يتطلع إلى الحصول على شيء قريب منه سيستمتع بالجولة في هذه الشوارع بين هؤلاء القوم الذين يشاركونه في أشياء كثيرة لعل أسرعها هو المظهر الخارجي.

يوم السبت : ١٣٧٩/٦/٢٢هـ ١٩٧٩/٥/١٩م

جولة في ضواحي سرنقر:

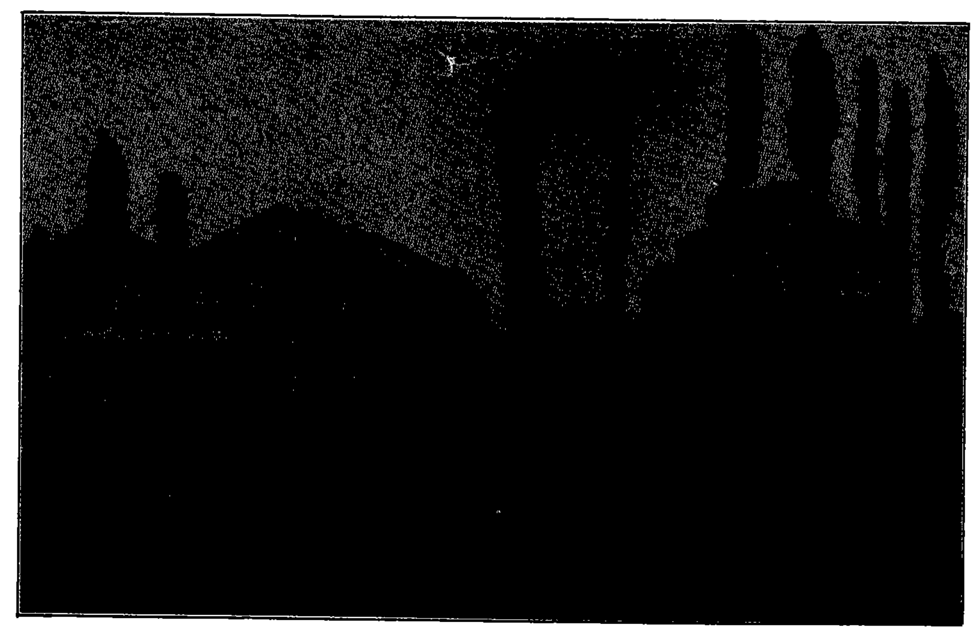
هذا اليوم هو يوم سار وفي الوقت نفسه محزن بالنسبة لما رأيته فهو سار لأنني رأيت فيه أشياء كثيرة لم أرها من قبل وهي جديرة بالرؤ ية وهو محزن لأنني شاهدت فيه أفعالاً من الخرافات والخز عبلات بل البدع والشركيات التي أدخلت على الدين الإسلامي الحنيف وهي تتنافى مع روحه بَل مع أصوله كل المنافاة.

وتلك قصة ذلك خلال جولة في هذا اليوم ــ وقبل ذلك لأبد من الإشارة إلى معنى اسم (سرنقر) الذي هو مركب من كلمتين هما سري بعنى نبيل أو محترم ونقر بمعنى مكان أو محل فمعنى الاسم إذاً: بلاد المحترمين و يبلغ عدد سكانها حسب آخر إحصاء ست مئة وخمسين ألف نسمة.

غادرنا الفندق في الساعة التاسعة على سيارة أجرة تابعة للفندق والدليل كان الأخ (حبيب الله بخارى) ناسخ الآلة الكاتبة في الفندق وقد أمره مدير الفندق بذلك فسلكنا شارعاً رئيسياً في سرنقر اسمه شارع مولانا آزاد وهو ذو اتجاهين تحيط به أشجار عالية و بخاصة من جهته الجنوبية وقد امتد في استواء جيد حتى تغلق البصر إلى نهايته في جهة الشرق تلة جبلية عالية خضراء شديدة الاخضرار.

ورغم كونه في القسم الحديث من المدينة فإن على اطرافه حدائق نضرة حشائشها مهذبة وأشجارها عالية إلا أن الأزهار فيها ليست كثيرة كثرة الأعشاب الأخرى المطبقة، والمرور فيه مع أنه شارع رئيسي ليس كثيفاً في الحافلات العامة وسيارات الشحن التي تأتي من خارج المدينة أو تذهب إليه ورغم ذلك فإن نسبة السيارات في هذه المدينة أكثر منها في المدن الهندية الأخرى التي تماثلها. وقبل الانعطاف من هذا الشارع المهم أصبحت الحدائق يمينه وشماله بأشجارها الباسقة الوارفة الظلال.

ثم دخلنا إلى بحيرة فيها بيوت نظيفة المظهر ليست كالتي على نهر (جيلهم) التي رأيتها وإنما يظهر أنها لأهل اليسار أو للإيجار للسكن فيها بدلاً من الفنادق لمن يريد وعلى يمين هذه البحيرة محلة قديمة اسمها (قيت دلى) أي: بوابة دلى لأنه كان هنا



بيوت القوارب للاغنياء

بوابة قديمة تسمى بهذا الاسم وقد رأينا عدة فروع من المياه تجرى إلى هذه البحيرة مسرعة قادمة من الجبل بين البيوت تصب فيها إلا أن أكثرها مستور بجسور من قبل البيوت وذلك لأن مجراها ضيق.

أما البيوت هنا فهي من الآجر على طراز قديم لايزيد ارتفاعها على طابقين وهي ذات سقوف مسنمة حتى يزل عنها المطر إذا نزل عليها لأن هذه البلاد تعتبر من البلاد المطيرة.

شعرة عبدالقادر الجيلاني:

وصلنا إلى حي اسمه (كونيار) وإن كان دليلي يقول إنه منفصل عن (سرنقر) وإنه يعتبر قرية منفردة بذاتها ودخلناه، وهو ذو طابع خاص يشبه تماماً الأحياء القديمة في المدن العربية غير الكبيرة مثل مدينة حماه أو حمص في سوريا أو مثل مدينة (وجدة) في المغرب بيوته بالآجر ذات نوافذ خالية من الشرفات.

قصد بنا الدليل ساحة صغيرة مفروشة بالحجارة وأوقف السيارة ثم قال: هذا

الشيخ عبدالقادر فقلت: إن الشيخ عبدالقادر الجيلاني مدفون في بغداد فهل نقل إلى هنا؟ فقال: لا هذا وأشار إلى رأسه ثم قال: بعض شعره!!

فتملكني العجب الممزوج بالحزن وكاد يطغى عليّ شعور بالانتقام من بعض العقول السخيفة أو المحتالة التي تزين للعامة مالم ينزل به الله سلطاناً، وذلك بأن أعلن استنكاراً صريحاً لهذا الزعم.

وقولي له: إذا فرض أن بعض شعر عبدالقادر وصل إلى هنا وهو قد مات منذ أكثر من سبع مئة سنة فماذا ينفع الناس بشعره، بل ماذا ينفعهم هو نفسه وهو ميت محتاج إلى من يدعو له و يترحم عليه لأن سعيه لنفسه قد انقطع منذ أن فارق الحياة الدنيا ولكنني خشيت أنني إن فعلت ذلك فاتني ما أملت الاطلاع عليه إضافة إلى أن حب الاطلاع على جلية الأمر وسماع مايقولونه يوجب عليّ التريث فسكت.

تقدمني الدليل إلى بوابة لفناء خارجي موضوعة في الأصل بمثابة الزينة المكملة للبناء أو للمقام كما يسميه بعضهم وهي حديثة أو هي مجددة وعليها بالعربية والفارسية شعر نص العربي هو:

أنا الجيلي محي الدين اسمى   واعلامى على روس الجبال

وعبدالقادر المشهور اسمى   وجدى صاحب العين الكمال

وهذا الشعر كما ترى غث المعنى رث المبنى إلا أنه كتب لقوم لايعرفونه ولايعرفون ذلك عنه.

ومن هذه البوابة يدخل إلى فناء مرتفع نوعاً مفروش بالحجارة وجدت عنده عدداً من النساء الفقيرات ينتظرن الصدقة فيما يظهر من حالهن وإلا فهن لم يقلن شيئا.

وفي هذا الفناء تدخل مع ممر قصير إلى مدخل مسجد فرعي نظيف جداً عليه رواق خارجي من الخشب المحفور أعلاه على شكل محاريب وأقواس هلالية الشكل حتى إذا دخلت الباب إلى داخل المسجد وجدته صغيراً ذا أعمدة قصيرة حجرية وجدران خشبية منقوشة وسقف خشبي مزخرف ومحراب صغير عليه قوس من الخشب

المزخرف المصقول أما أرضه فإنها مفروشة بسجاد غير فاخر.

وكنت أظن أن هذا هو المسجد كله وهو في رأيي كثير على الشيخ عبدالقادر نفسه فكيف شعرته ولكن المفاجأة كانت عندما دخلت منه إلى مسجد آخر أعلى سقفاً وأكثر نقشاً وأنفس سجاداً أعمدته من الخشب المزخرف المحفور على شكل أخاديد طويلة في العمود من الأرض إلى السقف حتى يصل إلى السقف نفسه الذي هو آية من آيات النقش على الخشب لايفسد روعته إلا إذا عرف المرء أنه قد بني على هذه الفكرة السخيفة وأنهم يصنعون فيه ماهو أعظم من ذلك بينما كنت أتأمل البناء وأنظر إلى هذه الصنعة العجيبة بالخشب التي لم أرها نظيراً في الصنعة إلا في جامع (جزر مالديف)[1] أما من حيث الزخرفة فلم أر لها مثيلاً من قبل وعملهم في الخشب هذا وأمثاله إنما هو من واقع كون بلادهم بلاداً مطيرة ذات غابات كثيفة يتوافر فيها الخشب لذلك يكثر استخدامه ولذلك يتفننون في استعماله.

الماء المقدس والسادن:

بينما كنت اتأمل الصنعة في هذا المسجد وإذا بسادن الشعرة يأتي إلينا مسرعاً لأنه قد اعتاد أن يسرع إلى الغرباء ليشرح لهم تفاصيل هذا البناء الغريب ومافي داخله من شعرة لرجل مات قبل سبعة قرون وربما كان يظنني أجنبياً إلا أن الدليل الذي معي وهو الأخ حبيب الله البخاري بادره بقوله: عربي فقال: من أي بلد؟ فأجابه صاحبي: إنه سعودي فأخذ يشرح كل مايتعلق بالبناء والصنعة الموجودة في الخشب لأنه رآني مهتماً به أكثر من ذي قبل.

ثم قادني إلى مايشبه المحراب كتب عليه بالفارسية ما لا أعرفه وبالعربية (حضرت المحبوب السبحاني عبدالقادر الجيلاني).

وعندما وصلناه بادرنا بماء في قدح معدني صغير معه يقدمه إلينا ويقول: مقدس الماء مقدس فتناوله صاحبي وشربه بخشوع أما أنا فقد عفته. وأما القداسة فإنها فيما

---

(١) وصف المؤلف لغة الجامع في كتابه «رحلة إلى مالديف احدى عجائب الدنيا» الذي طبع في عام ١٤٠١هـ.

يقول قد جاءته لأنه قد قرب من شعرة عبدالقادر الجيلاني وإن كان بينه وبينها أبواب مقفلة!!!

ياحسرتا على هذه العقول التي تدعي أنها إسلامية.

وأسفل ذلك المحراب ترى أضواء من الشموع والأنوار الكهربائية وقد انعكس بعض ضوئها على جانب في الجدار عليه صفائح من معدن لامع يشبه الذهب وعليه كتابة بحروف عربية أكثرها بالفارسية لم أتبينها قال السادن وهو يشير بخشوع إلى هذا الباب إنه باب الشعرة!!! أي باب الخزانة التى فيها الشعرة فسألته عن هذا المعدن اللامع أهو الذهب؟ فأجاب: لا إنه من معدن آخر.

وقد رأينا طائفة من الناس جالسين وقد نثروا بين أيديهم (ملبساً) أي: كرات صغيرة من السكر وهم يعطون منه من يصل إليهم فيعطيهم في مقابل ذلك شيئاً يضعه في مكان عند هذا الموضع والسادن يرقبه فسألته عن هؤلاء القوم؟ فأجاب: (ختمت لسان العرب اسم ختمت) يريد أنهم يجتمعون لختم القرآن الكريم ولكنني لا أظن أن هذا مصادفة وإنما هم يعملون ذلك لاصطياد المعونة.

وقد لاحظت أن على جوانب المحراب الذي هو من الخشب المنقوش قد التصقت به كرات صغيرة من الزجاج اللامعة تعطي الانطباع الأول عند من لايعرف حقيقتها أنها من الجواهر لاحظت أن عليه كتابة بالعربية بخط الثلث الجميل؟

أفَلَتْ شموس الأولين وشمسنا أبداً على أنف العلى لاتغرب

وتحت هذا البيت النداء الشركى الصريح (ياغوث الأعظم) وتحته شموع تنعكس اضواءها عليه.

وقال السادن المقيم أو على الأدق (سادن الشعرة) ولو كنت مكانه لأنفت من ان أكون سادن شعرة لملك من الملوك الأحياء الذين ينفعون ويضرون في حياتهم فضلا عن شعرة من شعرات الاموات لم يثبت انها كذلك وربما كان هذا السادن نفسه لايستطيع الوصول اليها وروءيتها بل ربما لم يكن في هذا المقام الذي يحرسه ويخدمه أية شعرة على الحقيقة وإنما هو احتيال في احتيال.

قال السادن: إن هذا المحراب هو من بناء سخي شاه محمد داود وإن قبره هنا فهو مدفون بجانب هذه الشعرة حتى ينال بركتها ثم أرانا قبره عليه بناء وبجانبه قبر ابن له طفل وقبران آخران صغيران وذلك من شباك هناك يرى من داخل هذا المسجد.

وانصرفت من ذلك الى تأمل هذا البناء الغريب من الخشب المنقوش الصقيل فإذا بي أرى مع ذلك أن في هذا المسجد قناديل زجاجية قديمة وثريات أثرية وفراشه من السجاد الفاخر.

وقد غادرنا المسجد وفي نفسي مرارة واشمئزاز وأنا أرى طائفة من الناس مابين رجال ونساء جاءوا إليه وهم يخشعون كأنما هم داخلون إلى أحد الحرمين الشريفين أو بيت المقدس إن لم يكن خشوعهم أكثر من ذلك وكان لايزال في ذهني صورة السادن وقوله بالعربية (الماء المقدس) والناس الذين يخضعون ويخشعون وربما يرجون و يرهبون يرجون بركة شعرة رجل ميت أو يرجون قبول الدعاء عندها سيّان فالأمر كله يدور حول هذه الشعرة وقصد قلب الداخل ينصرف إليها وإلا لكان ذهب إلى مسجد من بيوت الله الخالية من هذه المظاهر الوثنية بل من مشابهة النصرانية مع ذلك إذ ما هى علاقة الماء المقدس بهذاالمسجد؟ ومن إين جاءت هذه الفكرة؟ بقى ان تعرف ماهى هذه الشعرة وأين كان موقعها في جسم الشيخ عبدالقادر الجيلاني، رحمه الله، وهل هي من رأسه؟ أم من مكان آخر؟

لقد كنت سألت السادن عن هذا الأمر فاجاب إنها من لحيته!!!

مواصلة السير:

عدنا إلى ركوب السيارة في شوارع هذه البلدة والجزء القديم من مدينة (سرنقر) عاصمة ولاية كشمير وسط بيوت مبنية بالآجر ذات سقوف مسنمة لايعدم المرء ان يرى فيها بعض الشرفات الخشبية ذات الطراز القديم ومررنا بمكان مسور بسور حجري تبدو عليه العناية الكبيرة وهو ذو باب يدخل فيه الناس وبخاصة النساء إلى فناء مكشوف واسع سعة لافتة للنظر، وقد كتب عليه بحروف عربية (مزار شهداء) سألني الدليل: اتريد رؤية ما بداخله؟ فسألته: ماذا فيه؟ فأجاب: قبور شهداء قلت: لا.

وفي هـذه الـقـريـة أو الجزء من مدينة (سرنقر) لايشاهد المرء إلا الوجوه الصبوحة المليـحـة ذلـك بـأنهـم أو أكـثـرهـم من السكان الاصليين الذين لم يختلطوا بالريفيين والـفـقـراء مـن الـقرويين الخشنين. فكأن وجوه نسائهم واطفالهم وجوه الشاميين التى يـراهـا المرء في الاحياء الشعبية هناك في عواصم الأرياف ولا يرى المرء هنا أي أثر للتـبـرج أو اظـهـار شيء مـن الجسد غير الوجه والكفين واللباس السائد هو القميص الـطويل الذي يقف قبل ان يصل الركبة وتحته السروال الواسع وفوق الكتفين المنديل الخفيـف الـذي كـثيـراً مـايـسـتـعـمـل هنا لما وضع له في الاصل وهو تغطية الرأس فـكـثيـرات مـن النساء يغطين به رءوسهن و بعضهن و بخاصة من الشابات المتعلمات تضعه على كتفيها كما تفعل الباكستانيات و بعض الهنديات المسلمات.

وقـد خـرجـنـا بـسـرعة من البيوت المتلاصقة إلى ريف عجيب ذلك هو أنه مليء بـالمـسـتـنـقـعـات وأجـزاء مـن بحيرة قريبة ولكن في خلاله أماكن مدفونة بالطين وقد ركـزت فيه بعض الأعواد وقد زرعوا هذه الأماكن التي في وسط الماء لولا شيء من الـطين بالخضروات وهناك اشجار ونباتات في وسط الماء مما يعطي انطباعا بأن عمق الماء لـيـس كـثـيـراً و بـأن هذه المواضع قد يقف عنها الماء في بعض الاحيان إلا أن مـرافـقـي وهما الدليل وسائق السيارة اكدا لي أن هذه الاشجار تعيش بالفعل وأصولها مغمورة بالماء.



الماء الأخضر في ضواحي سرنقر

ثم أفضى بنا الطريق إلى بيوت على حدودها غابة من الاشجار الباسقة الملتفة وتحتها بساط اخضر من الحشائش التي تبدو متناسقة كأنما قد تعهدتها أيدٍ خبيرة مع ان مساحتها واسعة.

وكان الطريق مثل طرق هذه العاصمة وضواحيها ضيقاً إلا أنه أوسع من مثيلاته في الأرياف والمدن الصغيرة في الهند التي تماثل مدينة (سرنقر) في الحجم فهو يسمح بمرور سيارتين متقابلتين دون حرج كما ان عوائق المرور الموجودة في أكثر الهند ليست موجودة هنا مثل العربات التي تجرها الثيران ودراجات الركشا.

وبينما صعدنا التلة الجبلية كانت بحيرة (تقيني) قد بدأت إلى اليسار وقد بدأنا الوصول إلى محلة تسمى (حضرة بال) وهى محلة جميلة الموقع، شديدة الاخضرار مهذبة الاشجار مررنا ببناء على يمين الطريق وسط مساحات خضراء قال المرافقان: انه كلية الهندسة ثم إلى بناء آخر قد ضاع في الاشجار والساحات الخضراء هو (جامعة كشمير) وأصل تسمية (حضرة بال) تعني بالاوردية (حضرة الشعرة) لأن بال فيها هي الشعرة وحضرة هي الكلمة العربية التي أصبحت تقال في التعظيم في العصور المتأخرة.

درغاي شريف:

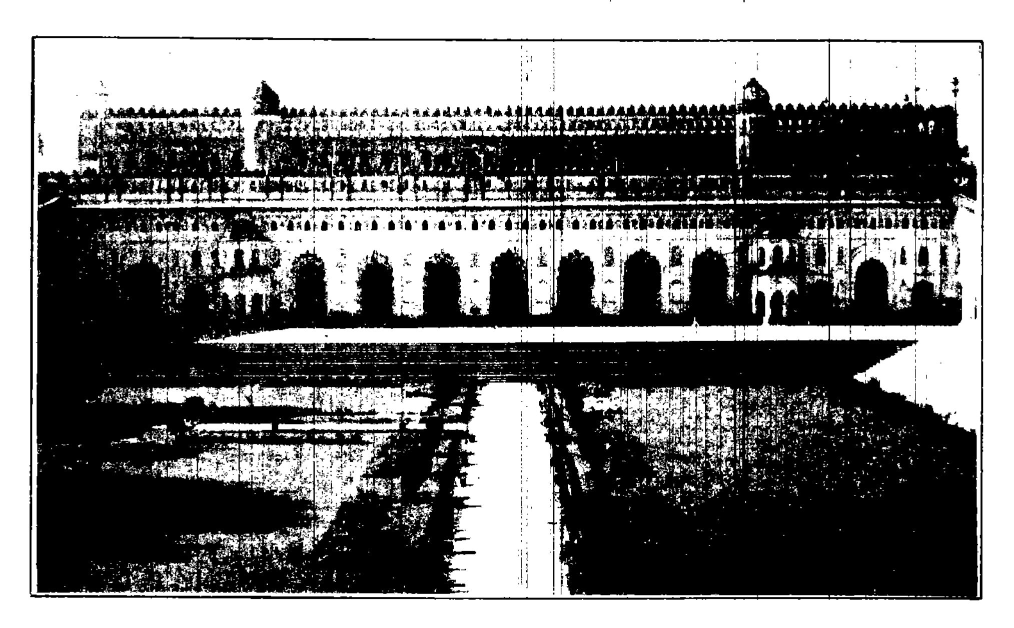
ومعنى درغاي هو قبر فمعنى المكان إذا: هو القبر الشريف هذا باللغة الكشميرية وان كانت الكلمتان كلتاهما دخيلتين عليها فدرغاي أصلها من اللغة الفارسية وشريف اصلها من العربية وهذا المكان الذى قصده الدليل هو المكان المشهور الذي ترددت أخباره في الاذاعات منذ سنوات وقالت إنه قتل بسببه عدد من الأشخاص في مظاهرات واضطرابات إذ هو الذي يقولون: إن فيه شعرة من شعر الرسول صلى الله عليه وسلم.

وذلك عندما أريد تجديد المكان ونقل الشعرة من موضعها.

أول ماشاهدته منظر لافت للانتباه فهو قبة عربية الطراز أي من الفن الذي يسميه الأوربيون (الارابيسك) إلا ان فيها شيئاً من القباب التركية في المساجد وهي

حديثة أحيطت بزنار من الكتابة العربية الواضحة بخط الثلث ووضع عليها حامل الهلال من الذهب أما لونه الذي رأيناه فانه لون الذهب نفسه وبجانبها منارة عربية دقيقة عالية وذلك لان البناء الحالي حديث كله وحول هذه القبة أربع منارات صغيرة في الأركان الأربعة.

وأول مايقابل المرء بوابة خارجية منصوبة تشبه القوس ذات ثلاثة مداخل فوقها أربع قباب صغيرة وليس في هذه البوابة أبواب وإنما تفضى إلى فناء خارجي مكشوف مفروش بما يشبه قماش الشراع أخضر اللون لقد طلب منا شخص يشبه أن يكون مسئولاً عن هذه البوابة أن نخلع احذيتنا وقال أحد الجالسين من خمسة اشخاص تظهر عليهم علامات الفقر انهم هنا ينتظرون الاحسان من الناس دون ان أراهم يطلبونه أو يرفعو ايديهم إليه وكلهم من كبار السن.



جامع حضرة بال القديم

خلعنا أحذيتنا ونزلنا إلى الفناء المكشوف فإذا أول مايبادرنا صندوق صغير في ظهره ثقبان مكتوب عليه بحروف عربية ولغة لا ادرى اهي اوردية أو كشميرية (تعمير فند) أي تبرع للتعمير والمراد: تعمير المسجد.

انتقلنا من هذا الفناء المكشوف إلى رواق مسقوف يدخل منه مع المدخل الرئيسي للمسجد الذي كتبت فوقه عبارات بالفارسية والجملة التالية (آثار شريف حضرة بل).

وفي داخل المسجد وفي الرواق أناس جالسون معظمهم من كبار السن أو من المتوسطين فيه وهم في مظهرهم وبملابسهم الوطنية الشتوية التي لم ينزعوها حتى الآن يشبهون أهالى البلاد الجزائرية فى شمال إفريقية واستقبلنا عند ذلك دليل في حدود الستين من عمره يعرف الانجليزية جيداً ومهمته هي ارشاد الناس لمعرفة مافي هذا المكان فوجدت المسجد الرئيسى تعلوه القبة الرئيسية عالية مرتفعة حديثة البناء كما قلت وهو يبدو كالمسجد الذي ليس فيه شيء يلفت النظر مطلقا حتى فرشه فهى عادية وإنما فوق محرابه على مستوى الطابق الثاني شرفة نصف مدورة قال الدليل: ان في داخلها شعرة الرسول صلى الله عليه وسلم وأنه لايستطيع أن يصل إليها أحد الآن لأنه ليس لها إلا باب واحد مقفل يوصل إليه من الطابق الثاني في الرواق.

ولايوجد فى هذا المكان من الغلو او التقرب او الشموع او الزينة او الابتزاز ما رأيناه اليوم عند شعرة الشيخ عبدالقادر الجيلاني.

وهنا سألت الدليل عن الشعرة من أي موضع هى من الشعر الشريف لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأجاب: انها من عارضه فهى ليست من اللحية ولا من الرأس فسألته عن عددها؟ فأجاب انها واحدة فقط فسألته: ومن الذي احضر هذه الشعرة من البلاد العربية؟ فأجاب: احضرها الملك اورنزيب المغولي عام ١٦٤٢م وأول من بنى عليها بناء هو الملك المغولي شاهجهان أما البناء الحالي فهو في عهد رئيس الوزراء الحالي الشيخ محمد عبدالله.

وقال ان المسجد تقام فيه صلاة الجمعة والجماعة في الاوقات الخمسة.

زيارتي وافقت زيارة أبي بكر الصديق رضي الله عنه:

الخرافة التي اصغيت إليها بانتباه هى أن دليل المسجد قال لي بشئ من الاهتمام: إن زيارتك وافقت حضرة أبوبكر الصديق رضي الله عنه.

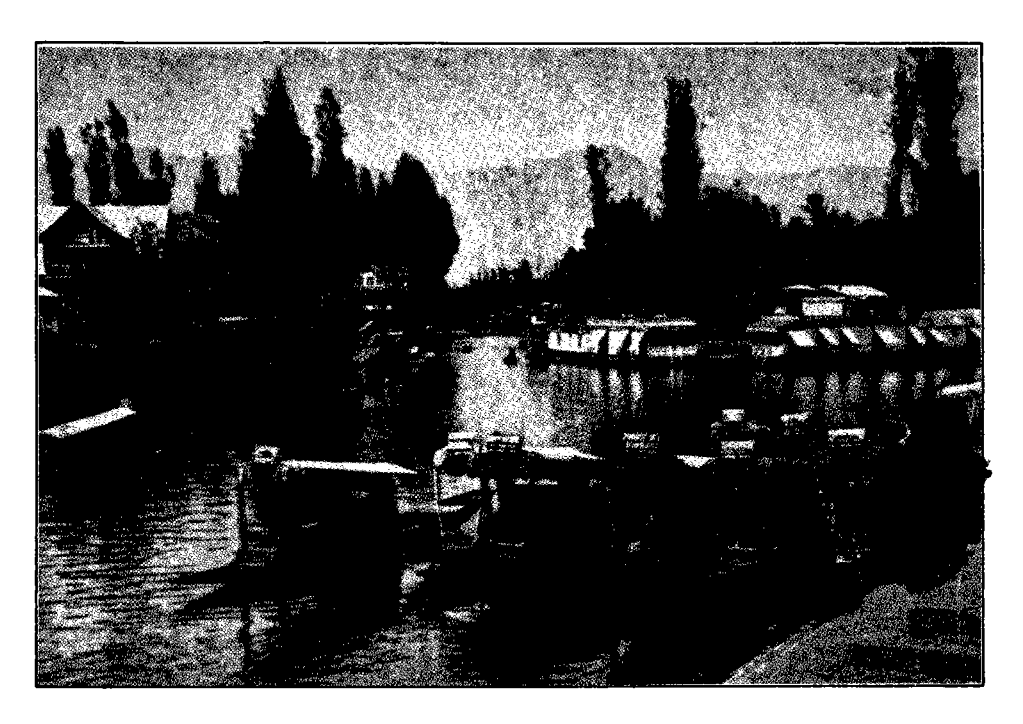
فلما استفسرت منه عن ذلك أجاب إن أبا بكر الصديق، رضى الله عنه، يأتي لزيارة هذه الشعرة من شعر الرسول الكريم، صلى الله عليه وسلم في كل سنة مرة حيث قبره في المدينة المنورة ولذلك يأتي الناس للزيارة بكثرة هذا اليوم فيزورونها بعد الصلوات الخمس كلها وهذا هو اليوم الثاني والعشرون من جمادى الثانية من كل عام وهو هذا اليوم ولم اقل له بسرعة إنني لاأعتقد بذلك أولا لأنني لا اريد أن أجعله يقطع مايريد أن يقوله قبل ان استمع إليه كله وثانياً: ربما لكوني قد أفقد شرفا جاء إليّ رغما عني ومن دون علمى لأنني لم اقصد هذه الزيارة ولا أقصدها ولا أجزم بصحة وجود الشعرة هنا وإذا وجدت فلا أقول بأن تبنى عليها الأبنية ويقصُدها الناس بالرغبات والرهبات.

كما لم أقل له: كيف يأتي أبوبكر الصديق رضي الله عنه من قبره في المدينة المنورة لزيارة هذة الشعرة التي تزعمونها من الجسد الشريف وهو كان بجوار رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي هو باق في قبره بجسمه وشعره كله لأن الأرض لا تأكل أجساد الأنبياء كما ورد في الأثر.

فقلت له: أنت تكلمت على اليوم الذي يأتي فيه أبوبكر الصديق من بلاد العرب كما قلت إلى هنا لزيارة هذه الشعرة فما قولك في عمر بن الخطاب الخليفة الثاني أله يوم مخصوص أيضاً؟

فأجاب : نعم إنه يحضر في يوم ١٨ ذي الحجة ثم قال: وعثمان بن عفان يجيء في يوم واحد في السنة وهو يوم ٢٧ ذي الحجة وعلي يحضر لزيارة الشعرة يوم ٢٠ رمضان أما المعراج فثلاثة أيام وهنا قاطعته فقد عجزت عن تحمل سماع هذه الخرافات وعن معاناة كون بعض المسلمين في هذه البلاد يعتقدون ذلك حتى يزوروا هذه الشعرة في اليوم الذي يصادف فيه زيارة أحد الخلفاء الراشدين كما يزعمون فتركته وهو يريد مواصلة الحديث لعل ذلك منه ليؤكد الحلوان (البقشيش) الذي يتطلع إليه وقصدت فناء مكشوفاً في شرق المسجد قد بني على ضفاف بحيرة جميلة تحدها في الجهة الشرقية جبال خضراء ذات خضرة بهيجة والبحيرة نفسها جميلة المنظر، نقية المياه في جو بليل اختفت شمسه خلف الغيوم.

وهـذه الـبـحـيـرة تسمى (بحيرة دال) فتنفست الصعداء وملأت رئتي بالهواء النقي وعيـني بمنظر هذه البحيرة الجميلة وخلفها الجبال الخضر التي تجلل هاماتها غلائل من السحب الرقيقة.



جانب من بحيرة دال عليه القوارب

وإذا بـالـدلـيـل الـذي يـرافـقـني ودليل المسجد يقولان لي: ألا تريد الصعود إلى الأعلى؟ قلت بلى، ولكن أحب ان تخبروني عن اسم هذه الجبال الرائعة التي تقع خلف البحيرة فلم يعرفا لها اسما وإنما قالا: انك إذا قصدتها ثم ذهبت إلى جهة اليمين وقعت في حدائق (شالمار) المغولية وإذا ذهبت إلى جهة اليسار وصلت إلى حدائق (نشاط) وان بعض الناس يذهبون إلى تلك الحدائق على قارب يسير في مياه البحيرة هذه بحيرة دال، وبعضهم يذهب بطريق آخر هو طريق السيارات ولكن من غير هذا المكان.

وصعدت معهما إلى الطابق الثاني وهو في الحقيقة ليس طابقاً ثانياً وإنما هو رواق أشبه بالشرفة محيط بجوانب المسجد ما عدا جهة القبلة يصلى الناس فيه الجمعة



الجامع القديم للشعرة

عند إزدحام المصلى الرئيسي الذي تظلله القبة وفي نهاية هذا الرواق من جهة القبلة ستارة رأيت رجلا يضع جبهته عليها و يتحسسها بيده ظننته ينظفها أولاً وأنه أحد عمال تنظيف المسجد إلا أنه تبين أنه كان يتقرب بذلك وقد ازاح دليل المسجد هذه الستارة فإذا خلفها باب مغلق جيداً بقفل كبير وقال إنه مغلق لأنه هو الباب الوحيد الذي يفضي إلى موضع الشعرة المباركة.

وعندما خرجنا من المسجد الرئيسي أخذ أناس هناك يظهر أن بعضهم من العاملين بهذا المسجد ومنهم دليلنا يلفتون نظري إلى صناديق التبرعات المغلقة التي فيها ثقوب في أعلاها كتب عليها (تعمير فند) يريدون مني أن اتبرع لها فلم أفعل وإنما أعطيت دليل المسجد جزاء تعبه معي وشرحه فقال مرافقي (حبيب الله البخاري) لقد قلت له: إن بعضها لك و بعضها لصندوق التعمير لأنها أكثر مما يستحق.

وعند البوابة الخارجية اعترضت طريقنا نسوة يسألن و يستجدين فلم أعطهن شيئاً فقال مرافقي: أحسنت صنعاً لأن هؤلاء يعدُّن السؤال صنعة لا تكف إحداهن عنها ولو أعطيتها أكثر مما يكفيها أضعافا مضاعفة فقلت: هذا صحيح ولهذا لم أعطهن لأنني أعدُّ أن في اعطائهن وامثالهن من السائلات والسائلين تشجيعا على السؤال والإستجداء الذي نهى عنه الرسول صلى الله عليه وسلم وهو مما يعافه الذوق السليم والشعور الوطني الكريم لأن أولى بهن وأكرم لهن ولوطنهن أن يعملن عملاً صحيحاً ولو أن يكن خادمات في البيوت فينفعن و ينتفعن.

وفارقنا هذا المكان الذي لايبعد عن قلب المدينة الحديثة حيث فندقنا إلا بثمانية كيلات وأنا متكدر الخاطر لما رأيته من خروج على سنة الإسلام النقي الصافي الذي لايبيح تعلق القلب بالعبادة لغير الله تعالى فالرجاء لله تعالى والخوف منه تعالى وحده.

وهذا الموضوع له شقان: الشق الأول هو أن تكون الشعرة شعرة نبوية كريمة حقيقية.

فلايجوز أن تقصد بالعبادة والخضوع والخشوع أو أن يعتقد المرء أن الصلاة عندها أفضل من الصلاة في الأماكن الأخرى فضلاً عن شد الرحال لزيارتها والتقرب إلى الله بالصلاة حولها.

والشق الثاني: أن تكون هذه الشعرة غير حقيقية وإنما هي من احتيال بعض المتأخرين الذين ذكروا أنهم وجدوها بعد أن انتقل الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى بقرون عديدة فيكون تعظيمها والتقرب إلى الله بالعبادة حولها من علامات الانحطاط العقلي وعدم التفكير السليم بل هو التساهل في أمور الدين وتغليب العاطفة على النقل الصريح والعقل الصحيح.

إلى محبوب العالم:

غادرنا (درغاي شريف) فمررنا بمستنقعات شبيهة بما رأيناه قبل ذلك من كونها فيها اشجار نامية وفي بعضها أقسام صغيرة مدفونة مزروعة بالخضار وغيره وبعضها قد

ركبه طحلب اخضر يميل إلى الصفرة إلا أنه ليس سيئ المنظر أو كريه الرائحة ربما كان ذلك بسبب برودة الجو التي تمنع من تكاثر بعض أنواع الجراثيم و(البكتيريا) فيها ومررنا بمصنع كتب عليه بالانجليزية مصنع (على شاه للفرش الخفيفة) ثم دخلنا في ريف يصعد إلى جبل تجلله الحشائش البرية التي ربما كانت نمت بسبب الربيع وإلاً لم تتصور زراعتها فسألت الدليل قائلاً: إلى أين سنذهب ياأخي حبيب الله؟

فأجاب إلى محبوب عالم، أي محبوب العالم فقلت في نفسى مادام أنهم سموه محبوب العالم وأنا من هذا العالم فلما لا أجرب بنفسي الذهاب إليه؟ وارى هل اكون بالفعل من ذلك العالم الذي يحبه. ثم سألته مااسمه؟ فقال (محبوب عالم سلطان العارفين) فعرفت أننا مازلنا ولانزال في الخرافات والخزعبلات إن سلمنا من البدع والضلالات ولكن الاطلاع نفسه أمر محبوب وربما كان هو أي الاطلاع نفسه (محبوب العالم) لا ذلك الذي نقصده والذي تبين أنه شيخ دفين يفعل عند قبره الناس مالا يحبه العالم بفتح اللام من المسلمين الحقيقيين.

بعد صعود بالسيارة قليل إلى هذا الجبل الذي تتربع على قمته قلعة حصينة شاهقة وقفت السيارة وأمر الدليل السائق أن ينتظرنا في جانب آخر من المكان ثم بدأنا الصعود مع بوابة في الفضاء كعادتهم هنا بالاحتفاء بالبوابات التي تكون على غير الأسوار وإنما تكون بمثابة النقطة التي تحدد المكان المحتفى به.

بعد ان دخلنا مع هذه البوابة بدأنا الصعود مع درج حجري أسود منقوش قد بني في الجبل صاعداً إلى حيث (محبوب عالم سلطان العارفين)، فصعدنا مع هذا الدرج الطويل صعوداً غير محبوب لأنه شاق قلت للدليل وقد طال الصعود وأنا ألهث: كم عدد هذا الدرج؟ فأجابني وهو يلهث أيضاً: أنه ستون درجة أو ستون (سلماً) على حد تعبير إخوتنا المصريين كل واحدة منها تتألف من زلفات كثيرة.

مستـــــورات :

عندما انتهت هذه الدرج الستون وقاربنا الوصول إلى هدفنا وجدنا ميداناً قد قدفي الجبل ورصفت أرضه بالحجارة بجانبه بحيرة جميلة تتلقى الماء من الجبل فوقها الذي هو غزير المطر مما رأينا من حاله فيها ما يشبه القبو مكتوب عليه بحروف عربية

(مستورات) فسألت الدليل عن معنى هذه الكلمة وظننت أنه مخزن لأنه يستر مافيه فأجاب: لا إنه مستورات إنه نساء فلم افهم وقلت: كيف يكون مخزنا و يكون فيه نساء؟

فأجاب إنه دورة مياه للنساء. ألا ترى الأخرى وإذا بهم جعلوا دورة مياه للرجال وأخرى للنساء وكتبوا على الخاصة للنساء كلمة (مستورات) و يريدون بذلك «سيدات» أو «نساء».

سرنا بعد ذلك إلى هدفنا مع ممر حجري طويل نوعا فإذا بنا نجد بوابة أخرى ليس عليها باب وعليها ابيات شعر بالفارسية ثلاثة تفضي تلك البوابة إلى فناء مكشوف واسع فيه أسراب من الحمام الاخضر الذي يشبه حمام الحرمين الشريفين وهو يلتقط الحب من أرض الميدان ثم قابلنا عدد من النساء من القرويات بلباسهن المؤلف من قميص واسع فضفاض سميك وتحته سروال ليس واسع الرجلين وقد وضعت الواحدة منهن عصابة على رأسها. ورجل معه طعام للحمام في خرقة بيده نثره لها عندما وصل.

وفناء مكشوف فيه عدة قبور غير عالية بجانبها حجر فيه نقرة يتجمع فيها ماء المطر فيشرب منها الحمام وربما يوضع فيها الماء وضعاً في حالة تخلف المطر ومكتوب على هذا الحوض تاريخ نقره ووضعه وهو عام ٩٠٤هـ، وعندما دخلنا كان المطر يهطل رذاذاً لذلك أسرعنا نستظل برواق في بناء كبير تبين أنه مبني كله من أجل قبر مدفون فيه أحد الأولياء، وعلى الأدق أحد الذين يعتقد الناس في هذه البلاد الولاية فيهم.

ودخلنا غرفة القبر فكان في مدخلها رجل عند مائدة خشبية قذرة فوقها صحن معد لوضع التبرعات النقدية فيه ولم أر فيه نقوداً.

وكان الرجل يشير إلى هذا الصحن بما معناه تبرعوا ولم أتبرع لامبالاة بالمبلغ فهذا ليس له أهمية عندنا لما أفاء الله علينا من الخير ولله الحمد والمنة ولكن كراهية لفعل محرم لأن هذه النقود تصرف على عمارة هذا البناء البدعي على القبر أو يأخذها السدنة القائمون عليه لقاء عمل غير جائز شرعاً وساءنا أكثر من ذلك أن رأينا عدداً

من الناس من مختلف الأعمار بعضهم جالسون حول القبر بخشوع وقد استقبلوه ولو استدبروا القبلة وآخرون كانوا يتمسحون به يمسونه بأيديهم ثم يمسحون بها وجوههم وهم يتمتمون بما لا أعرفه ولكن يفهم منه أنه دعاء أو تسبيح ورأيت نساء ينظرن إلى القبر من الخارج من خلال النوافذ و يتمتمن وربما كن على غير طهارة تسمح لهن بدخول القبر حسب اعتقادهن والقبر من الخشب المخروط وقد نقشوا عليه الاسماء الحسنى وادعية بالعربية وربما كانت مما أخذته الأوردية من العربية.

وقد نقش ذلك على طراز مغولي ورأيت حجراً في الجدران مكتوب عليه تاريخه ١٢٦٢هـ و يقول إنه من وضع أحد حكام كشمير.

غادرت الغرفة التي فيها القبر بسرعة فرأيت نساءً يسجدن على عتبتها الخارجية بخشوع وقصدنا مسجداً منفصلاً عن القبر يقع إلى الشمال الشرقي منه وهو صغير ولكنه جميل العمارة وكما قدمت فإن هذا القبر يقع في حضن جبل لذلك يطل من يكون في فنائه على مساحات واسعة مزروعة ومناظر جميلة كما يراه بقبته العالية من يكون في الأماكن المنخفضة من مسافات بعيدة.

وقد نسق هذا الفناء وفي جانب منه اروقة مبنية بناءً فنياً محكماً لتكون مكاناً صالحاً لقضاء شيء من الوقت و وقفت فترة أستمتع بهذا المنظر غير أنني رأيت أحد الزائرين يعطي أحد الخدم صلقة من النقود فيخاصمه زملاؤه من الجالسين حول باب القبر وترتفع أصواتهم بالشجار على ذلك وقد رصفوا هذا الفناء المكشوف والأروقة المسقوفة بحجارة منقوشة متقنة.

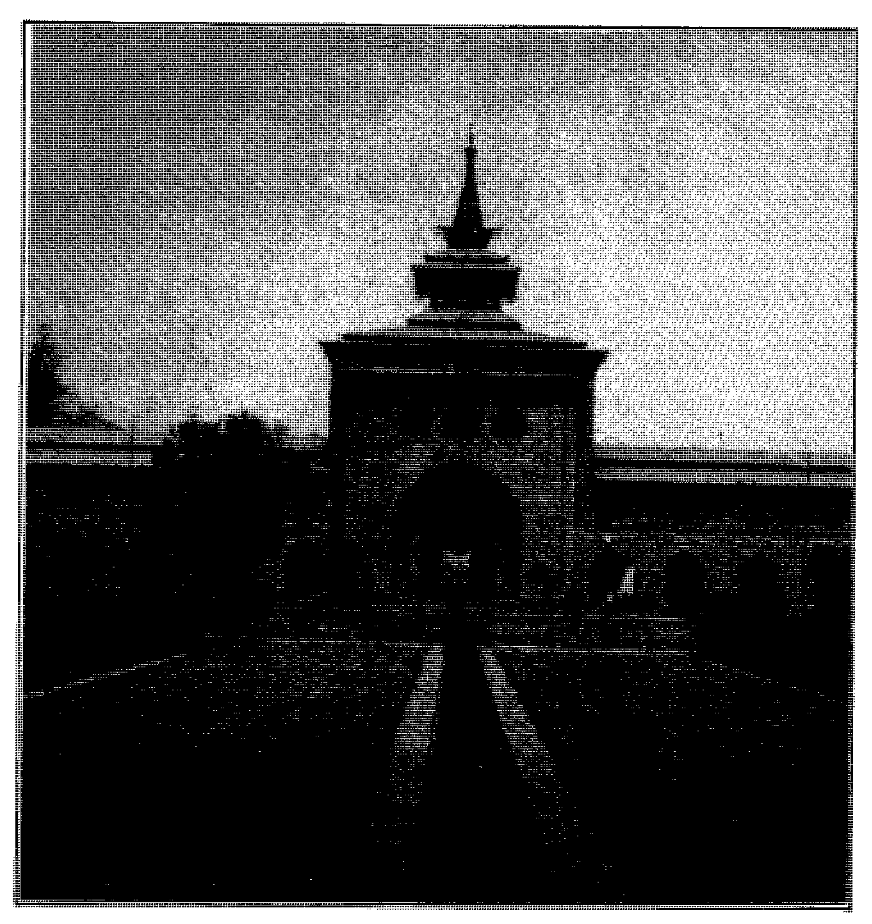
وقال لي مرافقي: إن الناس يأتون هنا في العادة يوم الثلاثاء بكثرة.

وفي رأس الجبل الذي فيه البناء قلعة حصينة من العصر المغولي تسمى (هاون باربت).

تركناه منحدرين مع طريق للخروج آخر معتنى به ذي درج حجري منقوش إلى بوابة خروج جميلة ولكنها مثل سابقتها رمزية أي لا تغلق سوراً متصلاً بها.

ورأينا مسجداً صغيراً أوزاوية على تلة مكتوباً على محرابه بالعربية (الصلاة معراج العارفين).

المسجد الكبير:



الفناء الداخلي عند الدخول مباشرة للجامع في كشمير

هذا مسجد كبير المساحة وهو إلى ذلك غريب الطراز قد تأنق بانوه في بنائه إلا أن طراز البناء هو ذو مظهر صيني أو قريب من الصيني واسمه (جامع مسجد كشميري) ويقع في حي يسمى (اسكندر بوره).

بني في أول مرة عام ٩٧٦هـ واستغرق بناؤه خمس سنوات، وذلك على يد

السلطان إسكندر أحد ملوك كشمير.

ورغم أنه صيني الطراز فإن المهندس الذي قام على بنائه مهندس مسلم اسمه صدر الدين خراساني ولايبعد تاريخ بنائه كثيراً عن تاريخ دخول الإسلام بصفة كبيرة إلى كشمير.

له أربع منارات صينية الطراز وحول المنارة التي في جهة القبلة منارتان صغيرتان. وهو كبير المساحة ولذلك لايمتلئ بالمصلين إلا يوم الجمعة.

وسقفه من الخشب بل وأعمدته من الخشب الضخم كل عمود خشبة واحدة ضخمة أو هكذا يبدو ولذلك كان قد احترق وأعيد بناؤه. وبناؤه الحالي قام به الملك اورنزيب أحد ملوك المغول المسلمين في الهند في عام ١٠٨٣هـ أي: قد مضى عليها أكثر قليلاً من ثلاث مئة سنة.

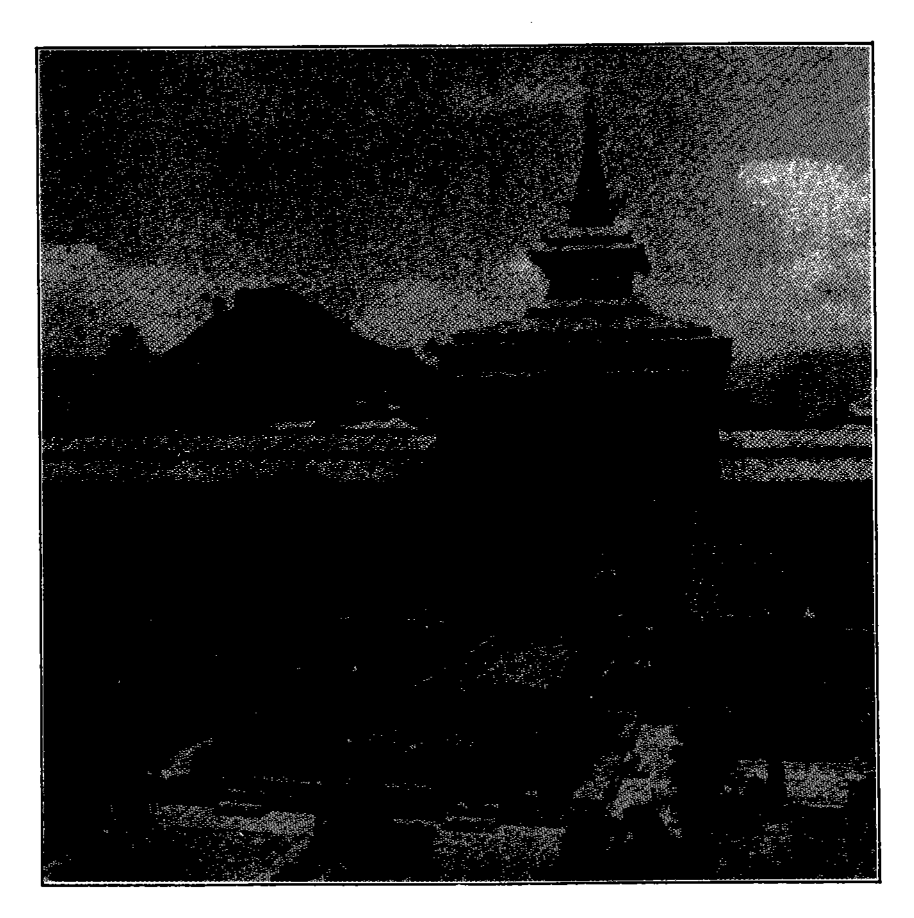
محرابه من الحجارة الجرانيتية السوداء التي تبدو كالمرمر الأسود وقد كتبوا على المحراب سورة الجمعة وفوقه كتبوا اسماء الله الحسنى.

وهو واسع بحيث تبلغ مجموع مساحته ١٤٧٠٠ متر مربع ومن طريف ماقاله لي أحد الإخوان الذين وجدتهم على بابه إنه قد بني وصمم بحيث يتسع لثلاثة وثلاثين ألف وثلاث مئة مصلٍ هكذا قال وأكد ذلك بكتابته لي على ورقة (٣٣٣٣٣) وقال إن الحكمة في ذلك إنهم إذا سجدوا جميعاً وقالوا سبحان الله والحمد لله والله أكبر ثلاث مرات كان مجموع ذلك مئة ألف.

وفي وسطه فناء واسع مكشوف فيه حوض ماء من الحجارة طوله ٣٤ قدماً في ٣٣ قدماً.

وجدرانه قوية البناء بحيث يبلغ عرض الجدار أكثر من أربعة أقدام ومن أجمل مافيه أن أعمدته الخشبية الضخمة منقوش عليها أشكال تزيينية وادعية والحقيقة أنه مسجد عظيم كبير إلى جانب كونه أثراً تاريخياً إسلامياً.

ولذلك يحتاج إلى عناية وصيانة ومن أهم ما يلزم له أن يعالج موضوع ارتفاع



داخل المسجد الجامع الكبير في سرنقر

نسبة الأرض خارج المسجد بحيث أصبحت الأمطار الكثيرة النازلة ومياه الثلوج الذائبة تبقي في فنائه الداخلى لاتخرج منه فينتج من ذلك تعرض جدرانه للخطر كما أنه يحتاج إلى العناية الدائمة وتشرف عليه في الوقت الحاضر (لجنة تسمى أوقاف المسجد في سرنقر).

وبعد الانتهاء من الاطلاع على هذا المسجد العظيم قمت بجولة على ما حوله من البيوت وهي كلها ذات مظهر قديم بعضها مبني بالحجارة وبعضها بالآجر الجيد ولها رواشن أي شرفات بارزة في الحوائط ولكنها مغلقة بالخشب.

وفيه حوانيت كان اللحم معروضاً فيها للبيع بكثرة لافتة للنظر وقد أخبروني أن

سعر الكيلو منه وهو لحم الغنم بثماني روبيات والرأس الواحد بثلاث روبيات وأما الكوارع التي رأيتها معروضة بكثرة أيضاً فإن الأربعة منها بروبية واحدة.

مسكين بين مدغشقر وكشمير:

بعض كلمات اللغة ذات حظ عظيم في الانتشار أو قل: ذات استعمال واسع لايقتصر على المنطقة التي تسود فيها اللغة التي منها تلك الكلمات ونضرب مثلاً على ذلك بالكلمة العربية (خبر) مفرد الاخبار بمعنى الانباء فهي موجودة ومستعملة في عدة لغات منها مثلاً: الفارسية والتركية والأوردية والسواحلية.

ولقد سمعت اليوم كلمة من هذا النوع الشائع وهي كلمة (مسكين) بمعنى بائس أو فقير سمعتها تتردد على لسان رجل عاجز يستعطفنا وذكرت عندما سمعتها في هذا المكان البعيد عن بلادنا العربية أنني سبق أن سمعتها في مكان بعيد آخر وأنها قد لفتت نظري في ذلك المكان البعيد وهو مدينة (تاناناريف) عاصمة مدغشقر فقد دخلت كلمة (مسكين) إلى لغتهم من اللغة العربية واصبحت من كلمات تلك اللغة رغم كون الأغلبية الساحقة من سكان مدغشقر في الوقت الحاضر من غير المسلمين، إذ لو كانوا مسلمين لتخيل المرء أن الكلمة جاءت اليهم عن طريق تلاوة القرآن الكريم مثل قوله تعالى **(ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً)** وقد سمعتها هناك من فم امرأة غير مسلمة.

يوم الأحد ١٣٩٩/٦/٢٣هـ الموافق ٢٠ مايو ١٩٧٩م:

الى «قلمارج»:

قلمارج: مكان مرتفع في الجبال التي تقع إلى الغرب من سرنقر عاصمة كشمير ومعنى كلمة قل مارج: حديقة الزهور بالفارسية فقل زهر ومارج: حديقة، ولكن ليس المهم في الذهاب إليه هي الزهور التي فيه فالزهور موجود مثلها في سرنقر العاصمة وفي أكثر الأمكنه في كشمير وإنما المقصود من زيارته هو الأطلاع على طبيعة هذه البلاد الجبلية الباردة حيث يمكن للزائر أن يذهب إلى الثلوج وإلى الغابات الكثيفة ذات الأشجار العالية وقد اخبرونا انه لايمكن الصعود الى تلك

الجبال بعد (قلمارج) هذه إلا على ظهور البغال وذلك لأن طبيعة الأرض جبلية وندية فيجتمع الطين والوحل بين الصخور المتناثرة فيعوق السير.

غادرت فندق (جهانقير) في الساعة الثامنة والنصف صباحاً إلى مركز السياحة في سرنقر حيث أخبرونا أن الحافلات التي تذهب إلى هناك وإلى غيره من الأماكن السياحية تقف عنده.

وعندما وصلت إلى هناك رأيت المحطة عامرة بالحافلات النظيفة ذات المقاعد الممتازة والطلاء البهيج بل ربما خيل للمرء أنها كلها جديدة فبحثت عن الحافلة التي سأذهب عليها من الرقم الموجود على التذكرة فلم أجدها إلا بعد جهد بسبب كثرة الحافلات وكثرة السائحين في هذا اليوم الذي هو يوم الأحد يوم العطلة الرسمية وفي هذا الشهر الذي هو شهر مايو من أشد الشهور حرًّا في بعض أنحاء الهند لأن الشهور الحارة التي تأتي بعده يسقط فيها المطر فيكسر حدة الحر.



محطة الحافلات السياحية حيث سرنا إلى قلمارج

وجدت الحافلة ووجدت سائقها بجانبها فأخذ التذكرة مني ونظرفيها وقال رقم «١» تفضل ثم قال لي: من أي بلد أنت؟ وهذا سؤال يسألك إياه أكثر الذين يلتقون

معك أو حتى يقفون حولك من دون حرج فقلت: من البلاد العربية فقال: مسلم الحمد الله السلام عليكم أنا اسمى بشير أحمد لقد بقى على موعد تحرك الحافلة ربع ساعة وأنت ترى أن أكثر الركاب لم يحضروا.

فوقفت أتفرج برؤية الذاهبين والآيبين من السياح وإذا بأكثرهم بل بهم كلهم من أهل الهند، ولم أجد بينهم من الأجانب إلا النادر الذي لاحكم له، وعلى سبيل المثال ليس في حافلتنا أي أحد من الأوروبيين أو الأمريكيين بل كلهم من الهند سواي.

وقد جاءوا من أنحاء متعددة وبخاصة من الجنوب والوسط والغرب الجنوبي مثل مدينة بومبئى إلا أن أهل الجنوب قد جاءوا دون أن يحصلوا على المعلومات الكافية فيما يظهر عن حالة الطقس في كشمير سوى أنه بارد وهو أمر يلذ سماعه من يشويه الحر ولايسأل عن درجة البرودة ماهي إذ كشمير بلاد باردة مافي ذلك شك إلا أنك لابد أن تضيف فتقول برداً شديداً والانسان كما يؤلمه الحر وقد يصاب بمرض إذا تعرض للشمس في الحر الشديد كذلك يؤلمه البرد الشديد وقد يصاب بمرض إذا تعرض للبرد الشديد، فقد رأيت بعض هؤلاء الجنوبيين قد حضروا إلى الحافلة وهم بثيابهم الجنوبية التي تدع قطعة من جسم المرأة حول بطنها بارزاً إضافة إلى أن بقية ملابسها خفيفة.

مع أن هذا اليوم في سرنقر العاصمة نفسها هو من أعتى الأيام التي قضيتها فيها برداً فقد أصبح الجو في هذا اليوم من النصف الأخير من شهر مايو شاتياً لايقل برده عن أيام الشتاء عندنا في الرياض، ولقد تذكرت بهذه المناسبة أياماً قضيتها من شهر مايو في جنيف بسويسرا وفي مدريد في أسبانيا وفي باريس فلم أر مايو الأوربي أشدأ برداً من مايو الكشميري إلا ماكان في أيام من مايو الباريسي.

عندما ركبت الحافلة ورأيت مقاعدها الوثيرة ونظافتها رأيت أنني قد غبنتهم الصفقة فقد كانت الأجرة للذهاب والإياب تسع عشرة روبية أي سبعة ريالات ونصفا ولكني رأيت فيما يعد أنني إن غبنتهم في أجرة ركوب السيارة فإنهم غبنوني في أجرة ركوب البغل كما سيأتي.

أصبحت الساعة التاسعة وتحركت معظم السيارات إلا سيارتنا لأن بعض الركاب تخلفوا بعض الوقت وهم أسرتان مؤلفتان من سبعة أفراد من أهل وسط الهند فيما يظهر لذلك لم نتحرك إلا بعد ربع ساعة قال السائق وهو يدير محرك السيارة (بسم الله مجريها ومرساها) ثم انطلق بها فسألته: لقد قالوا لي في الشركة: إن هناك مرشداً فأين هو؟ فأجاب: أنا المرشد فسررت لذلك لانني بجانبه أستطيع أن أستفهم منه عما أريد ولكن تبين بعد ذلك أنه ليس مرشداً وليس معه مكبر للصوت إنما هو يتكلم أحيانا بذكر اسم من أسماء الأمكنة التي نمر بها إلا أنني إذا أستفسرت منه عن شيء أجابني بلغة إنكليزية غير جيدة.

الريف الرائع:

خرجت الحافلة من المدينة إلى ريف أخضر خصب مع طريق مرتفع واسع بالنسبة إلى الطرق الريفية في الهند فهو يسمح بمرور حافلتين متقابلتين بسهولة كما يسمح بتجاوز وسائط النقل الأخرى دون أن تقف أحداهما خارج الطريق لتمر الأخرى كما هو الأغلب في طريق الأرياف الهندية والبنغالية في بنغلاديش، وهو إلى ذلك ناعم يكاد يكون خالياً من الحفر أو النقر ــ جمع نقرة ــ.

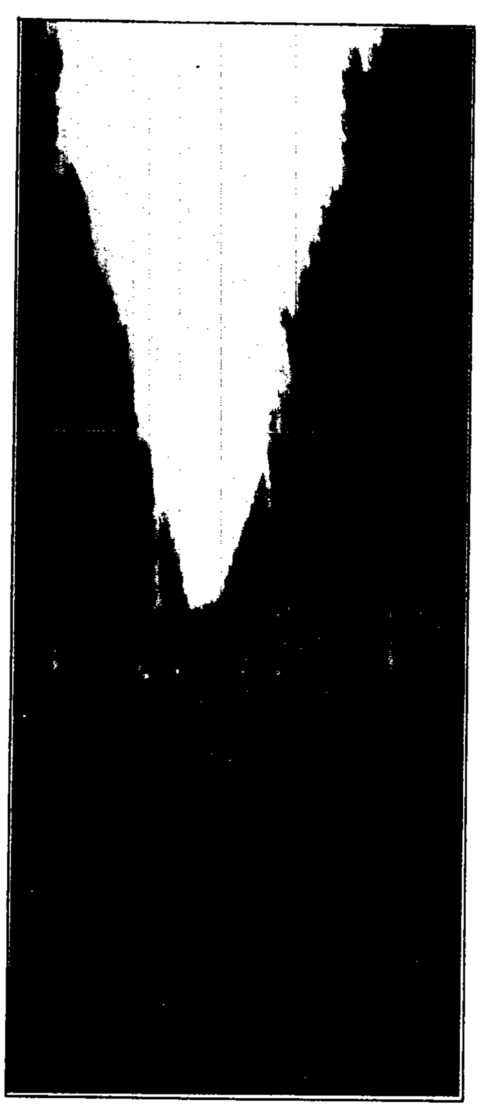
وقد حف به صف من الأشجار العالية بل الباسقة في تناسق عجيب حتى إنك لا ترى امتداده على مدى البصر وكأنما هذه الأشجار الباسقة جداران عاليان لحصن حجري هام إلا أنها جداران أخضران جميلان رشيقان رشاقة فتيات كشمير الجميلات وهذه الأشجار هي ناضرة كما أن وجوه فتيات أهل هذه البلاد ناضرة وعلى جانبي الطريق يرى المرء حقول الأرز وأحواضه الغارقة في المياه.

وقد أخبرنا السائق أن هذا الطريق يمتد إلى أن يصل إلى (راول بندى) في باكستان غير أنه الآن مغلق وأن المسافة التي تفصل بين سرنقر وبين الحدود الباكستانية من هذه الناحية هي (١٥٠) كيلاً.

ثم مررنا بسوق صغيرة قد أقيمت الحوانيت فيها على خشب حتى ترفعها عن رطوبة الأرض لأنها هي أيضاً من الخشب.

ولن نصادف ماكنا نصادفه في الطرق الريفية الهندية من العربات التي تجرها الثيران وإنما يوجد هنا عربات ركوب صغيرة تجرها فرس واحدة أو بغل واحد يستعملها أهل الريف لركوبهم وتنقلاتهم لأن هذه المنطقة رغم السهول التي فيها العاصمة تعد منطقة جبلية.

وقد استمر امتداد الأشجار العالية جداً المنسقة جداً على جانبي الطريق في منظر رائع إذ هو غاص بمنافع المياه، ولكنها منظمة وغير قذرة ربما كان ذلك بسبب برودة الجو وإذا نظر المرء إلى الأفق في إتجاه اليمين أو الشمال فإنه يرى الجبال الخضر التي كللت رءوسها بأكاليل من الثلج الناصع البياض.



الأشجار الاسطوانية في طريق قلمارج

ويرى المرء بعض الفلاحين يحرثون الأرض لزرع الأرز بمحاريث قديمة تجرها الأبقار وقد غاصت أقدامهم مع حوافر دوابهم في الطين والماء إلا أنهم مع ذلك نظيفو الثياب بالنسبة إلى بقية الفلاحين من أهل الهند والنظافة هذه عامة هنا فإنك ترى القرويين وهم يسيرون على الطريق أو بين المزارع وجوههم مشرقة وملابسهم نظيفة جدا بالنسبة لأهل الهند ونظيفة بالنسبة لغيرهم.

حتى إنك إذا تأملت وجوههم وملابسهم ورأيت بلادهم من ناحية طبيعتها وأرضها قلت: إنك لست في الهند بل في بلاد الشام أو تركيا.

منازل الريفين:

ومنازل الريفيين هنا هي من المتوافر لديهم أكثر من غيره وهي الأخشاب إذ الغابات كثيرة والاخشاب متوافرة لأن المياه نفسها كثيرة جداً وبعض البيوت تبني من الآجر أي: الطمي المحروق وهذا أيضاً متوافر لديهم بكثرة لأن كل تربة بلادهم في الأصل جاءت إليهم مع مياه الفيضان والأنهار التي تأتيهم من الجبال.

وبعد أن أكملنا (٢٥) دقيقة من السير تركنا الطريق الريفي الواسع الذي يتجه إلى باكستان وأخذنا ذات اليسار مع طريق فرعي أضيق من الأول هو طريق (قلمارج) التي نقصدها فوصلنا.

قرية ناربل:

وقال السائق إن أهل هذه القرية هم من الحسينيين فقلت له: أتقصد أنهم من الشيعة فأجاب: نعم إنني أقصد ذلك ثم أضاف قوله: الشيعة في كشمير أغنياء.

وعند قرية (ناربل) هذه رأينا جسراً على نهر عريض إلا أن مياهه لا تملأ مجراه بل هي قليلة.

ثم دخلنا إلى حقول من حقول أشجار التفاح وبخاصة ما كان منا إلى اليسار.

وفي هذه الأثناء قال السائق ولا أدرى مناسبة ذلك أنا لا أحب باكستان لأنهم أعدموا (بوتو) أنا أحب (بوتو).

فلم أرد مجادلته لاسيا في مثل هذا الموقف ولكن شعوره شعور كثيرين من أهالي كشمير الذين لابصيرة لهم، ولا معرفة بأمور السياسة ولا بأمور الدين وقد تأثروا بالدعاية الهندية وإلا فأي فضل لعلى بوتو على الكشميريين إلا أنه اتفق مع الهند على إماتة قضية كشمير وعدم المطالبة برجوعها إلى باكستان أي إن الذي ينبغى ان يكون هو العكس.

ولقد تضرر من هذا الأمر عدد من إخواننا أعضاء الجماعة الإسلامية في كشمير وذلك لأن الجماعة أيدت الحكم على (بوتو) بالإعدام عن بصيرة واقتناع منها بأنه من أهم الأشخاص الذين ساعدوا بتصرفاتهم على انفصال بنغلاديش عن باكستان وعلى عدم مواصلة المطالبة بكشمير فما كان من الغوغاء المضللين أمثال هذا السائق وسائق (التاكسي) الذي تكلمت عليه سابقاً إلا أن آذوا أعضاء الجماعة الإسلامية فأحرقوا متاجرهم ونهبوها بل وقتل من جراء ذلك خمسة أشخاص.

بعد الحديث عن (بوتو) الذي لم يجد السائق صدى له من الكلام عندي أصبح الطريق ضيقاً نوعاً فكانت الحافلتان إذا تقابلنا لابد أن تتمهلا في السير وأن تكون عجلات إحداهما خارج الأسفلت وقد عادت الأحواض الغارقة في المياه من حقول الأرز حتى على جانبي الطريق وأصبح الماء يرى على جانبي الطريق ناقعاً تحت الأشجار التي هي لا تزال ممتدة مع امتداد هذا الطريق الفرعي، وإن كانت أقل أرتفاعاً من مثيلاتها الموجودة في الشارع الرئيسي الذي تركناه ومع ذلك فإن هذا الطريق الريفي جميل لافت للنظر رغم ضيقه إذ هو يمتد مستقيماً إلى مدى لا يحجزه إلا جبال خضر تجلل هاماتها الثلوج وهو إلى ذلك ناعم يكاد يكون خالياً من الحفر المؤذية.

قرية بازاهاما:

استمر السير إلى أن وصلنا قرية اسمها (بازاهاما) بيوتها شعبية بعضها بالآجر والطين، وبعضها بالخشب إلا أنها كلها مسنمة السقوف؛ لأن هذه البلاد كثيرة الأمطار ولابد من أن تكون بيوتها مسنمة السقوف حتى يزل المطر عنها إذا نزل عليها.

وقد بدأنا نرى وسيلة الحمل الشائعة في هذه الأرياف وهي البغال عليها أكداس الحب الحصيد من القمح أو من الأرز لا أدرى ولكن الأقرب أنها من القمح حتى وصلنا.

قرية مقام :

والمقام هنا لابد فيما أظن من أن يكون لأحد الأشخاص الذين يعتقد فيهم الأهالي الولاية أو مايقرب من الولاية لاسيما إذا عرفنا أن السائق قال إن هذه المنطقة هي

للشيعة ومعلوم أن الشيعة من أكثر الناس تعلقاً بالمشاهد والمقامات والقبور وإن كان أهل السنة من أهل كشمير قد نافسوهم في هذا الأمر وربما يكونون قد غلبوهم في هذه المنافسة مع الأسف.

وقرية (مقام) هذه مقامة على نهر صغير عليه جسر غير جيد.

الصعود إلى الجبال :

بدأت الأرض بالارتفاع نحو الجبال التي أصبحنا نراها واضحة المعالم قد جللت سفوحها أو غطت أقدامها الأشجار الكثيفة وغطت قممها وظهورها الثلوج.

وأصبحنا نرى عن يمين الطريق و يساره جدولاً من مياه صافية رقراقة وهي تغذ السير قادمة من الجبال إلى السهول مبارية هذا الطريق الأسفلتي الضيق؛ لأن التربة صخرية من جهة ولأن الأهالي قد استغلوا هذه الأراضي الصخرية بعمل مدرجات في هذه الأرض التي هي في الحقيقة امتداد لسفوح الجبال فزرعوها في أحواض صغيرة متدرجة من أسفل إلى أعلى يساعدهم على ذلك أن المطر وفير فلا يحتاجون إلى ريها من الجدول ولا من غيره.

والذي جعل ماء هذا الجدول صافياً رقراقاً هو أنه منحدر من أكتاف الجبال من ذوب الثلوج فوقها.

ثم مررنا بقرية اسمها (كنزار) وقد أخذ الطريق في الارتفاع أكثر نحو الجبل وأخذت الجداول يكثر ماؤها وتسرع في الجريان، وقلت كثافة المزروعات إذ الأرض جبلية قليلة التربة إلى مسافة قصيرة.

أما المناظر فقد أخذت تتغير إذ تشاهد على يسارك وادياً بين الجبال خصيباً يتسع كلما صعدت مع الجبل والريف الجبلي أكثر وضوحاً، ومن مظاهر ذلك شيخ يرعى غنماً له لكنك إذا رأيته من بعد فلن تقنع نفسك بأنك في الهند وإنما تظن أنك في شمال أفريقية أو في الريف السوري فهو يرتدي ملابس غليظة أعلاها ثوب غليظ يشبه العباءة الجزائرية إلا أنه ليس فيه غطاء للرأس فهو إذاً كالعباءة التونسية تماماً ولونه أبيض كالريفيين السوريين.

في تنقمرق :

هذه قرية هامة بدليل أن علامة الطريق التى وضعتها الحكومة أخذت قبل وصولنا إليها تشير إلى وجودها.

وكان وصولنا إليها بعد (٨٠) دقيقة من السير المستمر وكان أول ما استرعى النظر عند مشارفها رجالاً راكبين على البغال وكلابا أوبارها كثيفة مما يدل على أنها باردة الطقس لوكان ذلك يحتاج إلى دليل.

وقد أوقف السائق الحافلة وسط حشد من الناس أكثرهم قادم على حافلات مثلنا وهم من الهند الإماندر كما قدمت، وبعضهم جاءوا على سيارات الأجرة المعتادة وقال السائق: سنقف لمدة عشرة دقائق نشرب خلالها الشاي.

وكانت هذه فرصة طيبة لاستجلاء المناظر الرائعة حول هذه القرية التي تقع في سفح جبل عال تجلله أشجار الغابات وتتوج هامته الثلوج ومن جهة السفح فإنها تقع على شفير وادٍ عميق خصيب متسع، أرضه كلها مزروعة.

وقد كان الجو غائماً بعض الشيء إلا أنه غير شديد البرد مع أن المفروض أن يكون برده شديداً لأن الجو بارد جداً هذا اليوم في سرنقر نفسها فكيف بهذا المكان المرتفع إلا أنه ربما كان سبب الدفء أن الريح الباردة هذا اليوم كانت لا تصل إليها مباشرة لوقوعها في لحف هذا الجبل.

وأردت التجول فيها وأن أملأ عيني من رؤية القرية ناسها وطبيعتها، ولكن السائق بروحه التي لا تقدر أنني أرى فيها أنا الذي وصلتها لأول مرة مالايراه هو الذي اعتاد على رؤيتها أخذ بيدي وهو يشير إلى مقصف شعبي هناك وقال: الشاي والراحة لأننا سنبقى عشر دقائق ودخلت المقصف فإذا فيه رجل كالافغانيين تماماً حتى الطاقية التي على رأسه هي الطاقية الأفغانية السميكة وتبين بعد ذلك أن معظم الرجال هم يشبهون الأفغانيين ولايمتون بصلة من الشبه الجسدي إلى الهنود.

أما الشاي فإنه كان يسكب للناس في فناجين من إبريق كبير جداً قد أعده فيه مختلطاً باللبن، فيه السكر الذي رآه هو لامايراه الشارب وهو يعطيك الفنجان فتشربه

حاراً ساراً في هذا الجو البارد، وبعد أن أردت أن أنقد الثمن قلت في نفسي إذا كان بروبيتين فهو رخيص ولكن تبين أن ثمنه لايزيد على نصف روبية.

أما المقصف فرغم أنه شعبي وأن هذه الكلمة لها مدلول يبعدها عن النظافة عند الشعوب المتأخرة في مضمار المدنية فإنه نظيف جداً وكراسيه وموائده حسنة صقيلة.

وأسرعت أخرج من المقصف لامتع بصري بهذه المناظر الغريبة عني، وكان من أهمها مناظر الآدميين وهنا يتساءل المرء وماذا عن وجوه نسائها وأطفالها فهي في الغالب تدل على الحالة الاجتماعية التي يعيش فيها الشعب أكثر مما تدل على ذلك مناظر وجوه الرجال؟

أما النساء فإنهن ذوات وجوه موردة مشرقة كوجوه الإيرانيات اللاتي يسكن العاصمة طهران وماشابهها فى الطقس من البلاد وأجسامهن ليست ثقيلة ولاهي بالنحيلة ولهن تقاطيع أغلبها رقيق بل إن المرء ليحار حين يرى الأنف الروماني في وجوه كثيرات منهن وهو الأنف الأقنى ـ أي المرتفع وسطه ـ الدقيق. ومع أنهن ريفيات لن يكن في نظافة المدنيات من حيث الملابس فإنك لا تلاحظ أي تقصير منهن في نظافة الثياب وهن سافرات الوجوه إلا أنهن غير متبرجات بزينة فلا يبدو من جسد الواحدة منهن غير ذلك وملابسهن مابين القميص الفضفاض الذى يضرب إلى أسفل من الركبة تحته سروال يضرب إلى الكعب غير واسع عكس لباس الباكستانيات ومابين القميص الطويل الذى لايعرقل السير في هذه البلاد الجبلية.

أما مباني القرية فإن الحوانيت التي تحيط بالمحطة التي هي في الشارع الرئيسي من الخشب المتوافر في بيئة الغابات هذه وهناك قليل من المساكن قد دخل الآجر في بنيانها.

إلى قمة الجبل :

كان السائق قد قال للركاب إنه سيمكث عشر دقائق فامتد (٣٠) دقيقة سارت الحافلة مفارقة قرية (تنقمرق) الجبلية صاعدة في قمة الجبل مع طريق صعبة المرتقى غير واسعة إلا أنها كافية لمرور سيارتين متقابلتين مع قليل من التأني إذ هي ذات

طيات متعددة حتى إن المرء ليشفق على الحافلة وهي تتلوى فيها إلا أن السائق لا يبرح يزعج هذه الغابات الكثيفة الصامتة بصوت المنبه في سيارته فتتردد أصداؤه غير المحببة في هذا السفح من أعالي الجبل حذراً من أن تقابله سيارة ربما لا تراه بسبب كثافة الأشجار ومع هذه الكثافة في الأشجار فإنها تكاد تكون كلها من نوع واحد هو أشجار الأخشاب ومن أوضحها للناظر أشجار السرو وليس تحتها إلا حشائش برية قد اخضرت عندما أحست بالربيع وأخذت بعضها البعيدة عن لفح الرياح الباردة تتفتح ورودها البرية التي تشبه في عفويتها وبرائتها بل وفي إثارتها للعاطفة قلب العذراء الذي بدأ يحس بنبات العواطف بعد أن بدأ ربيع العمر يدغدغ أوتاره.

هذا وكانت الحافلة كلما ارتفعت في سيرها الوئيد زادت أحجام الأشجار غلظاً وارتفاعاً ورأينا أصول بعض الأشجار العظيمة وقد قطعت للانتفاع بأخشابها ويمر الطريق بشفير الوادى فوق هاوية بعيدة القرار وقد بنى القوم معظمه بناء لأن ذلك أسهل عليهم من شق الجبل شقاً.

ثم وصلنا قلمارج :

وذلك في الساعة الحادية عشرة والنصف وقال السائق وهو يوقف الحافلة اننا



جانب من قلمارج

سنتحرك من هنا في الساعة الرابعة بعد الظهر وإن هذا هو موعدكم للعودة.

وما أن قاربت السيارة على الوقوف حتى أقبل عشرات الراكضين والمستقبلين يبادرون ركابها كما يفعل الحمالون في بعض البلدان حين يسارعون إلى السيارات القادمة ليحملوا أمتعة ركابها غير أنه لا توجد هنا أمتعة واتضح السبب فيما بعد أن هؤلاء القوم هم من أصحاب البغال والخيول القصيرة التي يؤجرونها للركوب على هؤلاء السياح ليروا معالم المنطقة.

وبادرني منهم أناس غير أني أبعدتهم لانني أريد أن أرى هذا المكان قبل أن أفكر في الذهاب إلى غيره لأنهم كانوا يعرضون على السياح أن يذهبوا بهم إلى الثلوج وإلى أماكن أخرى في قمم الجبال وكان عدد الموجودين من القادمين كثيراً إلا أن البرد كان شديداً ونحن الآن في قمة الجبل على مستوى الثلوج وإن كان المرء يرى قمماً أخرى تغطيها الثلوج أعلى من هذا المكان.

وقد ذهبت إلى مقهى شعبي هو في الوقت نفسه مطعم يديره جماعة من الشيوخ فطلبت قدحاً من القهوة وسط زحام الناس ولم يكن المقهى نظيفاً وكان أحد الأدلاء وهو يعرف الإنكليزية جيداً كرر عليّ ماسمعته من أن هناك ثلاثة أماكن للزيارة وطلب سعراً لزيارتها كلها تسعين روبية وكان هذا مبلغاً كثيراً بالنسبة إلى الأجور في هذه البلاد ولكنه قال: إن هذا هو أجر الحصان ــ يعني البغل ــ وأجرة الدليل وان هذا السعر المقرر من الحكومة ولم أكن أعرف السعر ولا المسافة وخشيت أن يضيع عليّ الوقت فقلت أزور موضعاً واحداً وفيه كفاية فقال لي الرجل: إنك لابد لك من أن تستأجر حذاء سميكاً صالحاً للسير على الثلج ومعطفا ثقيلاً يقيك البرد وتدفع روبيتين اثنتين أجرة لكل واحد منهما.

وأسرع صاحب حانوت يؤجر للناس النعال والمعاطف يخلع حذائي ويلبسني الحذاء المؤجر ويحكم رباطه في رجلي ولما أردت أن ألبس المعطف ذكرت أنه قد لبسه قبلي أناس كثيرون وأن كل من استطاع أن يدفع الروبيتين لبسه كرهته وعافته نفسي مع أنه يلبس فوق البدلة العادية وقلت في نفسي: أليس فيه شبه بالبغي التي يقترب منها كل من يستطيع أن يدفع الثمن وتقززت نفسي من القذارة عندما تصورت

هذا الأمر وكيف أن بعض الناس ينزلون إلى درجة سفلى من الانحطاط البشري لايصل إليها الحيوان.

رحلة على ظهر بغل:

اختار لي الرجل بغلة شهباء عريضة المنكبين ثقيلة الحركة بطيئة في السير، ولا أدري لما اختارها لي هكذا أهو توسم بي عدم الشجاعة على ركوب الدواب الفارهة وعلى كل حال فإنه حسناً فعل إذ ما أن أستويت على ظهرها حتى وجدتني أبعد ما اكون عن المهارة في الفروسية.

وكان الذي مع البغل فتى من هؤلاء الجبليين الذي قد تعودوا على السير الشاق في الجبال وقال الرجل إنه يعرف الإنكليزية وسوف يشرح لك مايحتاج إلى شرح.

قائد باللغتين:

الفتى اسمه (محمد بشير مير) وكان قائداً لي باللغتين العربية إذ هو كان يقود البغل طول الرحلة أخذاً بخطامه يأمره و ينهاه و يوجهه و ينهره أحياناً و يبدو أن البغل يفهم ذلك أو بعضه إذ تصدر عنه ردود فعل على كلام صاحبه تدل على ذلك وهو (قايد) لي باللغة الإنكليزية أي مرشد ودليل.

كان عدد البغال وراكبيها كثيراً جداً لحسن حظي إذ ضعت في الزحام ولم يلاحظ أحد سوء معرفتي بالركوب وإلا لكنت خجلت من ذلك و بخاصة أن من بين الراكبين راكبات قد يبدون لناظرهن أكثر ثباتاً على ظهور البغال مني.

ومع ذلك فقد استمتعت بركوب هذا البغل الذي عددته تمثيلاً حياً لما طالعته في الكتب القديمة عن ركوب البغال في الجبال، حتى استثار ذلك شاعرية الشعراء فنظموا فيه القصائد وتفننوا في نظمها وكانت البغال أحسن المراكب لهذا الغرض فهي أصبر من الخيل على السير في الجبال الوعرة.

وكدت أنسى في غمرة هذه الأفكار أنني على بغل يقوده فتى جبلي لولا أننا وصلنا في سيرنا في الجبل إلى جدول يجرى ماؤه فوق حصا متفرق ولابد من إجتيازه فأخذ القائد بخطام البغل وخاض في الماء قبله ثم قال (برو) وهي كلمة كرر ذكرها

أكثر من مئة مرة وتصورت ما إذا عثر البغل أو حصل له شيء فماذا أفعل ورجلاي مثبتتان في الركابين على حد قول الشاعر:

ركـابـاه لاتـنـفـك رجـلاه عنهما   إذا الخـيـل فـي يـوم الـكـريـهـة ولت

وحين تصورت الكريهة والقوم الذي يظلون ثابتين على ظهور الجياد وأرجلهم في الركاب أكبرت شجاعتهم وحقرت نفسي.

وتم اجتياز هذا الجدول العريض أو النهير الصغير بسلام واستأنف البغل وصاحبه الصعود في الجبل وقوافل الناس على ظهور البغال، وهناك اناس كثيرون يسيرون سيراً على أقدامهم مع أن المسافة تبلغ سبعة كيلات ذلك أن أكثرهم تمنعهم الأجرة الغالية من الركوب.

وأبتدأ الصعود الحاد فأخذ صاحب البغل يلقى علي درساً في الركوب ومنه قوله: إذا أقبل البغل على مرتفع فينبغي أن تتقدم على ظهره لأنه إذا كان ثقل جسم الراكب على مؤخرة البغل أتعبه الصعود و يكون الراكب أقرب مايكون إلى الانزلاق.

ولم تكن المشكلة هي استيعاب هذا الدرس وإنما هي أننا أقبلنا على أرض موحلة من الطين الأسود الذي فيه حجارة متناثرة متفاوتة ملساء لايستطيع البغل أن يطأ فوقها فكان هو وراكبه يتخيران موقع قدمه منها.

هذا والسير كله في وسط غابة جبلية ندية وقد أخذ السحاب يتكاثف فقلت لصاحب البغل ماذا يصنع الناس إذا نزل المطر هنا؟

قال: لاشيء يقفون إلى جانب جذوع الأشجار حتى يقف المطر.

أما المناظر التي يدركها البصر في أكثر الأتجاهات فهي جميلة حقاً: جبال تجلل رءوسها الثلوج وخضرة كثيفة في كل اتجاه ــ وليس هناك مزروعات أو ماهو من عمل الإنسان بل هي غابات عذراء.

هذه هي كلينمارج:

وهي الهدف الأول من رحلتنا هذه على ظهور البغال مدة (٥٠) دقيقة من

الصعود في الغابات الجبلية و بعد التعب الشديد لم نجدها شيئاً وإنما هي محطة للبغال بعضها تتوقف فيها و بعضها تغادرها إلى محطة أخرى مثلها أو أشد منها تعباً لأنها أكثر منها ارتفاعاً. ولاشك في أنه تعب يلذ لبعض الناس أن يجربه غير أن سائق البغل قال لي: هنا لابد أن نستريح ونريح البغل. ولقد صدق في ذلك فكانت راحته وراحة بغله في عدم المشي، أما أنا فكانت راحتي في المشي وعدم الركوب إذ ركوب الدواب هو في حد ذاته متعب غير إنه مريح بالنسبة للمشى.

المكان غابة كثيفة من الأشجار الفارعة القوام الضخمة الجذوع إلا أنها كلها رشيقة قد ذهبت في السماء استقامة وسموقاً وقد رأيتهم يصلحونها حتى تكون كذلك وذلك بقطع الفروع والأغصان الجانبية منها و بين هذه الأشجار الكبيرة حشائش برية ربما كان ذلك بسبب البرد الشديد والرطوبة الزائدة.

وفي هذه المحطة عدد من المقاهي الشعبية الصغيرة غير النظيفة كل واحدة تحت خيمة واحدة ولكن توزع بعض الكراسي الخشبية القذرة تحت الأشجار يجلس عليها



الثلوج في منطقة كلينمارج

الرواد الذين كان عددهم كثيراً في الواقع بل إن المكان كله يعج بالناس وبعضهم قد أحضر معه مايأكله أو يشربه.

وأما المنظر من هذا المكان فإنه قمم الجبال الثلجية التي لا تبعد كثيراً وجبال أخرى أقل ارتفاعاً ليس على رءوسها ثلج ولكنها غارقة في أشجار الغابات.

وقد رأيت جماعـة من الهنود المثقفين فسألتهم عن معنى اسمها كلينمارج وذلك لأن كلمة (مارج) تكرر ذكرها في أسماء هذه الأماكن فأجابوا: إنه موضع الحديقة فاكلين: موضع، ومارج حديقة فقلت في نفسي كأن كلمة مارج هذه هي «مرج» العربية الفصيحة التي تعني الشجر الملتف وجمعها «مروج» وصلت إلى هذا المكان عن طريق اللغة الفارسية أو غيرها.

وقد أحسست بالبرد الشديد رغم المعطف الإضافي الثقيل والأحذية الثلجية فقد تحرك الهواء البارد وتلبدت السماء بالغيوم وأخذت زخات خفيفة من المطر بالتساقط وسألني صاحب البغل: اتريدان نستأنف السير إلى حيث الثلوج؟

فأجبته: لا، هذا يكفي وكان ذلك من توفيق الله تعالى إذ ماكدنا نصل في رحلة العودة إلى (قلمارج) حتى بدأت السحب بالإبراق والإرعاد وأخذ المطر المصحوب بالبرد ــ بفتح الراء ــ يضرب الأرض بسياطه وإلى ذلك كان المزيد من البرد ــ بإسكان الراء.

وبينا كنا نتأهب للعودة رأيت صاحب المقهى يبعد طائفة من الغربان عن فضلات طعام الزبائن ينتهرها ويحذفها بما وصلت إليه يده وهي تنعب وتنعب وتولول في نعيبها كأنما لتذكرنا أننا مازلنا ولو من الناحية السياسية ــ في بلاد الهند التي حلت فيها البركة في نسل الغربان.

وقلت للبغلي أي: صاحب البغل، وكنت قد سقيته شاياً وأطعمته شطيرة فسر بذلك وزاد نشاطه ألا تركب لتستريح من المشى قليلا؟، إنني مستعد لأدعك تركب وأمشي قليلاً فهذا فيه راحة لك، وأنا أريده فامتنع مطلقاً عن الركوب وقال: لا لابد من ان تركب أنت فإننا لم نقطع إلا ثلاثة كيلات ونصف انظر إلى اللافتة وإذا بها

بالفعل تشير إلى ذلك وبهذا يبلغ مجموع المسافة التي سارها على قدميه ممسكا بزمام بغلتي سبعة كيلات من صعود الجبال التي بعضها موحل دون أن يبدو عليه إنه قد ناله أدنى شيء من التعب.

وبعد العودة من الجولة لم يكن هناك مفر من البقاء في هذا المطعم الشعبي المزدحم لأن المطر قد أخذ يشتد و يشتد معه البرد مما أوقف كل حركة مع أن موعد العودة إلى سرنقر لم يحن بعد وكانت هناك أعداد كبيرة من الناس قد حشروا أنفسهم في هذا المطعم فراراً من البرد والوحل وزاد الأمر صعوبة أنه لا توجد مرافق عامة في المنطقة، وإنما كان الناس يلجأون إلى الغابة في وقت الصحو ونسبة كبيرة منهم من النساء والاطفال فكان انتظاراً مملاً.

ومع ذلك فقد تأخر البدء في رحلة العودة من الرابعة ظهراً كما كان مقرراً إلى الخامسة إلا ثلثاً.

ولاحظنا ونحن كنا نعود مع الطريق الذي جئنا منه أن الجداول التي كانت تساير الطريق بمائها الرقراق قد أصبحت أكثر كدراً، وأسرع جرياناً، وأثرى مياها لأنها كانت في أول النهار تأتي مياهها من ذوب الثلوج والآن قد أمدتها الأمطار التي هطلت منذ فترة إلا أن الجو كان غائماً مطبقاً شاتياً لايعدم رذاذاً متساقطاً.

وفي السادسة والنصف عصراً انتهت هذه النزهة الشاتية ولكن لم ينته البرد فقد استمر طول الليل شديداً كأشد أيام الشتاء في بلادنا.

يوم الإثنين: ١٣٩٩/٦/٢٤هـ، ٢١ مايو ١٩٧٩م

وداعاً ياكشمير:

كان موعد الوداع في الساعة الثانية والنصف ظهراً لذلك كان في الوقت متسع للتهيؤ للسفر ولرؤية بعض الأشياء في مدينة (سرنقر) وسألت مدير الفندق عن السوق الذي فيه المكتبات فوصفه لي قرب جسر على نهر (جيلهم) الذي عليه جسر قريب من فندقنا. وعلى ذكر هذا النهر أقول إن مياهه تذهب إلى السند في باكستان.

ذهبت أمشي مستمتعاً بالمشي في هذا الجو البارد إلا أنني عندما وصلت إلى المكتبات المنشودة فقدت ماكنت شعرت به من متعة إذ وجدت طائفة منها كثيراً من معروضاتها صور تبرز مفاتن جسد المرأة، وتصورها في أوضاع مغرية حتى (الألبومات) والصور التذكارية لاتخرج عن هذا.

وربما كان ذلك بضاعة نافقة عند بعض رواد المكتبات ولكنه ليس مبرراً لعرضها بهذا الشكل في بلد إسلامي وإن كان من الناحية العامة جزءاً من بلد لاديني.

وسألت عن صور للمعالم الإسلامية مثل المساجد وبخاصة جامع سرنقر الكبير الغريب الهندسة فلم أعثر على شيء من ذلك.

وقبل الوداع كانت محاسبة فندق جهانقير عن الليلة الواحدة للغرفة المتوسطة الواسعة الخاصة مئة وخمسون روبية وكان الخروج من المطار مع سيارة أجرة بعشرين روبية.

وكان الدخول إلى مكتب الترحيل من الباب الخلفي وليس من واجهة المطار ولا أدري عن السبب في ذلك إلا إذا كان الاحتياط للأمن.

وعند المغادرة لم أجد باباً مكتوباً عليه ذلك فسألت أحد الموظفين فأشار إلى باب يخرج من البناية التي نحن فيها وهي صغيرة فيذهب إلى قاعة أخرى صغيرة تحت ممر مسقوف بالخشب الرديء.

ومن ألطف ماصنعوا فيه أنهم عندما يصل الركاب إلى قاعة المغادرة يفصلونهم قبل دخولها إلى صفين أحدهما للرجال والآخر للنساء ولايكون هذا الفصل في غير هذا المكان من المطار وعندما وصلت إلى الضابط الذي يفتش الركاب من أجل الأمن قبل دخول القاعة سألني عن جنسيتي؟ فلما أخبرته كتبها على البطاقة وقال أهلا وسهلا ثم تركني أذهب دون أن يفتش جسمي وإنما اكتفى بإلقاء نظرة سريعة على الحقيبة اليدوية وقال في أمان الله.

وكانت القاعة صغيرة كما قلت حتى إنها ضاقت بالموجودين مع أنهم ركاب طائرة متوسطة واحدة وكذلك عندما نودي للخروج إلى الطائرة وقام الركاب لم يكن إلا

حافلة واحدة غير كبيرة أمتلأت ووقف الناس ينتظرون عودتها.

ووجدنا المضيفة الهندية عند مدخل الطائرة وقد بسطت كفيها والصقت الواحدة بالأخرى أمام وجهها كما يفعلون بتحيتهم التقليدية.

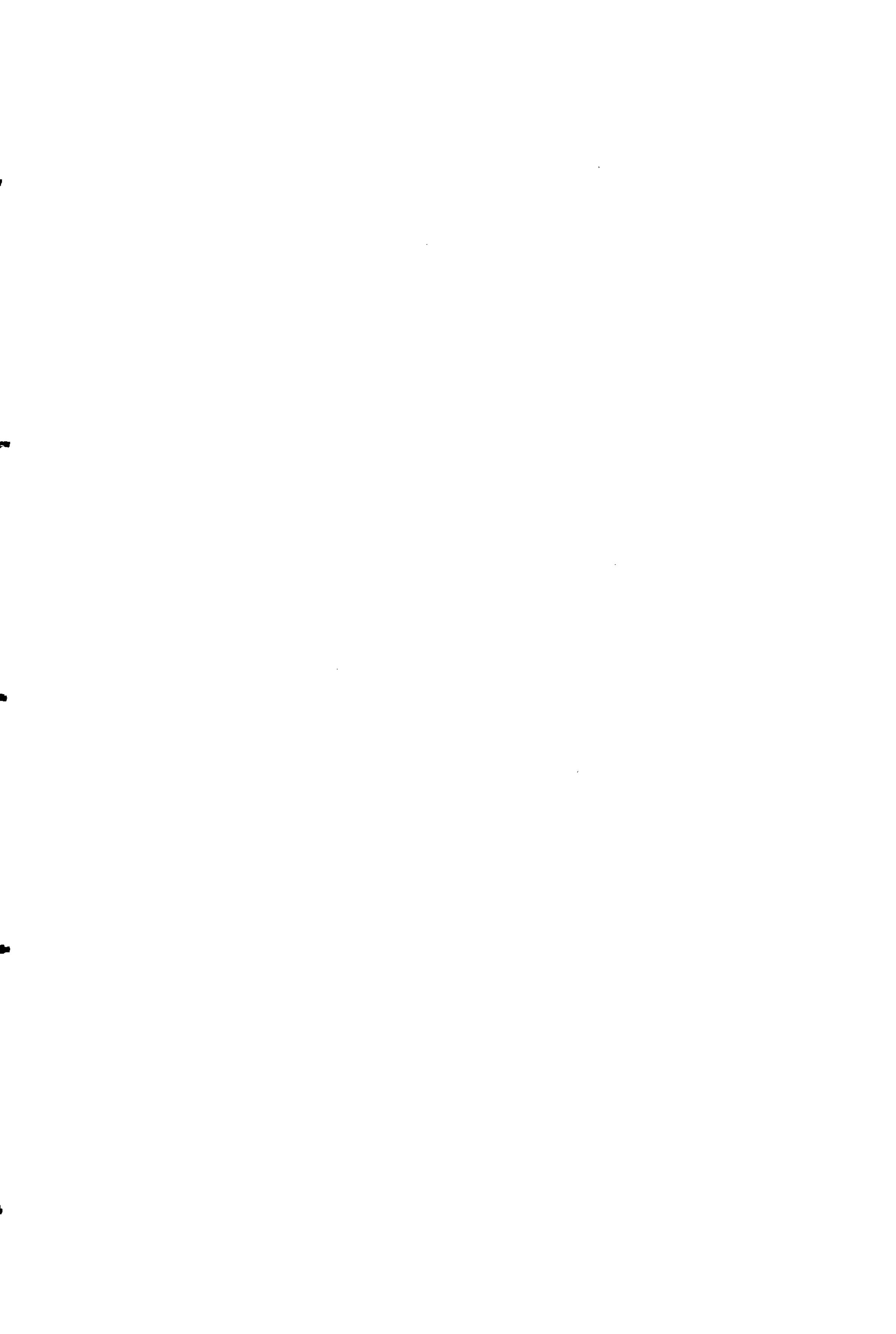
إلى أمرتسر عاصمة السيخ:

أخذت الطائرة بالتحرك قبل أن يتم الركاب الجلوس في مقاعدهم ثم نهضت بسرعة قبل أن تستكمل المضيفة إعطاءهم الحلوى المعتادة وذلك في الساعة الثالثة والدقيقة الخامسة والثلاثين، وفارقنا جو كشمير الغائم المظلم البارد ولسوء حظى كان مجلسي في وسط الطائرة مما يلي الممر من الداخل وفي محاذاة الجناحين من الخارج فلم أر شيئا مع الغيم المطبق الذي كان يمنع من الرؤية.

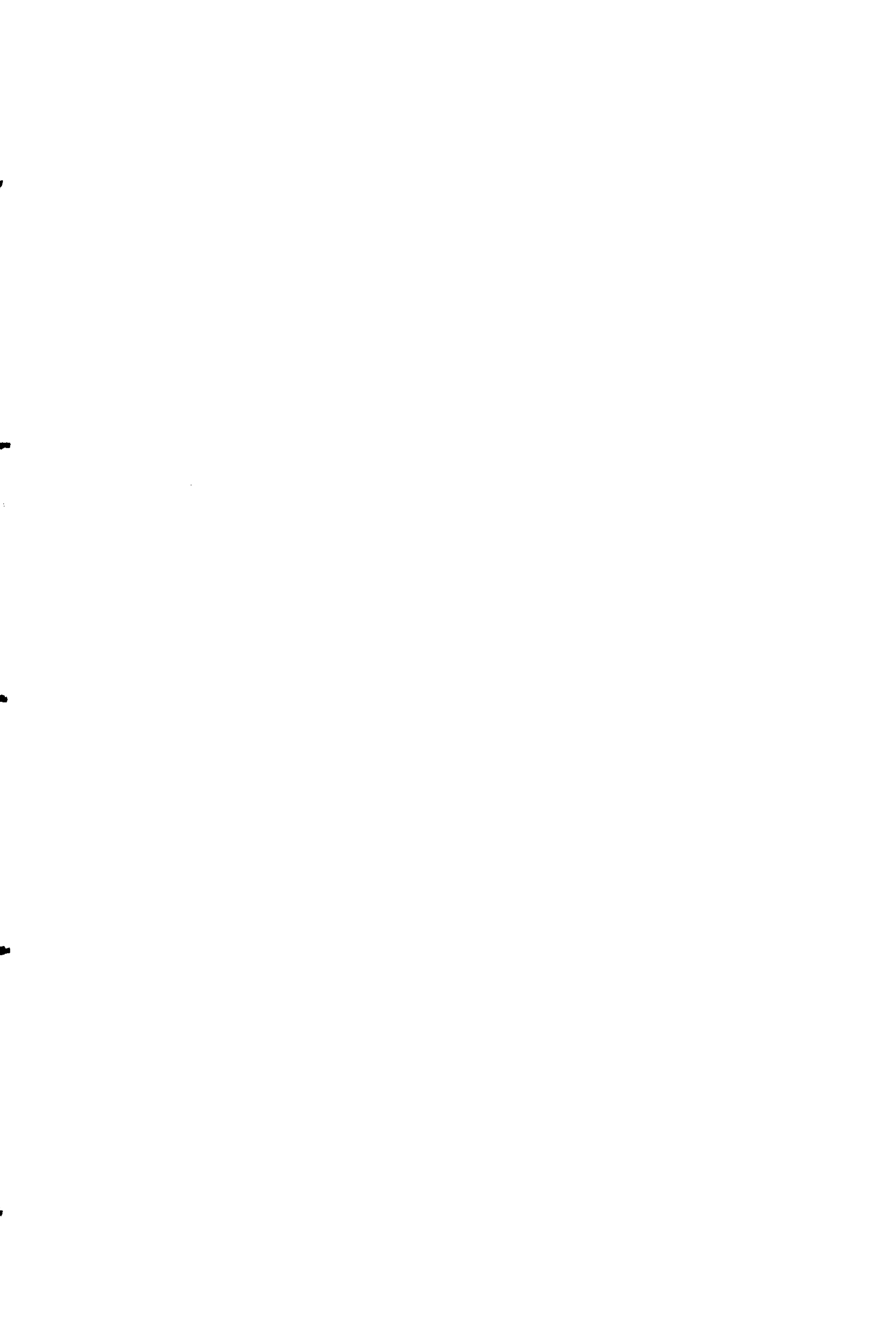
وكان جاراي في الصف زوجين من ألمانيا الغربية لفت نظري كما لفت نظرهما خشونة الطيران حتى إنني وأنا الذي أكثرت من ركوب الطائرات لم أر أخشن من هذه الطائرة وأكثر من ارتفاعها وانخفاضها وارتعاشها حتى أشفق الركاب من أن يحصل لهم مكروه ولم يقدم في الطائرة شيء إطلاقاً ربما كان ذلك لحالة الجو أو لقصر مدة الطيران التي لم تزد على أربعين دقيقة.

وعندما قربنا من المطار نزل بها الطيار نزولاً يكاد يكون مباشراً وكان يخفض أحد الجناحين بسرعة ثم يرفعه كذلك حتى قال جاري الألماني: إن هذا شبيه بالطيران الحربي فلعل الطيار كان طياراً حربياً ثم ضربت عجلات الطائرة الأرض ضربة شديدة اضطرب لها كل من كان فيها وقالت الألمانية وهي بين الضحك والفزع: انظروا إلى باطن يدي لقد كاد يدمى من شدة قبضي على يدي المقعد بسبب الخوف، وقال زوجها: إن هذا الطيار لايحسن قيادة هذه الطائرة.

ووصلت (أمرتسر) في رحلة قصصت قصتها في كتاب (شمال الهند) من سلسلة (الرحلات الهندية).



إلى كشمير.. ثانية



سبب الرحلة

ذكرت في المقدمة أنني عندما عدت من رحلتي الأولى إلى كشمير وهي رحلة كانت خاصة كتبت فوراً عن أحوال المسلمين فيها بينت أنهم في حالة متأخرة من حيث التعليم الإسلامى على وجه العموم، ومن حيث تحقيق الإسلام على وجه الخصوص وأنهم في هذا الأمر أضعف بكثير من إخوانهم في سائر أنحاء الهند مع أنهم أغلبية في هذه المنطقة.

وصادف أن تقدمت الجماعة الإسلامية هناك إلى السفارة السعودية تطلب المساعدة الإسلامية في ميدان التعليم الإسلامي ودعم المؤسسات الدينية.

فاتصلت بي رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة مستفسرة عما إذا كنت أوافق على ترأس وفد يذهب إلى كشمير و يتفقد أحوال المسلمين و يناقش ما يحتاجونه معهم ثم يقترح مايراه المناسب لتعضيد الدعوة الإسلامية هناك.

فأجبت بالموافقة من واقع علمي بحاجتهم الماسة إلى ذلك بل أنني وضعت في ذهني أن يتولى مكتبنا وهو الأمانة العامة للدعوة الإسلامية رسم خطة للدعوة الإسلامية هناك على المدى البعيد تموها المملكة العربية السعودية.

وتركت الرابطة اختيار الوقت المناسب لي غير أن أسباباً تتعلق بالعمل وغيره حالت دون القيام بهذه الزيارة فور الموافقة عليها حتى مضى أكثر من سنة على ذلك.

وكانت فرصة عطلة عيد الفطر لهذا العام التي ستمتد في المملكة إلى أسبوعين مع أنها في المتوسط تكون عشرة أيام قد جعلتني أعزم على القيام بهذه المهمة خلال هذه الإجازة.

وقد عينت الرابطة الأخ الشيخ على محمد مختار الأمين العام المساعد للمجلس الأعلى العالمي للمساجد للذهاب معي إلى كشمير ووضعت تحت تصرفنا مبلغ ثلثمائة

ألف دولار مساعدة فورية للمساجد المحتاجة إلى تعمير أو صيانة في كشمير.

وكان الشيخ على مختار في إندونيسيا يقضي شهر رمضان في الإشراف على دورة لتدريب الدعاة تقيمها الرابطة هناك وتنتهي يوم الرابع والعشرين من رمضان.

فتقرر أن نجتمع في كشمير يوم الخامس والعشرين من رمضان عام ١٤٠١هـ لنبدأ العمل معاً، غير أن الشيخ علي مختار لم يستطع الحضور إلى كشمير لأن عمله في أندونسيا لم يمكنه من ذلك وأكملت المهمة في كشمير وحدي، والتقيت به في دلهي بعد فراغي من كشمير.

يوم الأحد ٢٥ رمضان ١٤٠١هـ

في مدبنة سرنقر :

وصلت إلى مدينة سرنقر عاصمة كشمير بعد معاناة من الطيران الهندي كنت قد عانيتها حين سافرت مع طيران الهند من الظهران إلى دلهي ثم من دلهي إلى سرنقر وكانت الخدمة عندهم سيئة والطعام ليس بذاك.

وكنت قد لبثت في دلهي يوماً واحداً اجتمعت خلاله بصديقي الشيخ صالح بن عبدالله الصقير سفير المملكة في الهند وبحثت معه بعض الأمور المتعلقة بعملنا كما اجتمعت بالشيخ محمد يوسف أمير الجماعة الإسلامية في الهند.

وكلاهما قال: إنه لايستحسن أن تعقد لك اجتماعات عامة ولاتخطب فيها لأن الحكومة الهندية سوف تخرجك إن فعلت ذلك ــ لامحالة ــ من كشمير قبل انتهاء العمل الذي جئت من أجله وذلك لكون كشمير فيها اضطرابات في الوقت الحاضر. فقلت: ان الحكومة الهندية تعرف أنني وأمثالي لا نتدخل في الشئون السياسية الداخلية في البلاد التي نزورها وإنما ينحصر عملنا هنا كما في البلدان الأخرى بمساعدة المسلمين على مشروعاتهم الأسلامية من بناء المساجد وإقامة المدارس جرياً على سياسة التضامن الإسلامى التي تسير عليها حكومتنا وتقوم على التعاون مع الإخوة المسلمين على البر والتقوى كما قال تعالى **(وتعاونوا على البر والتقوى)**.

كما علمت أن الحكومة الهندية على علم مسبق بقدومي كما قال لي السفير الصقير مداعباً إنك لم تبرق لي بقدومك إلى الهند ولكنني عرفت قبل ذلك أنك قادم من وزارة الخارجية الهندية إذ أخبرتني أن السفارة الهندية في جدة أبلغتها بذلك وقالت إن الشيخ العبودي قادم مع أسرته في رحلة سياحية إلى الهند

فقلت له: شكراً على ما أخبرتني به لأنني قد اطمأننت على فهمهم للمهمة التي جئت من أجلها وإن كان هذا لايدل على فهمهم للأماكن التي يفضلها السعوديون لقضاء إجازاتهم إذ كيف يجيء شخص سعودي ذو قدرة مالية مع أسرته لقضاء الإجازة في الهند في فصل الصيف الذي لايقل حراً في أكثر أنحاء الهند عن بلادنا في ذلك الفصل اللهم ماعدا كشمير التي سأزورها وإن كنت لا أدري ما إذا كان لدى السفارة الهندية علم بذلك.

هذه سرنقر :

جلت على قدمي هذا اليوم في مدينة (سرنقر) فجددت بها عهداً غير بعيد، ووجدتها في الصيف أسوأ منها في الشتاء أو قل في الحر أسوأ منها في البرد فالذباب موجود بكثرة رغم الأمطار التي هطلت اليوم، والنظافة في المدينة ليست بذاك ولم أر أي تحسين فيها بل ربما صح القول بأن العكس هو الصحيح.

وكنت متوقعاً أن يكون الجو فيها أكثر برودة فإذا هو يميل إلى الحرارة.

وقد سرت على شاطئ النهر القريب من فندق (جها نقير) الذي نزلت فيه هذه المرة والمرة السابقة فرأيت مياهه تتدافع بشدة وهي داكنة اللون من شدة الجريان ومن كثرة ماتحمله من الطمي.

المظاهر الرمضانية :

والمظاهر الرمضانية في هذا الجزء من مدينة (سرنقر) تكاد تكون معدومة فالمفطرون من الشبان والفتيان كثير وخدم الفندق لايسألونك أأنت صائم أم مفطر؟، بل يسارعون إليك يسألونك عما تفضله من طعام أو شراب وكأنما إفطار من يكونون عندهم هو قضية مسلم بها. وربما كان السبب في ذلك أن أكثر الذين ينزلون عندهم من الغرباء الذين أكثرهم من غير المسلمين وأن المسلمين يفطرون لكونهم مسافرين.

وقد طالت فترة مابعد العصر من هذا اليوم طولاً شديداً كما يكون في البلدان الشمالية في فصل الصيف.

وعند الإفطار لم أسمع مدفعاً يعلن ذلك ولا حتى أذاناً ظاهراً من مكبرات للصوت إلا أن الأسواق قد خلت من المارة أو كادت عند حلول موعد الإفطار.

وقد عرفت أنهم لايطلقون المدافع عند السحور ولا عند الإفطار رغم أنهم أغلبية مسلمة في هذه المدينة.

تراويح سرنقر :

كان مدير الفندق الذي عرفته في المرة الأولى محمد أفضل قد ترك الفندق وخلفه آخر اسمه عبدالعزيز أحمد طلبت أن يدلني على مسجد قريب لأصلي فيه التراويح فأمر أحد الخدم بذلك.

وفي الساعة التاسعة مساء سار معي الرجل وهو يقول لي: إنه مسلم وأدخلني إلى المسجد والصلاة تقام وانصرف قائلاً: سوف أعود لأعود بك من المسجد إلى الفندق بعد ساعة ونصف.

فقلت له : لاداعي لذلك لأنني أعرف الطريق بنفسي.

وقد صلى إمام المسجد صلاة مطمئنة رغم كون القوم حنفية لايشترطون الطمأنينة في صحة الصلاة.

وقرأ قراءة ضعيفة لايبين فيها الحروف الحلقية.

وبعد صلاة الفريضة أخذ القوم يجهرون بالصلاة على النبي وبالدعاء بصفة جماعية منغمة ثم بدأوا بالتراويح فقرأ الإمام في الركعة الأولى بعد الفاتحة سورة **(ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل)** وفي الركعة الثانية سورة (قريش) وهكذا حتى أكمل مابقى من الفصل بسورة الناس في عشر ركعات غلط أثناءها في قرأءة سورة **(تبت يدا أبي لهب)** فنبهه المصلون خلفه وكانوا يقولون قبل الدخول في كل تسليمة بصوت منغم جماعي (اللهم صلى على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد وعلى

أصحاب سيدنا محمد).

وبعد كل ركعتين يلبثون قليلاً وهم يدعون بأصوات جماعية مرتفعة منغمة أيضاً بدعوات وصلوات على النبي، صلى الله عليه وسلم، قبل أن يدخلوا في التسليمة التي تليها.

وكانت المفاجأة لي أن الإمام عندما أكمل المفصل وقد صلى عشر ركعات في خمس تسليمات قام فأخذ يعيد ما قرأه مبتدأ من سورة الفيل فما بعدها تماما مثلما فعل في الأولى وهم يفعلون كذلك من دون زيادة أو نقص في الذكر والدعاء الجماعي بين كل ركعتين. إلاَّ أن المصلين أخذوا بعد أن صلى أربع تسليمات ينقصون فينصرفون واحداً واحداً.

ومع أن المسجد صغير فإنه لايلقى العناية الكافية من التنظيف.

ويقع على الضفة الشرقية من نهر (جيلهم) لا يفصل بينهما الا شارع ضيق.

ومن طريف مافيه أن أحد الشبان أحضر معه (سطلا) أي وعاء مملوءاً بالماء وبيده كأس وهو يمر أمام المصلين يعرض بذلك الماء على من يريد منهم أن يشرب.

يوم الإثنين ١٤٠١/٩/٢٦هـ ١٩٨١/٧/٢٧م

يوم معاناة.

تجتمع أحياناً على المرء طائفة من المنغصات أو على الأدق أقدار من معاناة الضيق كأنما كانت على موعد.

وهذا ماحدث اليوم:

فقد أصبت منذ أمس بأنفلونزا حادة التهب منها أنفي وحلقي، أصبت بها في مطار دلهي الذي هو مزدحم بالناس، وبعضهم يعطس أو يسعل أو يفعل شيئاً قريباً من ذلك وسط الناس دون أن يغطي أنفه أو فمه فيضع عليهما ما يمنع رشاش عطاسه. ومع ذلك لم أستطع مغالبة الشعور بالخجل من أن أترك الصيام هذا اليوم وأن أجعل

أهل الفندق يحضرون إلى الطعام والشراب في رمضان لأنني لست على يقين من أنهم سيقتنعون بأنني من المسافرين الذين يجوز لهم الإفطار فضلاً عن كوني مريضاً بالأنفلونزا.

فصمت وتعبت تعباً شديداً.

وزاد من ذلك الشعور بضياع الوقت فقد حاولت مع بعض زعماء المسلمين أن أجعلهم يحضرون إلى في الفندق لأتفاهم معهم في أمر المساعدات الإسلامية التي سوف أسعى لهم بها، ولكن أحداً منهم لم يصل إلى واكتفوا بأخذ رقم الغرفة قائلين بأنهم سيأتون مع أن بعضهم كان يحضر إلى المملكة وبعضهم كان قد حضر إلى بيتي هناك.

والسبب في ذلك هو خوفهم الشديد من الحكومة الهندية.

والوقت بالنسبة إلىّ يمضي دون فائدة.

وسعيت إلى أحدهم في محل له فلم أجده واكتفى بالقول بالهاتف لعامل عنده بأنه سيحضر إلى في الفندق ولكنه لم يفعل فزاد هذا من معاناتي.

وزاد من شعوري بأنني لم أتمكن من العمل على تقديم المساعدات الإسلامية التي أمرتني حكومتنا بتحديدها والتي يحتاجها إخواني المسلمون في هذه البلاد لأنه إذا كانوا لايستطيعون الاجتماع معي، والطواف بي على المشروعات الإسلامية المختلفة لاشاهدها بنفسي فإنني لن أوصي لهم بأية مساعدة لأن الحكم على الشيء فرع عن تصوره فطاف في خاطرى طائف أن تكون الرحلة لم تثمر بسبب الأوضاع السياسية في هذه البلاد.

وأما الصيام في (سرنقر) فإنه شاق عليّ لأن البلاد وإن تكن ليست حارة فإنه لايوجد فيها مكيف للهواء يمكن أن يستريح الإنسان بسببه وإنما عندهم المراوح الكهربائية وهي تنشف الجسم. والنهار أطول منه في بلادنا وهذا هو شأن البلاد الشمالية في فصل الصيف إضافة إلى عدم وجود وسائل الراحة في المأكل والمنام التي اعتدت عليها عند أهلي أثناء الصيام.

وتمشية في سرنقر :

خرجت في جولة في هذه المدينة التي أعرفها من قبل وذلك لتبديد الوحدة في الفندق رغم أني صائم وأن الشمس حارة فسرت على ضفة نهر (جيلهم) القريب من الفندق ولكن من جهة أخرى فرأيت فيما رأيته شيئاً مخجلاً ذلك بأن البنات الصغيرات مابين سن العاشرة إلى الثانية عشرة يأتين إلى ضفة النهر فيخلعن ملابسهن كلها و يبقين كما ولدتهن أمهاتهن يغتسلن في مياه النهر الكدرة لأن هذا الموسم هو موسم الأمطار وفيضان الأنهار.

ورأيت أيضاً رجلاً هندوكيًا يتظاهر بأنه ساحر وأنه يفعل أشياء لافتة للنظر وقد تجمهر حوله الناس ومعه طفلة له قد ألبسها لباساً غريباً قصيراً وجعلها تدخل في كيس من القماش وتخرج منه كما يفعل القرد فجاء شيخ مسن مسلم من أهل البلاد معه عصاه فضرب به البنية ضربا خفيفاً ففزعت وضحك من كانوا قد تجمعوا حول هذا الهندوكي المخادع و بطل سحره.

وتشبه هذه مارأيته بالأمس من أمر صبيين اثنين يضربان بقرة كانت باركة في الرصيف ورجلان من الهند وكيين ينهيانهما عن ذلك فلا يسمعان قولهما، وهذا بسبب وجودهما في هذه البلدة التي تقطنها أغلبية مسلمة.

و يذكر أن وجود البقر هنا في الشوارع كثير ولكنه للانتفاع بها و يتركها أهلها في الشوارع حتى تأكل من الفضلات والأعشاب.

ولكن أكثرها تكون في الشوارع الجانبية وعلى الأرصفة ولا تكون في الشوارع التي تكثر فيها السيارات والعربات الأخرى بخلاف ماعليه الحال في بقية المدن الهندية الهندوكية.

وذهبت أبحث في مكان ذكروه لي عن شخص يقرب مظهره من مظهر صديق لي من أهل سرنقر نسيت اسمه وعنوانه فركبت دراجة نارية (ركشاوية) وجلت في أنحاء من هذه المدينة.

بيوت القوارب :

فرأيت بيوت القوارب على النهر التي تشتهر بها مدينة (سرنقر) ووجدتها نظيفة المظهر في مياه نهر عريض نوعاً ما وسط هواء طلق وقد أخبرني بعضهم أن الطعام والشراب يقدم فيها و يضاف إلى الأجرة وقد أعجبتني ولكني لم أشأ أن أسكن فيها لأنني أخشى أن تكون ذات سمعة غير جيدة وأكثر سكانها هم من السياح الأوربيين الذين رأيتهم كثيرين في تلك المنطقة من المدينة وإن كان يظهر على اكثرهم عدم اليسار وإنما حضروا إلى هذه البلاد للسياحة ومحبة في الاطلاع على أحوال الآخرين.

ومن هناك جالت العربة (الركشاوية) في ضواح من سرنقر قريبة من وسطها وأهم ماتتميز به المناظر فيها شيئان :

أولهما : كثرة ثكنات الجيش ومعسكراته كثرة لافتة للنظر بل هائلة وهى ذات أرقام متسلسلة مزعجة بكثرتها.

وحول هذه الثكنات السيارات العسكرية من سيارات النقل والجيب وغيرها ومظهرها مع مظهر الجنود والضباط ممتاز جدًّا فالذي يراهم لايعتقد أنهم من أهل الهند مما يدل أن المسئولين في الحكومة الهندية المركزية يولون الجيش الاهتمام العظيم وتنفق الحكومة عليه بسخاء رغم الفقر المدقع الذي يعيش فيه مئات الملايين من الشعب بما يصاحبه من المرض والجهل ونقص المرافق العامة إلى بلايا كثيرة.

وهذا مما ينبغي أن يتخذ منه العرب شاهداً ومثلاً على حشد القوة كل القوة للجيش وجعل إعداده وإمداده بالمعدات والرجال المدربين على رأس الأوليات بل على رأس المهمات للأمة.

ولاينبغي أن يثنيهم عن ذلك مايتطلبه الجيش المعد المنظم من أموال طائلة ونفقات هائلة يريدون فيما يزعمون أن يوفروا مستوى معيشة الشعب يرفعونها ورفاهية في العيش للناشئين يوفرونها، لأنه اذا لم يكن للشعب جيش قوي يذود عن البلاد و يرهب اعداءها فان الأعداء سوف يجترأون عليها و بالتالي يكون مستوى المعيشة

الذي ارادوه إلى انحطاط، وتنقلب الرفاهية التي قالوا: إنهم يريدون توفيرها للناشئين إلى شقاء وعذاب، إذا سلم وطن الناشئين من غزو الغازين الأقوياء فلم يفعلوا به مافعله اليهود بفلسطين وأهل فلسطين.

وثاني الأشياء اللافتة للنظر في هذه الضواحي هو كثرة الحدائق ولكن أغلبها هي ذات اشجار باسقة وحشائش تسقيها الامطار والزهور فيها ليست كثيرة والعناية بها ليست شديدة الظهور.

ومررت بعد ذلك بطائفة غريبة المظهر من الناس في هذه البلاد فمظهرها مظهر الجنس المغولي غير أنها تمتاز بسمرة داكنة غريبة وكلهم هنا يعرضون بضائعهم على الأرصفة وأغلبها من الملابس والمنسوجات اليدوية.

وأغلب البائعات من النساء سألت إحداهن بعد أن اشتريت منها (لفاعا) رخيصاً من الصوف بقيمة ١٢ روبية أي خمسة ريالات عن أصلها وقومها هؤلاء؟ فقالت : اننا كلنا من التبت هربنا من بلادنا عند ما استولت عليها الصين الشيوعية.

ولا أدري مبعث سمرتهم الشديدة هذه مع أنهم قد عاشوا في بلاد جبلية.

ووصلت الى حانوت الأخ (صوفي غلام قادر) فلم أجده وهو حانوت لبيع الفطائر والحلوى فاتصلت به بالهاتف من حانوته فوعد أنه يحضر في مساء الليلة في الفندق ولكنه لم يحضر.

قلت لأحد الخدم في الفندق إذا غربت الشمس فأحضر لي الماء والقهوة حتى أفطر فقال: إذا صار (روضت) أخبرتك ــ وعرفت بذلك أنهم يسمون الصيام (روضت) وبالتالي يسمون الإفطار (روضت) وربما كان ذلك أخذاً من كونه روضة من رياض الجنة.

يوم الثلاثاء ١٤٠١/٩/٢٧هـ ١٩٨١/٧/٢٨م

يوم عمل :

خرجت ضحى اليوم إلى حانوت الأخ (صوفي غلام قادر) فلم اجده ولكنه قال

لي بالهاتف إنه سوف يصل بعد نصف ساعة فذهبت أجول على قدمي فيما حوله فوجدت رجلاً يبيع في حانوته مصنوعات كشميرية جميلة من حقائب اليد وعلب الخشب المنقوشة ... إلخ فقلت له: انني أريد ان اشترى منك جملة ولكن بشرط أن تحسب ثمنها عليك وتضيف عليه خمسة عشر بالمئة مكسبًا حلالاً لك فقال اتفقنا.

وكانت رخيصة جدًّا حتى إن بعض العلب المنقوشة الصغيرة حسبها بروبيتين أي أقل من ريال وبعض الأساور المنقوشة بثلاث روبيات.

ثم عدت إلى حانوت (صوفي غلام قادر) فوجدته فيه ولكنني وجدته غير صاحبي الذي أعرفه. إلا أنه تبين بعد ذلك انه مهم ونافع لي أكثر من غيره فوجدت فيه رجلاً جم النشاط متحمساً للعمل الإسلامي يصرف لذلك جزءاً كبيراً من وقته رغم انه (مهندس مدني) ويشغل وظيفة الأمين العام لدائرة الدراسات الإسلامية.

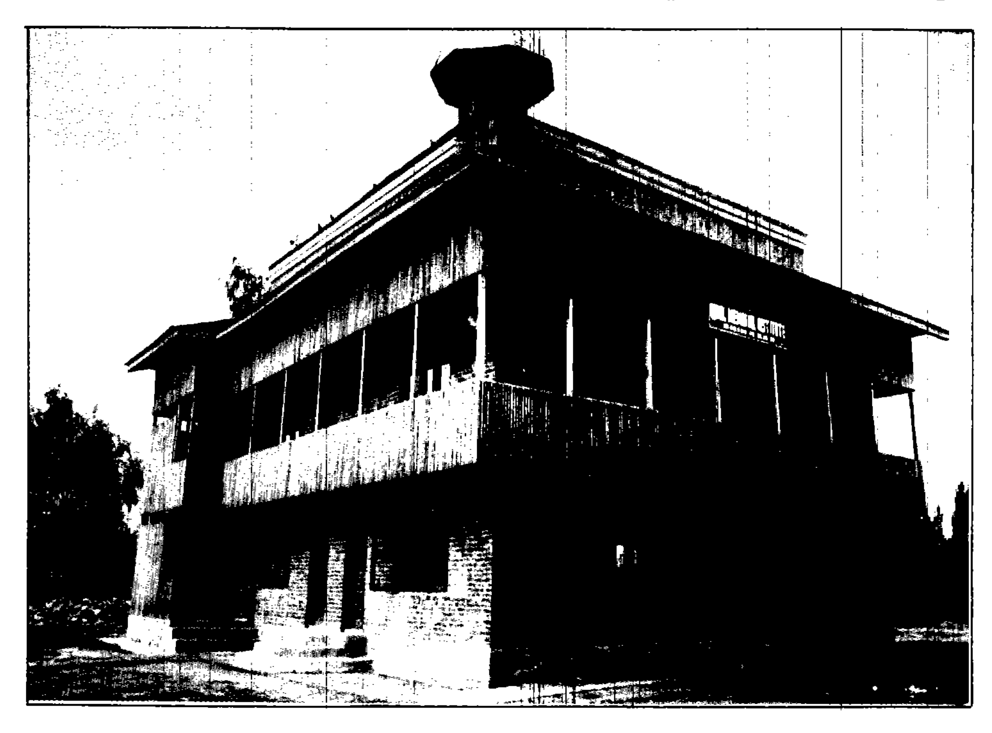
تحدثت مع هذا الأخ الذي أراه لأول مرة فوجدت فيه ضالتى المنشودة وطلبت منه أن يصلني حالا بالشيخ سعد الدين امير الجماعة الإسلامية في كشمير وقلت له ان لدي في هذه البلاد عملاً كثيراً ووقتاً قصيراً فقال:

هيا إلى الركوب وذهب إلى دراجة نارية واقفة وقال اركب خلفي، فقلت له إنني لم أتعود على ركوبها فقال: إن على أمثالنا من العاملين في الحقل الإسلامي أن يتعوذوا على المشاق.

وقد مانعت في ذلك لأنني لم اتعود الركوب على مثلها وخشيت أن تكون عاقبة المرة الأولى في الركوب فشلاً في التوازن على ظهرها في وسط الشارع المزدحم في مدينة (سرنقر).

غير ان اخانا (صوفي غلام قادر) لم يترك لى فرصة الرد بل جذب يدي واركبني خلفه وقال وهو يشير إلى الدراجة: ههنا ضع رجليك واما يداك فيمكنك ان تضعهما في هذا المكان.

إلى وقف اقبال التذكاري :



جانب من وقف اقبال التذكاري

كان الأخ المهندس (صوفي غلام قادر) هذا قد تحدث بالهاتف طويلا قبل أن يركب ولذلك عندما انطلقت دراجته في شارع رئيسي في سرنقر وكنت خائفاً من الفشل في ركوب الدراجة ولكن بدأ الخوف يزايلني بل بدأت أستمتع بركوب هذا الشيء الذي أركبه لأول مره لأني اكتشفت أنني أستطيع أن أركبه ولو رديفاً إذا به يقف على جانب الطريق بعد ان أشار إلى سيارة قادمة و يقول لي: هيا لننزل.

قلت له إنه ليس لدي مانع من الاستمرار في ركوب الدراجة فقد اكتشفت أنني أستطيع ركوبها.

فضحك وقال: ليس الأمر متعلقا بها.

فذهبنا معا إلى السيارة القادمة التي كانت قد وقفت وقدمني إلى من فيها وكانوا صفوة من المثقفين المسلمين في هذه البلاد.

منهم صاحب السيارة الدكتور/ مير محمد مقبول رئيس مؤسسة الوقف الإسلامي وهو طبيب ناجح مشهور والمهندس الدكتور يوسف العمر رئيس مؤسسة دائرة الدراسات الإسلامية.

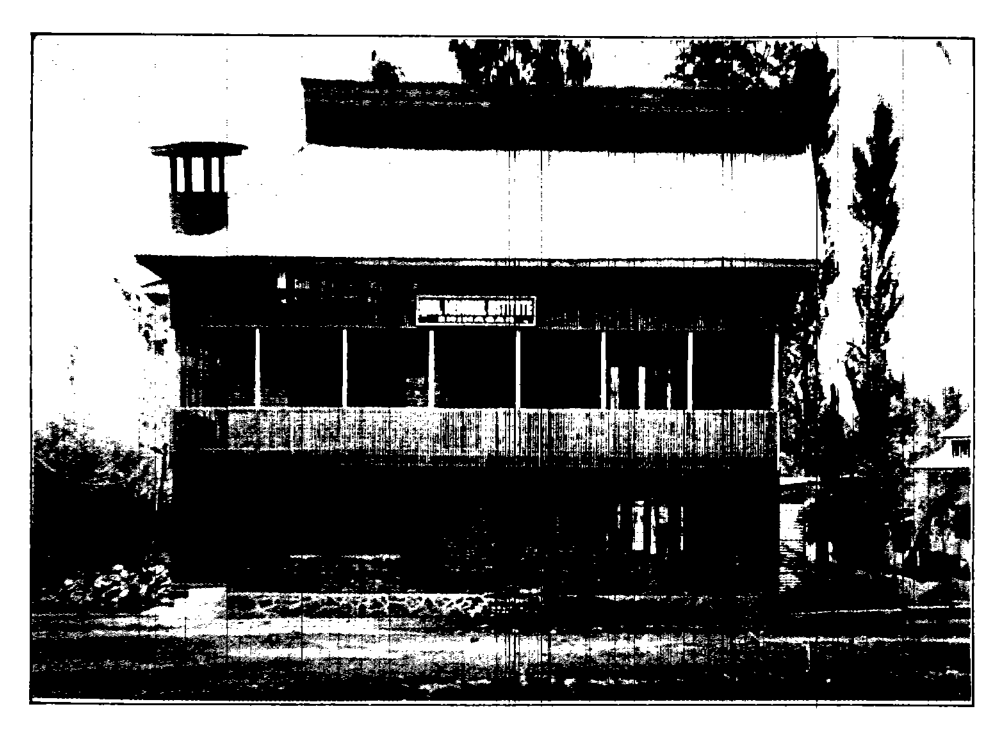
وجرى بيننا حديث داخل السيارة تم الاتفاق فيه على أن يرونا مشروعاً لهم ثم يصلونا بالجماعة الإسلامية وسارت السيارة إلى (بيمينا) في سرنقر ولا يبعد عن قلب المدينة إلا ثلاثة كيلات جهة الغرب فوقفت السيارة عند فضاء من الأرض على جانب شارع مسفلت سفلتة ضعيفة وعند لافتة كتب عليها بالأوردية (إقبال ميمو ريال ترست سرنقر) وهذه كلها كلمات كتبت بالأوردية التي حروفها هى الحروف العربية وتعني (الوقف التذكاري لإقبال) في كشمير.

ومعلوم أن المراد به الدكتور الشاعر العظيم (محمد إقبال) الذي قيل إن أصله من كشمير وان كان عاش أبوه في مدينة لاهور في البنجاب وولد هو نفسه هناك ومات هناك كما هو معروف.

وتركنا السيارة فسرنا مع ممر مرصوف بالحجارة يخترق أرض الوقف إلى المسجد والمدرسة مباشرة وذلك بأن الأرض ندية مشبعة بالرطوبة من المطر وان كانت خضراء من حشائش وحشية غير مزروعة حتى وصلنا إلى بناء من طبقات ثلاث أولها المسجد وهو متوسط السعة نظيف مسقف بالخشب رغم انه حديث البناء ذكروا ان السبب في ذلك ان الخشب أدفأ من الاسمنت في بلادهم هذه التي هي شديدة البرد في أكثر فصول السنة ولأنه أرخص لأنه من انتاج بلادهم ذات الغابات الكثيفة في بلاد مثل بلاد الهند التي تنتج من الاخشاب مايكفيها وكانت تصدر الأخشاب الكثيرة إلى البلاد العربية منذ صدر الإسلام حتى وقت قريب وبخاصة خشب الساج والكندل من جنوب الهند. وليس في المسجد فراش مطلقاً لعدم وجود المال.

والطابق الثاني للمدرسة الإسلامية فصوله نظيفة جيدة تدرس الدين الإسلامي واللغة الأوردية والانجليزية ولايدرسون الكشميرية لغتهم؛ لانها ليست لغة ثقافية كما قالوا لي حين سألتهم عن ذلك.

والحقيقة أن الأمر كذلك لأنها لغة محلية وكانت الأوردية هى لغة المسلمين



مسجد وقف اقبال التذكاري

والثقافة الإسلامية في اكثر انحاء الهند حتى أخذت حكومة الهند على الغائها تدريجيًّا وإحلال اللغة الهندية التي يسمونها (الهندي) محلها وهي لغة قديمة كانت ميتة فأحيوها.

ولم نر طلاباً لأنهم كانوا في اجازة رمضان كما أن طلاب المدارس الحكومية في كشمير كانوا في اجازة الصيف لهذا العام ومقدارها اسبوعان فقط.

وذلك لأن لهم إجازة في الشتاء أهم من إجازة الصيف هذه وأطول لشدة البرد في بلادهم كما قدمت.

وذكروا أن لديهم في هذه المدرسة ثلاث مئة طالب وتسعة مدرسين وأنهم الى جانب الموضوعات الاسلامية يدرسون منهجاً مدنيًّا.

وفي الطابق الثالث قاعة كبيرة للاجتماعات.

وتركنا هذا البناء الحديث الجميل نتمشى في هذه الأرض الخضراء الجميلة وفي مواجهتنا كلية طبية حكومية مقابلة لأرض هذا الوقف الإسلامي.

وتجاور الجميع معسكرات للجيش الهندي الذي تكاد تجد معسكراته في أكثر أنحاء هذه البلدة كما تجدها في أكثر أنحاء ولاية كشمير.

ومعسكراته هنا كما في سائر الأنحاء تتسم بالمظهر الجيد الذي يدل على السخاء في الا نفاق.

وأرونا مشروعاً لهم كبيراً قالوا: إنهم يجمعون المال له وقد جمعوا حتى الآن مئة ألف روبية أخرى وسيتم فيه إنشاء مدرسة إسلامية عالية أو كلية إسلامية ومنازل للطلبة الغرباء.

وتبلغ مساحة الأرض مئة متر عرضاً في مئتين طولاً.

وجميع نفقات المشروع من تبرعات أهل الخير وقد اخبرونا ان هذا الشهر الكريم شهر رمضان يعد شهر التبرعات وشهر صرف الزكاة وانهم ينتهزون هذه الفرصة لجمع الأموال من المحسنين لهذا الغرض.

حي العيد :

من هذا المكان الذي يقع في حي (بيمينا) انطلقنا إلى حي اسمه (إيدقاه) ومعناها. (حي العيد) لأن إيد هي العيد بالعربية وقاه معناها بالأوردية مكان وهى مما دخل إلى الأوردية من اللغة الفارسية.

وعندما سمعت هذه الكلمة ذكرت كلمات كثيرة كانت مرت علي في كتب الثقافة الإسلامية والتاريخ الإسلامي تنتهي بمقطع (قاه) ومنها (الخانقاه) بمعنى النزل أو مايسمى الآن (الموتيل).

وقد سمي هذا الاسم بهذا المكان لأن فيه مصلى العيد.

وقفنا في هذا الحي على بناء قديم كتب عليه اسمه بالعربية بطريقة لطيفة

(مكتب تعليم القرآن والحديث) وليس بالحبر ولكن بمسامير من الصفر ذات رءوس عريضة كنا نسميها في نجد (القمورة) جمع قمر تشبيهاً لاستدارة رأس الواحد منها باستدارة القمر ولونه بلونه إذا كان بدراً ورأينا قاعة التعليم في الطابق الثاني من بناء بالطين والأخشاب.

قالوا: إنه يدرس فيه أربع مئة مابين طالب وطالبة غير أنهم منفصلون في الدراسة وإن التعليم فيه على عدة دفعات في الليل والنهار أي: لايجتمع هذا العدد في آن واحد وذلك لضيق المحل ولظروف الدارسين.

وقالوا: إنه تنفق عليه جمعية ضعيفة تحتاج إلى مساعدة.

وتركناه فمررنا بمصلى العيد وهو أرض واسعة جداً مسورة بالخشب لمنع دخول الدواب مكسوة كلها بالحشائش الخضراء الوحشية التي لا تسقى وفي جانب منها مستنقع من الماء وفي الجانب الشمالي مسجد قديم قالوا إنه يكون للإمام ومن يتقدم من المصلين في وقت المطر.

إلى مقر الجماعة الإسلامية :

سارت السيارة من هذا الحي مارة بمستنقعات من المياه عليها النباتات المائية الخضراء مع طريق رديء الرصف فمررنا بمجموعة من المنازل أكثرها من طابقين فيها حوانيت قليلة أظهر مافيها الخضروات والفاكهة ومن الخضروات يقطين ــ نوع من القرع ــ طويل دقيق مما نسميه في بلادنا (قرع نجد) ونفضل وضعه مع مرق اللحم.

وتشيع في هذه الأحياء عربات الركوب التي تجرها الخيل والبغال ويركب فيها الناس مجموعات وإن كان ذلك على نطاق ضيق بالنسبة لما يكون في الهند وذلك لأن عدد السكان ليس كثيراً بالنسبة إلى الهند ولأن المواصلات الأخرى كالحافلات الكبيرة والصغيرة رخيصة جداً ومتوافرة وليست مزدحمة ازدحاماً مؤذياً فتستطيع أن تركب لمسافة ثمانية كيلات مثلاً بنصف روبية والناس فيها مؤدبون لذلك يركب فيها الرجال والنساء من دون احتشام.

ومـررنا بنهير صغير أو ترعة كبيرة ووجودها هنا لايلفت النظر لكثرة المياه والأمطار ومناقع المياه.

وخارج هذه القرية كان الطريق أشبه مايكون بالريفي، أسوار البساتين فيه من الطين الذي ذكرني بأسوار البساتين في بلادنا إذ هو من الطين الذي يسمى عروقاً وهي الطين الذي يبني شيئاً فشيئاً بوضع الطين الرطب فوق الجدار حتى يجف. وليس باللبن الذين يكون مجففاً على الأرض قبل ذلك.

وفي جوانب الطريق يرى المرء في الأماكن المتسعة أخشاباً كثيرة مما يؤكد في ذهنه أن هذه البلاد بلاد غابات وأشجار كثيفة ملتفة.

في بلدة صورة:

ولفظها على لفظ الصورة بالعربية ولايدرون سبب تسميتها بذلك إلا أن الكلمات العربية هنا كثيرة لافتة للنظر وبعضها مما دخل من العربية في الأوردية فاستعملوها أو دخلت في لغتهم الكشميرية من الفارسية.

وفيها يقع مقر (الجماعة الإسلامية) وتبعد عن قلب مدينة (سرنقر) العاصمة مسافة ستة عشر كيلاً ولذلك يسميها بعضهم تجاوزاً (حي صورة) على اعتبار أنها جزء من مدينة سرنقر وليس الأمر كذلك بل هي منفصلة عنها بأراضٍ من الفراغ والبساتين التي تتخللها محلات سكنية قروية.

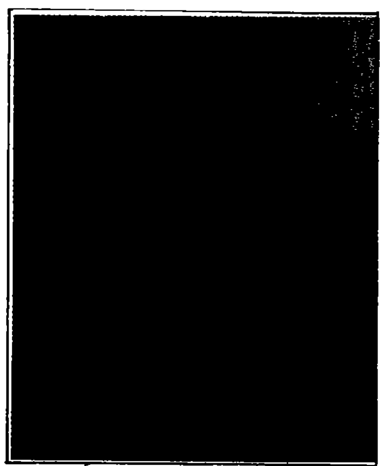
شوارع هذه البلدة غير واسعة ومستوى النظافة فيها كما في أكثر القرى الواقعة في الأرياف ليست على الدرجة المطلوبة أو قل إنها ليست نظيفة ولكنها أحسن بعدة مرات من مثيلاتها في قرى الهند.

وقل مثل ذلك بل أكثر من ذلك بالنسبة إلى السكان فيها.

دخلنا إلى مقر (الجماعة الإسلامية) أو (مركز جماعة إسلام) كما يقولون بالاوردية فقابلنا فيه في الطابق الثاني الشيخ محمد سليمان الأمين العام للجماعة أو (قيم جماعت) كما قالوا لنا بالأوردية.

و يقع المقر على شارع في موضع يسمى (واجهي قام هارون) بفتح الراء والواو.

فسلمت عليه وعلى من في المقر و بدأت أتكلم معه فقال إن الشيخ سعدالدين أمير الجماعة قادم ودخل الشيخ سعدالدين فسألته عن اسمه الكامل بعد التعرف عليه والأنس به فقال: (سعدالدين) فقلت: هذا قد سمعت به من دلهي فما هو الاسم الكامل لكم؟ فأجاب : هذا هو اسمي الكامل قلت فاسم الوالد؟ قال غلام محمد قلت: فاسم الأسرة؟ فأجاب: تار بلدي.


سعد الدين غلام محمد امير الجماعة الاسلامية في كشمير

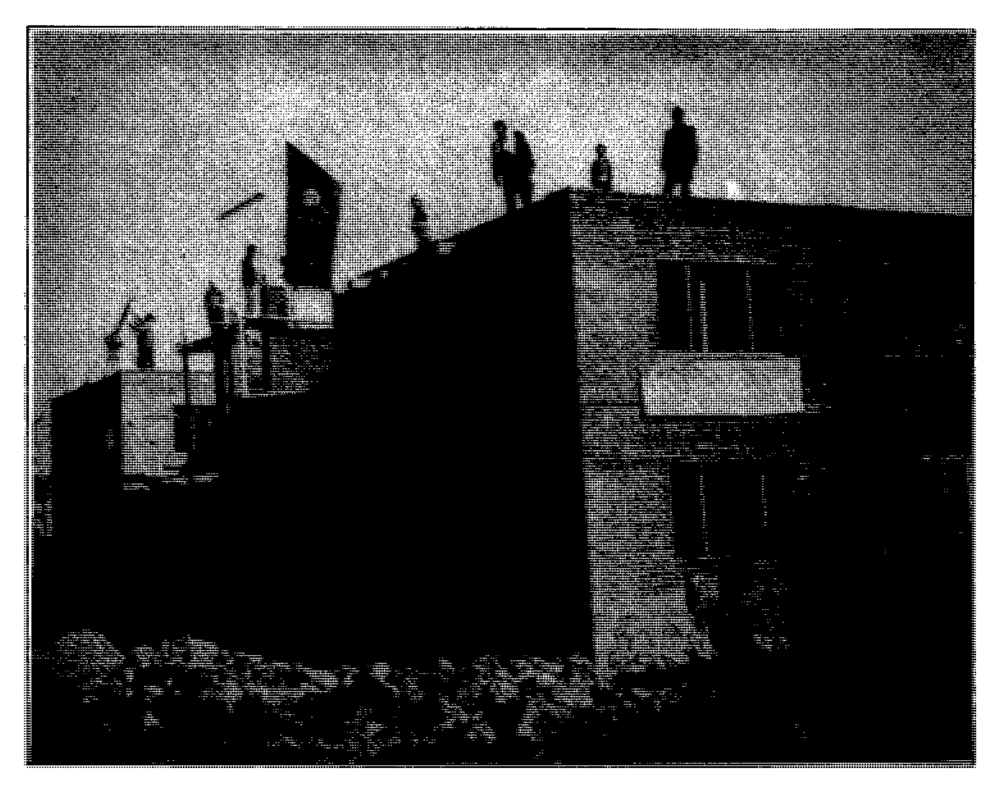
وقد عرفت بعد ذلك أنهم يلقبونه الحاج حافظ قبل سعد الدين و يعدون اسمه الكامل (حاج حافظ سعد الدين) شرحت له مهمتي بعد أن عرفته بنفسي فقال بهدوء ظاهر و بصوت غير مرتفع كما هي عادة أهالي كشمير الأصلاء:

لنذهب وحدنا إلى مكان آخر. وصعدنا إلى الطابق الثالث من البناء في مكتب كل ما تقع عليه عين الإنسان فيه من الخشب بما في ذلك السقف.

ولم يكن معنا إلا الأستاذ (غلام رسول) ووظيفته: (صدر دفتر الجماعة) بمعنى رئيس الديوان أو مدير المكاتب والإدارة.

تكلمنا لفترة لم يبد الرجل حماسة لما ذكرته من أنني قدمت إلى هذه البلاد من أجل تقدير المساعدة التي يحتاج إليها إخواننا المسلمون في مشروعاتهم الإسلامية التعليمية.

وقلت له : إنني أحمل معي الآن مبالغ جيدة من المال للمساجد من المجلس الأعلى العالمي للمساجد التابع لرابطة العالم الإسلامي وقد تركت ذلك في سفارة المملكة العربية السعودية في دلهي وسوف أعد قائمة بالمساجد المحتاجة ليذهب أهلها إلى السفارة في دلهي فيتسلموها.



مشروع الجامعة الإسلامية تحت الجماعة الإسلامية

أما بخصوص المشروعات الإسلامية فإنني سوف أقترح على حكومتي مساعدتها ولكن إتمام ذلك يحتاج إلى بعض الوقت.

وقد تبين لي بعد ذلك أن هذه طبيعة هذا الرجل الطيب فهو هادئ يتكلم ببطأ وقد يكون تفكيره أيضاً هادئاً ولكن مظهره مظهر الرجل الحازم القوي.

وهو أبيض اللون في الخامسة والستين من العمر إذا رأيته لا تشك في أنه أحد المسنين من الأتراك غير أن وجهه لايعطيك سنه الحقيقي فهو يبدو أقل من ذلك بكثير ربما بسبب تدينه واطمئنانه الروحي.

وقد اتفقنا على اللقاء فيما بعد وأن يعد تقريراً مكتوباً يذكر فيه مشروعاتهم ومايحتاجون إليه من مساعدة وأن نبحث كل ذلك بالتفصيل ونرى أماكنه على الطبيعة بعد ذلك.

ثم أشار إلى بناء مقابل. وقال: يمكنك أن ترى هذا وهذا الآخر المقابل لذلك البناء.

نزلنا من مقر الجماعة الإسلامية وقطعنا الشارع إلى بناء كتب على واجهته بالأردية التي هي العربية في أكثر كلماتها (مركز تعليم وتحقيق علوم إسلامية جماعت إسلامي جمون وكشمير حاجي محمد رمضان لون ترست صورة سرس سرنقر) فليس فيها من الكلمات غير العربية ماعدا الإسلام إلا كلمة (ترست) بمعنى وقف ذلك أن واقفها هو الحاج محمد رمضان لون فهو أوقف هذا المبنى والمقابل له الذي فيه المقر العام للجمعية و بناء ثالثاً أيضاً وثمانية حوانيت تابعة لها كلها أوقفها لله وسلمها للجماعة الإسلامية وهذا عقار قل أن يوجد من التجار في بلادنا العربية وأمثالها من تسمح نفسه بإيقاف مثله دفعة واحدة على جمعية واحدة.

وفوق اللافتة الأوردية المذكورة كتبوا الآية الكريمة **(إنما يخشى الله من عباده العلماء)**.



مبنى الجماعة الإسلامية في كشمير

دخلنا مع فناء مكشوف غير معتني به في ركن منه شجرة كبيرة من الأشجار الضخمة التي يقال إنها لا توجد إلا في كشمير أو هي مما تختص كشمير بكثرة وجودها وتسمى (جنار)

فقابلنا الأستاذ حميد الله باك وهو مدرس في المدرسة الابتدائية التي تشغل البناء وهي مدرسة إسلامية فيها فصول أسمنتية والأرض ليس فيها مقاعد وإنما هناك فرش يجلس عليها الطلبة ولكنهم الآن في إجازة فلم نرهم في المدرسة.

وتشغل طابقين من بناء بالآجر الأحمر قال إنهم سيقيمون عليه بناء ثالثاً إذا استطاعوا إيجاد النفقة اللازمة لذلك.

وعلى أية حال فالمدرسة أو المركز للتعليم وتحقيق العلوم كما أسموه تحتاج إلى عناية ولاينطبق عليها هذا الاسم لأنها ابتدائية المستوى والبناء أيضاً يحتاج إلى عناية وترميم فإن ممراته طينية غير مبلطة بسبب قصور النفقة.

وقالوا لي إن من أهداف الجماعة الإسلامية أن يقيموا حوانيت على الشارع لأنها تؤجر فتغل غلة لابأس بها وأن يقيموا بناء المدرسة فوق الابتدائية ومسجداً ومسكناً للطلبة الغرباء، وقاعة للمطالعة.

ثم انتقلنا إلى البناء الثالث و يفصل بينه و بين هذا البناء شارع و بين مقر الجماعة زقاق ضيق تجرى فيه المياه المستعملة منحدرة إلى الشارع لأنه في مقر مرتفع قليلاً.

وقد وضعوا فيه مطبعة صغيرة كل مافيها يدوي تصف الحروف فيها باليد صفاً كما كان ذلك في القديم في البلاد العربية، رأيت أحدهم يعمل فيها واسمه (غلام حسن) وقال: انه يصف الحروف فقط أو (جميع) على لغة إخواننا المصريين.

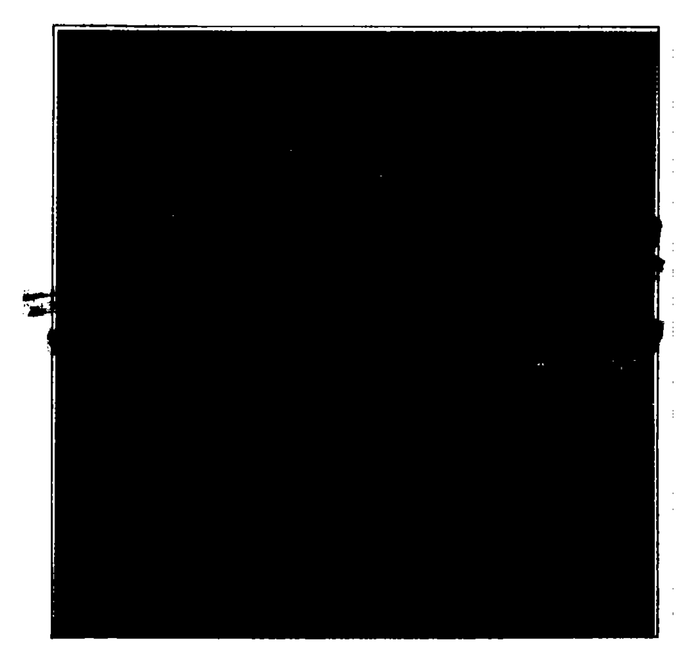
ثم كانت العودة إلى مقر الجمعية وأداء صلاة الظهر جماعة مع الجميع.

إفطار كشميرى :

ألح الدكتور (مير محمد مقبول) في تناول طعام الإفطار اليوم في بيته فامتنعت

حتى قال أرجو الاتحرمني السعادة في ذلك فأجبت.

وقبل الغروب مر على المهندس الدكتور يوسف العمر في الفندق فذهبنا معاً إلى بيت الدكتور مقبول ووجدنا فيه مهندساً آخر بل قالوا إنه كبير المهندسين وهو أحد العاملين في ميدان الدعوة الإسلامية والأخ المهندس (صوفي غلام قادر) وأخا آخر يدرس في الولايات المتحدة الأمريكية وهو قريب لضيفنا اسمه (عبدالرءوف مير) وكانت جلسة ممتعة معهم لأنهم صفوة من أبناء المسلمين المثقفين المفكرين تفكيراً عميقاً وذلك أمر مفيد لي، بل لازم للمهمة التي قدمت من أجلها.



صورة تذكارية في بيت الدكتور مير مقبول

وقبل موعد الإفطار بدقائق انتقلنا إلى مائدة الإفطار التي وضعت على خوان خشبي نظيف ورتبت ترتيباً يتسم بالذوق الرفيع وكان كل شيء فيها من الطعام يدل على التدبير وحسن التقدير حتى الماء كان قليلاً قد أعدوا منه في كوب صغير منه لايشغل إلا ربعه وكانوا ينظرون إلى ساعاتهم لأنه ليس هناك مدفع يطلق للإفطار مع أن المسلمين هم الأغلبية في هذه البلاد وإنما سمعنا بعد ذلك الأذان تماماً مثلما كنا نصنع في بلادنا قبل الاعتياد على إطلاق المدافع عند الإفطار.

والسبب في عدم اهتمام الحكومة بإظهار هذه الشعيرة الإسلامية يومياً كما أخبرونا هو أن الإدارة المركزية هندوكية وأن الحكومة المحلية رغم مظهر أعضائها الإسلامي بالاسم فإنها تابعة لتلك الحكومة الهندوكية وممثلة لها كما أن الموظفين الكبار في هذه البلاد من المسلمين قلة رغم أن أكثرية السكان من المسلمين وأخبرونا أن الناس قد اعتادوا في القرى على أن يقرعوا الأجراس تنبيهاً للصائمين إلى أن الشمس قد غابت ولكن لا مجال هنا لذلك. وإنما ينظر الناس إلى ساعاتهم والذي ليس عنده ساعة يعتمد عليها ينتظر أذان المغرب ويحرص المؤذنون على الأذان في أول الوقت لهذا السبب.

كان أول شيء بدأ الأخوة به بعد الماء طبقاً من حلوى تشبه (المهلبية) قالوا إنها تصنع من الدقيق وهي لذيذة وخفيفة.

وبعد ذلك تركنا غرفة الإفطار إلى غرفة الجلوس لأداء صلاة المغرب فالحوا عليّ في أن اؤمهم ففعلت ولم أجهر بالدعاء الجماعي كما كان أهل هذه البلاد يفعلون في مساجدهم فلم أرهم استنكروا ذلك ثم عدنا إلى غرفة الطعام لنكمل الإفطار الخفيف الذي كان فيه قطع صغيرة جداً مقلية من اللحم وبطاطس مقلي أيضاً وخبز مما يسمى (نان) عندهم.

القهوة والكوفي :

وكانت المفاجأة لي أن أحضروا شرابا حاراً يشبه في مظهره الشاي الأخضر الخفيف وقالوا: هذا قهوة! فقلت لهم: القهوة غير هذه فضحكوا وقالوا: نعم القهوة التي تعني نسميها (كوفي) التي ترجمتها إلى العربية (قهوة) خذ ذقه فلما ذقته وجدته شراب الدارصيني أو القرفة كما يسميه المصريون.

وقالوا: إنهم هنا يسمونه القهوة وهو في الحقيقة جيد عند الإفطار وقد اكتفوا به عن القهوة التي تصنع من البن وعن الشاي فلم يقدموا منها شيئاً.

وأما الفاكهة فإنها كانت العمبة (المانقو) والتفاح المحلي والبطيخ الأصفر (الشمام) الذي كانوا يضعون عليه السكر لأنه ليس في جودة الذي يخرج منه في

بلادنا ولا في حلاوته فهو عندنا أجود نوعاً وأحلى طعماً.

وانتهت هذه المائدة (الكشميرية) وخجلت من نفسي عندما قارنتها بمائدة صنعت في بيتي لعدد مماثل من الأشخاص أكثرهم غرباء بينهم أخوة مسلمون غرباء من نيوزيلندا واثنان من السودان وذلك قبل ثلاثة أيام فقط من قدومي إلى كشمير إذ عرفت من ذلك أننا لانقدر ولاندبر بل إننا نبذر لاسيما حينما ذكرت أن (أم ناصر) زوجتي، حفظها الله، جاءت تشكو إليّ من كونها لم تستطع أن تجد من يقبل بقية من اللحم والطعام لم تجد آكلا.

ومع ذلك هؤلاء القوم على تدبيرهم وتقديرهم للطعام يجمعون الأموال حتى تصبح جليلة و يبنون بها الأبنية الكبيرة و يقيمون المشروعات الإسلامية النافعة التي يتعدى نفعها إلى غيرهم من المسلمين و يستمر طو يلاً حتى بعد وفاة المتبرع منهم.

والدليل على ذلك في حالة مضيفنا الدكتور مقبول فهو وإخوته قد جمعوا مئات الألوف من الروبيات و بنوا بها هذا الوقف الإسلامي الجليل الذي يعملون على توسعته و إنمائه.

وأما نحن وأمثالنا في البلاد العربية فإننا ننفق بإسراف على أشياء شخصية أو مؤقتة ونكل القيام بالمشروعات الإسلامية على الحكومات التي قد تمنع بعضها ظروف قاهرة أو صعبة أو حتى قد يمنعها عدم توافر الإخلاص عند بعض الأفراد عن القيام بها.

سلامات من زائري نصف الليل :

كنت قد اتفقت مع الشيخ سعدالدين على أن يزورني في الفندق في هذه الليلة لنناقش معاً احتياجات الجماعة الإسلامية من المساعدات لمشروعاتهم الإسلامية مع مناقشة مايقدمه من تقرير عن الوضع الإسلامي في هذه البلاد وخطتهم للعمل على نشره.

وكان الموعد في الفندق هذه الليلة الساعة العاشرة وقال: إذا تأخرنا قليلاً؟ فقلت: انني لا أنام في الليل في رمضان إلا قليلاً فأي وقت اخترتموه للزيارة فهو

حسن وقدم الشيخ سعد الدين أمير الجماعة ومعه الأستاذ (غلام رسول) رئيس ديوان الجماعة في الساعة الحادية عشرة والنصف ليلاً إلى الفندق وقالا إنهما اختارا هذه الساعة وتأخرا عمداً لكي يتفاديا ملاحظة المخبرين الحكوميين الذي لايرضيهم أن يتصل أحد بمثلكم وغالباً مايراقبون من يزورونهم وبخاصة أن الحكومة تراقبهم هم أيضاً.

وجرى حديث مفيد مختصر على عادة الشيخ سعدالدين في اختصار الكلام وعدم ترديده ولم تستغرق هذه الجلسة في نصف الليل التي سعيا إليها مسافة طويلة الا نصف ساعة وخرجا في الثانية عشرة.

وعندما غادرا الغرفة قبل إن يتركا الفندق أسرع خادم في الفندق كان يعتنى بي ويبعد عن خدمتي لما كان يجده مني من حلوان (بقشيش) سخي بالنسبة لما اعتاده من السكان أهل الهند إلى قرع باب غرفتي بشدة وعنف فلما فتحت الباب ورآني واقفاً قال: الحمد لله، سلامات، سلامات!

فقلت له بدهشة : مماذا؟

قال من الزائرين في هذا الليل إنني خفت عليك منهم لذلك أسرعت أطمأن عليك وهم ينزلون الدرج فلما رأى استغرابي من قوله قال:

إن الزائرين في مثل هذا الوقت المتأخر يخشى منهم ولذلك يمنع الفندق الزيارة بعد الحادية عشرة فقلت له : إنهم أصدقائي وأنا الذي استدعيتهم إلى الفندق في هذه الساعة.

يوم الاربعاء ٢٨ رمضان ١٤٠١هـ، ٢٩ يوليو ١٩٨١م

يـــوم متعة:

كما كان يوم أمس يوم عمل والذي قبله يوم معاناة كان هذا اليوم يوم متعة لأنه جمع بين العمل الذي يستريح المرء إذا شعر أنه قام به وبين رؤية شيء جديد يستمتع برؤيته.

وكان (البرنامج) أن نذهب إلى محل شهير عندهم بجمال الطبيعة فيه وهو (بهلقام) وهو مع (قلمارج) أحسن مكانين لهذا الغرض وقد زرت (قلمارج) في السفرة الأولى ولم أتمكن من زيارة (بهلقام) لضيق الوقت آنذاك.

ولن يكون السفر إلى (بهلقام) مقتصراً عليها وإنما سيكون للمرور على المساجد والمشروعات الإسلامية التي تشرف عليها الجماعة الإسلامية في القرى والمدن الواقعة مابين (بهلقام) وسرنقر.

وسوف ترتب الجماعة الإسلامية خطة السير كما اتفقنا على ذلك في الليلة البارحة وقال الشيخ سعد الدين إنه سيصحبني بنفسه فأبيت ذلك لأنه شيخ صائم قد يتعبه السفر ولم يوافق على ذلك إلا بعد إلحاحي، وتبعد بهلقام عن سرنقر مسافة تسعين كيلومتراً إلى جهة الشرق من سرنقر على خلاف قلمارج التي تقع إلى جهة الغرب تقريباً.

وفي الساعة العاشرة كان شخص لا أعرفه يطرق باب غرفتي و يقول: إنني مبعوث من غلام رسول إليك فهيا معي.

فركبت سيارة أعدتها الجماعة الإسلامية وغادرنا الفندق إلى مكان ما في سرنقر حيث وجدنا الأخ غلام رسول واقفا في الشارع في انتظارنا ولم يجيء إلى الفندق لتحاشي معرفة رجال المخابرات بتحركاتنا.

لم يكن في السيارة من المرافقين غير السائق إلاّ شخص من موظفي الجماعة الإسلامية اسمه (عبدالعزيز بن صديق) كان يسوق السيارة أيضاً في بعض الأحيان.

سرنقر دار الخلافة:

وكان الأخ عبدالعزيز هذا يعرف شيئاً من العربية تعلمه تعلماً وقرأ بعض الكتب العربية والأوردية ولكنه لايستطيع التحدث بالعربية ولاصياغة الجمل إلا صياغة غريبة وإن كانت ذات أصل عربي قديم.

من ذلك أنه قال ونحن نخترق شوارع مدينة (سرنقر) في هذه الساعة الحافلة بالحركة وهي العاشرة (سرنقر دار الخلافة) وأجفلت من قوله إذْ ما لسرنقر وللخلافة؟

وهى لم تستطع حتى أن تحكم نفسها فكيف تكون داراً لحكم غيرها.

ولما استفسرت منه عن ذلك أوضح مراده بأنها هى عاصمة ولاية جمو وكشمير.

يريد أنها مركز الادارة والحكم في هذه الولاية فاختلط عليه ذلك بكون (دار الخلافة) مركز الحكم والتدبير في الدولة الإسلامية العظيمة.

الوقود أغلى منا اثنتى عشرة مرة:

وقفنا عند محطة للوقود فقال الأخ عبدالعزيز والسائق يضع الوقود في السيارة إن لتر (البنزين) الواحد يساوي هنا ست روبيات وعشرين سنتاً هذا مع أنه في بلادنا السعودية يساوي نصف روبية فقط.

وعرفت عند ذلك لماذا أضرب سائقوا سيارات الأجرة (التاكسي) في دلهي عندما وصلتها في هذه المرة ولم أجد فيها سيارة أجرة وتذكرت أن السيارة الخاصة التي أوصلتني إلى فندق أشوكا طلب سائقها أربعين روبية مع أن الأجرة المعتادة المقررة من الحكومة هي ٢٥ روبية ولكن السائق قال: إن (جالون البنزين) قد رفعت الحكومة سعره إلى (٣٥) روبية مع أنه في بلادنا لايزيد على روبيتين وشئ.

في ضواحى سرنقر:

وانطلقت السيارة في ضواحى سرنقر تريد الخروج منها إلى جهة الشرق وليس في هذه الضواحي فراغ بمعنى أن هناك أراضي في الخلاء فالأماكن الخالية من المنازل ليست خالية من البساتين والتي ليس فيها بساتين فيها أشجار كثيفة وأعشاب وحشية أي نامية من تلقاء نفسها ومتشابكة وأهم مايجمع بينها كلها وجود مناقع من المياه الخضراء التي تكسو أكثرها أعشاب المياه المتشابكة ونظراً إلى ان هذه البلاد باردة في اكثر فصول السنة فأن الجراثيم التي تكون في هذه الاعشاب تموت في الشتاء لأن أكثر المياه الموجودة على الأرض تتجمد في الشتاء.

ولذلك لم أستغرب حين شاهدت اليوم القرويين في هذه الضواحي وبعضهم عليهم ملابس ثقيلة رغم أن الجو يميل للحرارة لأنها بقية من ثيابهم المعتادة ولأن موسم الحر لايتعدى الشهرين في السنة وهو أيضا ليس بالحر الشديد.

ومررنا بعمارات بيضاء جميلة المظهر في أسفل جبل أخضر عال خارج سرنقر فسألت عنها؟ فأجابوا: بأنها منازل لضباط الجيش والعاملين الكبار فيه وهي لا تدل بمظهرها على أنها في بلاد الهند لأنها فوق ذلك بكثير ولكن الحكومة المركزية (الهندوكية) في الهند تريد أن ترى الناس في هذه البلاد أن جيشها لايقل حتى في المظهر عن جيوش البلدان الأخرى وأنه في منزلة أعلى من منزلة الطبقات العاملة الأخرى في البلاد وفي الوقت نفسه تريدان يكون للأمر أثره في نفوس أفراد الجيش من ضباط وجنود.

ومررنا بنهر تحت الطريق فسألت عن اسمه؟ فقالوا: إنه هو النهر الذي قرب فندقك المسمى (جيهلم) وأنه يجرى في هذا المكان قبل أن يصل إلى العاصمة (سرنقر).

ثم أضاف محدثي يقولون: إن كشمير ذات أنهار كثيرة.

وتكرر في الطريق مرور السيارات الكبيرة من الحافلات وسيارات النقل وهى مزعجة من حيث أنها تطلق أبواقاً منكرة وتنفث دخاناً سيئاً.

وأما سعة الطريق فانها هنا جيدة وليست على ما عليه الحال في بقية أنحاء الهند وإن لم تكن في مثل الطرق في البلاد العربية فضلاً عن البلاد الأوربية والأمريكية.

ومن المناظر التي تكررت هنا مناظر حقول الأرز الخضراء التي تكاد تكون متساوية في خضرتها الجميلة الشاملة.

وتكرر أيضاً منظر نهر (جيهلم) إذ مرفوقه الطريق مرة أخرى ونحن نواصل السير بسيارة هندية الصنع من طراز امباسادور وهو طراز عرفته بطيء السرعة غير مرن الحركة ولذلك كان سائقوه يلحون باستمرار على أبواق سياراتهم يطلقونها بازعاج شديد إلا أن الأمر هنا في هذا الطريق الكشميري الأكثر تقدماً فإن اطلاق البوق أقل والسرعة أكثر ذلك بأن عربات الركشا قليلة والمشاة الذين هم كثرة في طرق الهند الاخرى هم قلة هنا، وهم هنا ــ أيضاً ــ مؤدبون يسيرون على جوانب الطريق دائماً

والأبقار التي تتبختر في طرق الهند ماكان منها من الاناث المقدسة عند الهندوكيين الذين هم أغلبية السكان في تلك البلاد وماكان منها ممتهنا في الحمل والركوب مثل الثيران لا تكون هنا في وسط الطريق وإنما يكون معها رعاتها على جانبي الطريق. والثيران التي تجر العربات لا توجد هنا أصلا وكذلك الجواميس التي تجر العربات وتستخدم في حمل الأشياء الثقيلة غير موجودة في هذه الولاية إطلاقا.

واخترق الطريق.

قرية بامبـــــــور:

وتبعد عشرة كيلات عن ضواحي مدينة سرنقر شارعها الرئيسي مسفلت سفلتة لابأس بها و يرى المرء في حقولها وفي الأماكن الخالية من البيوت والبساتين أبقاراً كثيرة أكثرها صفراء فاقع لونها تسر الناظرين والمراد بالصفرة هنا صفرة البقر التي لا تكون في لون البرتقال بطبيعة الحال و إنما هي الصفرة المخلوطة بالحمرة.

وقل أن تجد في هذه الأبقار أبقاراً هزيلة ذلك بأنها هنا تتخذ للفائدة والانتفاع بها وليس كما هو عليه الحال في ولايات الهند التي تقطنها أغلبية هندوكية حيث تترك البقرة في أحيان كثيرة لأنها معبودة مقدسة عندهم ولو وصلت إلى حالة من الضعف والإعياء أصبحت معها لانفع منها فأنها تترك سائبة بدون رعاية.

وقد حدثني بعض اخواننا المسلمين في بنارس التي هى مدينة مقدسة عند الهندوكيين أنهم يرون البقرة في بعض الأحيان تبرك من الاعياء وتكون على وشك أن تموت فيأتي الهندوكيون فيغطونها برداء أو قماش و يتركونها هكذا تموت ولو تعذبت من طول هذه الحالة المؤلمة.

وقد يأتي بعض المسلمين بدافع الشفقة والرحمة فيتحين فرصة لايري فيها أحداً ويجهز عليها بسكين ونحوها ليريحها من العذاب ويختفي بسرعة ولكن الهنادك يهيجون و يضجون يريدون أن يعرفوا من فعل هذا بآلهتهم حتى يجازوه مع أنه فعل ذلك بها بدافع الرحمة وهو في الحقيقة أرحم بها ممن يتركها تعاني العذاب الطويل من الألم الشديد حتى تموت.

وسوف يأتي حديث عن البقرة وذبحها في ولاية كشمير بعد ذلك إن شاء الله.

وفي هذه القرية (بامبور) يكثر أيضاً منظر الأخشاب المقطوعة الموجودة على جوانب الطريق أو في الميادين بعضها لصناعة الأثاث وبعضها للوقود وكلها مما ينمو فى هذه الولاية الطيبة.

وحقول الأرز أيضا لاغرابة في وجودها لخصب الأرض وكثرة المياه ولكونه الغذاء الرئيسي لعامة الناس رغم أن البلاد باردة وبخاصة في المناطق الجبلية منها مع ان أكثر البلاد تكاد تعد جبلية والسهول فيها إنما هي واقعة بين الجبال.

ولذلك يرى المرء أعداداً من البغال التي تستخدم عادة في الانتقال في الجبال وهى أصبر على ذلك من الخيل وأقل تكلفة ومؤنة من الخيل.

ورأيتهم في هذه الأرض غير الجبلية يحملون عليها أكواماً من القصب اليابس لاأدري ماهو.

الأشجار الأسطوانية

في الطريق الرئيسية أشجار واقفة عمودية القوام بشكل لافت للنظر قليلة الفروع والأغصان المتدلية كالتي رأيتها في طريق (قلمارج) لأول مرة. وقد سألتهم عن اسمها فأجابوا: إنه (بابولار) وهذه تعني بالانجليزية أسطوانة أو عمودا.

وهي جديرة بهذا الاسم فهى كالعمد المستقيمة وقد غرسوها منذ عهد طويل على جانبي الطريق الرئيسية فنمت واقفة وذهبت في السماء ارتفاعاً من دون أن تحجب من يكونون عن يمين الطريق وشماله.

ولم أر مثلها على هذه الهيئة في مكان آخر خارج كشمير رغم مارأيته من أمكنة كثيرة في أنحاء مختلفة من العالم.

زعفران كشمير:

من الأشياء الكثيرة التي توجد في كشمير ولاتوجد في الولايات الرئيسية الهندية الزعفران وإن كان بالنسبة إلينا ليس رخيصاً ولا فاخراً لأن هناك زعفرانا يرد إلى

بلادنا من بلاد أخرى كإسبانيا وإيران.

ولذلك عندما حاذينا مكاناً في منطقة حقول مزروعة أوقف إخواننا السيارة وأشاروا إلى الأرض قائلين: إنه الزعفران فلم أر شيئاً يستحق الذكر إلا شجيرات صغيرة بدأت بالنمو فقالوا: إن هذا ليس موسمها وإنما ذلك في شهر أكتوبر ولكننا أحببنا أن نريك مكان زراعتها ولم أر إلا خطوطاً محفورة في الأرض.

وأذكر أن أحد أصدقائي كان قد أهدى إلىّ في المرة الماضية علباً خشبية منقوشة صغيرة جدًّا في وسط كل علبة شيء من الزعفران قائلاً إن هذا من إنتاج بلادنا.

وقد أخبرونا أنه شديد الغلاء في هذه البلاد إذ تباع التولة منه التي هي عشرة (جرامات) بمئة وثمانين روبية.

ثم واصلنا السير مع طريق أسفلتي جيد السفلتة متوسط السعة بحيث تمر السيارتان المتقابلتان فيه من دون أن تتمهل إحداهما وهذا قليل في الطرق الهندية.

ويشق ريفاً أخضر خضرة مطبقة كلها نافعة فليس فيها أشياء وحشية غير مفيدة بل إن الأرض الخالية فيه من الحقول كالمرتفعات الصخرية تكون فيها أشجار للأخشاب المفيدة وترتع فيها الأنعام التي هى الأبقار بصفة رئيسية بكثرة لافتة للنظر.

ومن اللافت للنظر عند رؤية بعض الأبقار أن رعاتها من الرجال المسنين على حين ان المفهوم ان يكونوا من الصبيان والصبايا لأن المدارس الآن في عطلة وهى لاتحتاج إلى جهد كبير.

وتحف بالطرق الرئيسية في بعض الأحيان الأشجار الأسطوانية الضخمة.

ولاتكاد ترى شيئاً في هذا الطريق يذكرك بالطرق الهندية إلا شيئاً واحداً وهو (القعدة) الهندية الشهيرة، والسبب في الاعتياد على هذه الجلسة بالذات هو ان بلادهم مطيرة ندية، وليس في أرضهم خارج المنازل أشياء يقعد عليها بمثابة الكراسي فاعتادوا على ان يجلسوا على أرجلهم جلسة شبيهة بالإقعاء.

القطر الغني.

لايصح القول بأن كشمير هذه قطر فقير. بل هو غني بثروته المائية والزراعية وبالعدد المناسب من السكان فيه، وإضافة إلى الثروة الهائلة من الحيوانات ومن الأخشاب وغيرها فهو في هذا الميدان أغنى من الدانمارك التي تشابهه في الإمكانات المتوافرة من الثروة الحيوانية والزراعية ولكنها تخالفه في درجة استغلال الثروة المتاحة.

وذلك بسبب ارتفاع نسبة التعليم في الدانمارك، واستعمال الآلة بتوسع في المشروعات الزراعية أو على وجه الاجمال بتحديث الزراعة وتصنيعها.

على أن هناك سبباً آخر قد جعل بعض الناس يصنفون (كشمير) هذه في درجة البلدان الفقيرة ذلك إنها معدودة جزءاً من الهند والهند بمجموع سكانها وأراضيها ودخل الفرد فيها تعتبر من الأقطار الفقيرة بل ربما كانت بالنسبة الى دخل الفرد الواحد فيها تستحق أن تصنف في درجة الدول الأكثر فقرًا.

فضمها إلى الهند قد نقلها من درجة البلاد الغنية أو غير الفقيرة على الأقل إلى درجة البلاد الفقيرة أو الأكثر فقراً.

ومع ذلك لا تزال هناك فرص لمن يعمل عملاً منتظماً جيداً للاستثمار في البلاد وان كان ذلك يحتاج الى إمكانات.

من أهمها الامكانات الثقافية والخبرة الكافية.

لم يضيقوا بأسئلتي :

من حسن ظني أن يكون مرافقي قد فهموا مقصدي من كثرة الاستفسارات والاستعلامات عن أحوال هذه الأرض العزيزة فلم يضيقوا ذرعاً بذلك والسبب في ذلك سعة صدورهم مثل معظم أهل هذه البلاد.

وإن كانوا جميعاً لايعرفون مما أعرفه إلا الانجليزية فكان الحديث بها طول الوقت.

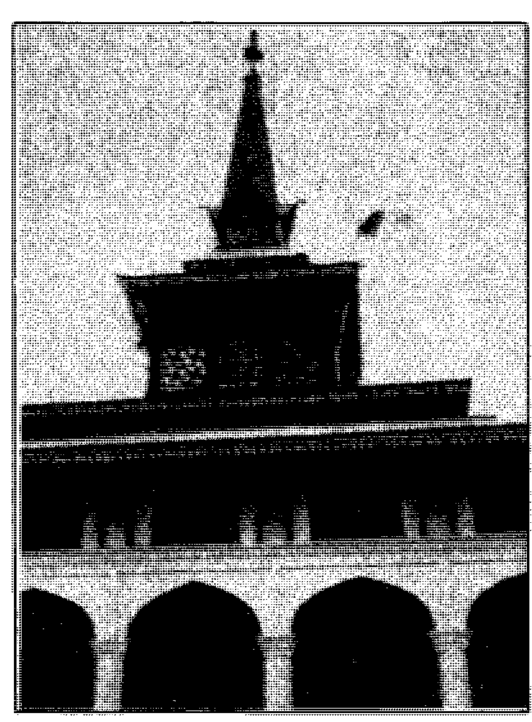
بلدة انتي بورا:

كلمة (بورا) أو (بور) تكثر في الهند وباكستان كثرة لافتة للنظر والسبب في

ذلك أنها تعني مكانا أو بلدة في اللغة الأوردية مثل (لايل بور) في باكستان حاليًّا و(بور سكري) في الهند.

وقفت سيارتنا مع جملة سيارات واقفة في شارعها الرئيسي المسفلت الواسع الذي هو جزء من الطريق العام إلى (بهلقام) وتلك السيارات الواقفة كلها سيارات أجرة تحمل طائفة من السياح الغربيين الذين يزورون هذه البلاد.

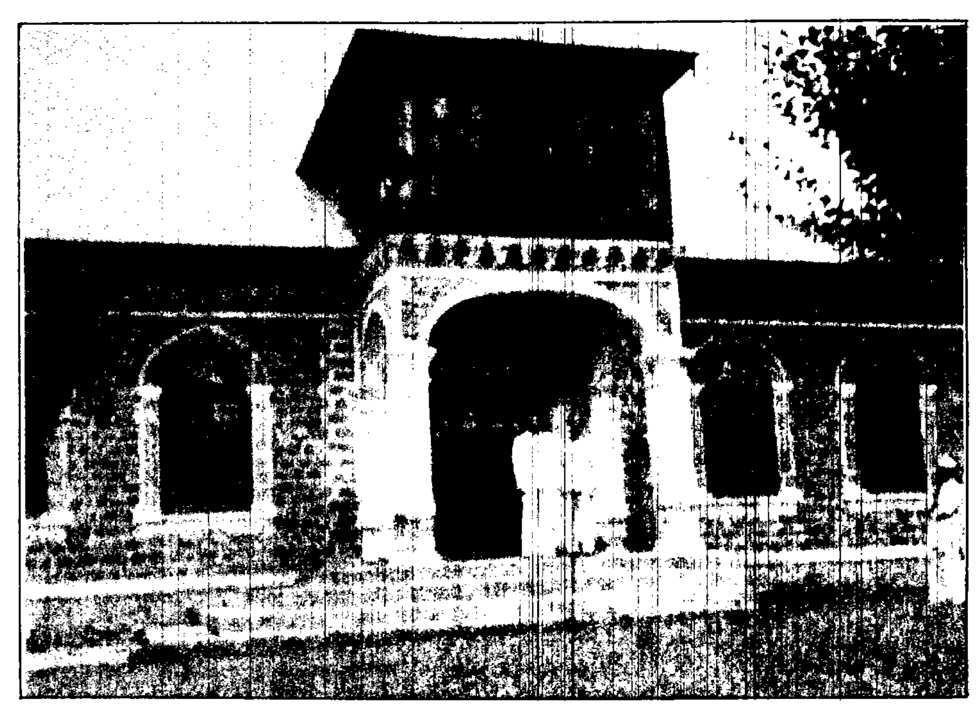
وقد وقفت بهم السيارات لرؤية وثن هناك هو بناء ضخم ذو قبة عالية ومنارة تنافس منارات المساجد وهو في وضع من حيث طراز بنائه من الخارج وطلائه بطلاء أخضر بديع يفوق ما يلقاه بعض المساجد عدة مرات من العناية.



المبنى المقام على القبر في أنتي بورا

ولم نذهب إليه خوفاً من ضيق الوقت وهو بناء على قبر أحد الذين يعدونهم من أولياء الله عازماً على رؤيته عند العودة من باب الاطلاع على مافي باطنه ونظراً إلى أن إخواننا يعرفوننا بذلك لأننا كنا قد قلنا لهم في مكتب الجماعة الإسلامية قبل البدء بالاطلاع على المشروعات الإسلامية إننا لن نساعد مسجداً بني على قبر لأنني أعرف من انتشار البدع والخرافات وتعظيم القبور في هذه البلاد ماحملني على ذلك.

توجهنا إلى مسجد يسمى (جامع انتي بور) وليس مقاماً على قبر ولكن رأيت على محرابه عبارة باللغة العربية تتضمن دعاء شركيًّا ربما كان بعضهم ممن لايفهم العربية لايعرف معناه تماماً وهو (ياالله) (يامحمد) وهاتان جملتان شائعتان أخذ الناس يستبدلونها في أكثر البلدان بكلمتي الجلالة (الله) واسم النبي صلى الله عليه وسلم (محمد) ولكن يظهر أن أهل هذه البلاد لم يبلغهم هذا التغيير في التعبير أو هو التصحيح لذلك اللفظ غير المشروع (يامحمد).



جامع أنتي بورا

وفي هذا المسجد خمس ساعات شكلية ذات عقارب تدار باليد وقد وضعوها كلها في لوحة في واجهة المسجد عن يمين المحراب كل ساعة تبين وقتاً من أوقات الصلوات الخمس.

والمسجد مبني من حجارة سوداء قلعت من مكان قريب من البلدة ومسقف بالخشب.

قابلنا في هذه البلدة رئيس مكتب الجماعة الإسلامية فيها واسمه (غلام رسول بن محمد رمضان) وهذا من الشواهد على عدم بصيرتهم بأمور دينهم وبما ينبغي أن يكون عليه المسلم من تجريد التوحيد لله تعالى ومن التأدب مع الله حتى في الألفاظ فاسم (غلام رسول) الذي يعني بالأوردية (عبدالرسول) وهذا من معاني كلمة (غلام) في العربية الفصحى هي عبد وإن كان بعضهم يقول: أن المراد بها عندهم هو خادم فغلام رسول معناها على هذا خادم الرسول.

وهي تسمية شائعة عندهم مثل (غلام نبي) بمعنى عبد النبي أو خادم النبي.

كما أن ذلك موجود في الهند على تفاوت في ذلك كثير.

وعندما كنت أتفقد المسجد والأخ (عبدالعزيز بن صديق) يلتقط صورة تذكارية عند واجهته كانت طائفة قليلة من أطفال البلدة تتجمهر حولنا فلفت نظري أنهم صباح الوجوه قذروا الثياب وهو أمر غريب بالنسبة إلى عيوننا نحن الذين اعتدنا على أن نرى الثياب غير النظيفة على أبدان سمر أو شديدة السمرة في الغالب.

وانطلق الطريق الجيد بين مزارع الأرز المنسقة وقطعان من الأبقار التي يرعاها صبيان وفتيان بيض الوجوه على عكس ما اعتدنا عليه من كون الرعاة يكونون سمراً في الغالب.

المؤلف في مدخل جامع أنتي بورا على يمينه الأستاذ غلام رسول

وباعة في الطريق تحت عشش فقيرة في البناء ولكنها غنية بالفواكه المحلية ففيها يباع الخوخ والتفاح وأنواع أخرى تشبه فواكه الشام وإن تكن أقل منها جودة في المذاق وطماطم رديئة.

وقرويات على رءوسهن المكاتل، وأشجار ملتفة ومصارف مياه على الجانبين، وبغال تحمل حطباً وزهيرات صغيرة صفراء تطل بابتساماتها البريئة وإن تكن صفراء من خلال المستنقعات الصغيرة حتى وصل:

مدينة بيج بهارا:

فاخترق سوقاً لها عامراً بالسلع وان كان قليل الحوانيت لأن اسواقها الرئيسية واقعة في داخل المدينة على غير الطريق الرئيسية.

ثم عدلنا جهة اليمين سائرين مع طريق ضيقة وسط ريف كثيف الخضرة كثير المياه في الأرض وقابلتنا عربات تجرها البغال تستعمل بمثابة سيارات الأجرة.

وتكثر مناقع المياه في هذه المنطقة وتظللها أشجار الغابات الكثيفة ولذلك رأينا القرويات هنا ليست مظاهرهن على مايرام من النظافة بسبب رطوبة الأرض وكثرة المناقع فيها وبالتالي وجود الأوحال والطين رغم كثرة الترع الصغيرة فيها.

ثم رأينا مرة أخرى شعبة من نهر جيهلم في هذا المكان أيضا.

قرية أروني:

وكان الهدف من ذهابنا مع هذه الطريق الفرعية والدخول في أرض المناقع والخضرة الكثيفة المظلة هو الذهاب إلى قرية (أروني) لمشاهدة بناء مدرسة فيها يجري العمل فيه على قدم وساق. فاستقبلنا في المكان الأخ (محمد اسماعيل بات) عضو الجماعة الإسلامية وتقع المدرسة خارج قرية (أروني).

وهو بناء جليل واسع يبلغ مئتي قدم طولاً ويبني بالآجر الأحمر والخشب على طريقة تشبه طرق البناء القديم وبجانب المدرسة أرض أعدوها لاقامة مسجد عليها إذا قدروا على ذلك مع أنهم لايزالون في بداية العمل في بناء المدرسة إذ لم ينتهوا من تسقيفه بعد.

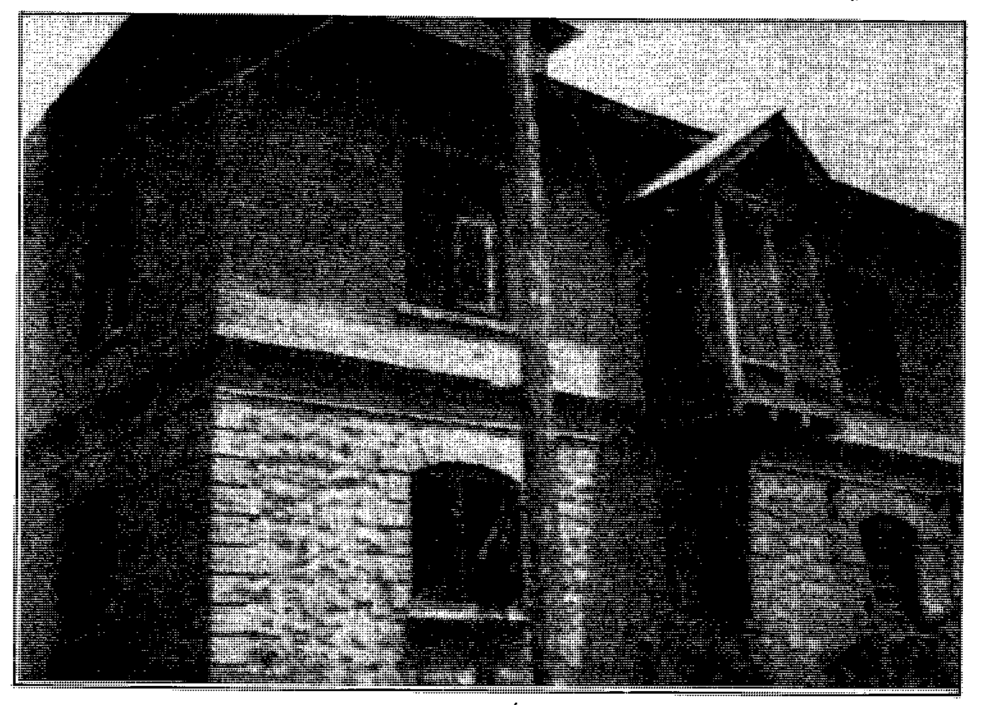
ومن اللافت للنظر انهم قد حفروا حفرة ينزلون اليها بدرج على هيئة بئر واسعة ليأخذوا منها الماء الصافي للبناء فوجدتها تقع على عمق يقارب خمسة أمتار رغم كثرة المناقع على وجه الأرض وقرب النهر والترع المتفرعة منه في هذه المنطقة.

ولعل بعض المناقع قد تجمعت من مياه الأمطار.

وسألتهم بهذه المناسبة عن الماء الذي تشرب منه قرية (أروني) أهو من الآبار أمن غيرها؟، فأجابوا: إنها تشرب من النهر.

وتبعد هذه القرية عن ضواحي مدينة سرنقر العاصمة بخمسة وأربعين كيلو متراً وهي أعلى منها بدليل أن نهر (جيهلم) ينطلق منها إلى سرنقر. وأهل هذه المدينة كلهم مسلمون.

وعدنا من خارج قرية (أروني) إلى داخل القرية القديم لرؤية مسجدها وتفقد الدراسة في المدرسة الإسلامية التي تدرس فيه.



مسجد أروني من الخارج

فكان في الاستقبال ناظر المدرسة الإسلامية (غلام حسن ملك) بكسر اللام فتقدمنا إلى المسجد الذي وجدناه من طابقين الأسفل مسقف باخشاب رثة غير كاملة التهذيب وهو فقير في فراشه وأثاثه، ونوافذه تحتاج إلى إصلاح بل إنه يحتاج إلى توسعة إذ هو يضيق بالمصلين لعدم اتساعه ومع ذلك وجدناهم قد ركبوا فيه مراوح كهربائية وهم لايحتاجونها إلا لمدة شهر ونصف تقريباً ووجدنا فيه أشياء يحتاجونها هم في كل وقت إلا وهي مجموعة من الطواقي ــ جمع طاقية ــ بمثابة الشيء العام الذي يستعمله من يحتاجه من المصلين العاري الرءوس في العادة.

أما أرض المسجد فانها مفروشة بحجارة منقوشة. وأما تاريخ بنائه فانهم ذكروا أنه قد مضت على إنشائه اثنتان وثلاثون سنة.



عند باب المسجد القديم في أروني مع بعض الاخوة

ثم انتقلنا إلى الطابق الثاني من المسجد وهو كالطابق الأول في أكثر الأشياء حتى المحراب موجود فيه غير أن العمد التي فيه من الخشب مثلما أن سقفه من الخشب مفروش بحصر مهلهلة ومليء بالتلاميذ من صبيان و بنات قد جعلوهم مجموعات جالسين على الأرض بمثابة الفصول وذكروا ان السبب في ذلك أن المدرسة الإسلامية التي كانت موجودة قد أحرقت في شهر ابريل عام ١٩٧٩م إبان قيام الأعمال الهوجاء التي قام بها السوقة والرعاع ممن أضلتهم الدعاية الهندوكية إبان قتل رئيس وزراء باكستان السابق علي بوتو بعد محاكمته فعدّت أن حكومة باكستان قد ظلمته وبالتالي ينبغي استنكار عملها ذلك وعندما أيدت الجماعة الإسلامية في كشمير حكومة باكستان في قتل علي بوتو قام الرعاع باحراق مدارس الجماعة وإتلاف بعض متاجرهم.

فكانت هذه المدرسة إحدى ضحاياهم بل كان الطلبة والطالبات ممن يدرسون فيها هم الضحايا لأن المدرسة فرقتهم إلى مجموعتين إحداهما تدرس تحت ظلال الأشجار في مكان قريب من المسجد أمام أنقاض المدرسة المجني عليها والأخرى في داخل المسجد، وكلا الموضعين ليس كمقر المدرسة مريحاً للطلبة.

والتلاميذ الذين يدرسون في هذه المدرسة حسان الوجوه، نظيفو الأبدان وان كانت الثياب ليست على المستوى المطلوب على كثير منهم وهم مؤدبون لطيفو الأخلاق أو هذا ماظهر لي من حالهم.

وعند كل مجموعة من المجموعات التي هي بمثابة الفصول أحد المدرسين يقوم بتدريسها.

والأفظع من ذلك ما أروني اياه وهو حرق بدأ بنافذة من نوافذ الطابق الثاني من



تلاميذ مدرسة أروني تحت الشجر

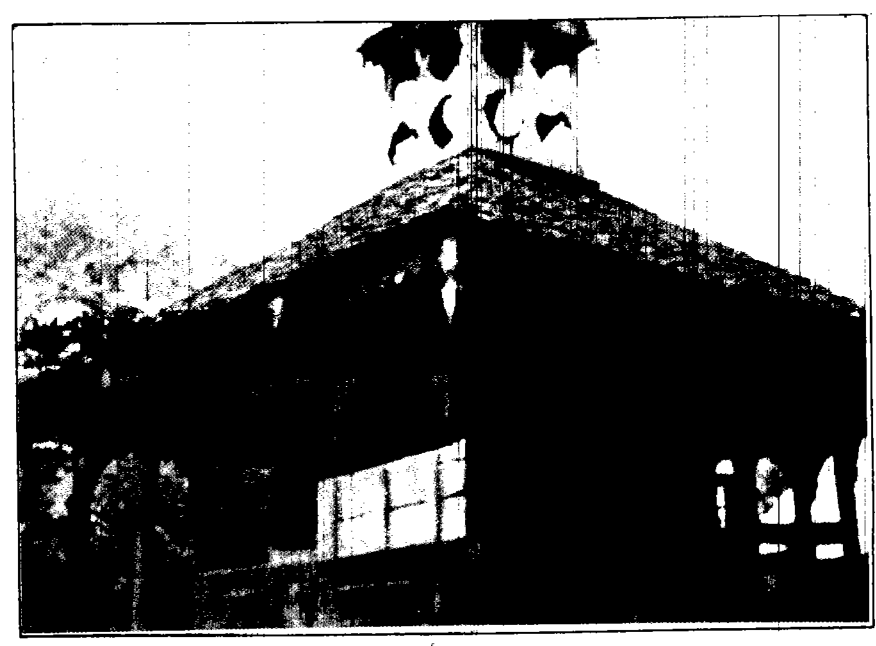
المسجد قالوا: إن ذلك حدث فيه يوم ٤ أبريل عام ١٩٧٩م وإن الغوغاء من الناس هى التي فعلت ذلك غير أنه لم يصب المسجد ضرر وتم إطفاء الحريق الذي بدأ بالنافذة.

وقد اخترت إحدى الطالبات فسألتها عن اسمها؟ فأجابت: (حنيفة اختر وار) واحد الطلبة فقال إن اسمه (محمد يعقوب مير).

وقد طلب القوم أخذ صورة في المسجد فكانت مع أمين صندوق الجماعة الإسلامية في هذه البلدة أو على مايقولون (خازن الجماعة) وهو تعبير أصح من لفظ (أمين صندوق) وهو الأخ (غلام محمد ملك).

ثم انتقلنا إلى رؤية القسم الثاني من المدرسة أو على الأدق من الطلاب الذين يدرسون على الأرض تحت ظلال الأشجار وعددهم كبير وأغلبهم من صغار السن ومن صغيرات السن الجميلات مابين السابعة والحادية عشرة تقريباً.

المشهد بجانب المسجد :



القبر في أروني

بين هـذه المشاهـد المؤثرة من مسجد شعث المظهر في إحدى نوافذه أثر من حرق متعمد بالنار وطلاب مدرسة إسلامية يدرسون تحت الأشجار أمام أطلال مدرستهم المخربة كان هناك منظر دخيل إلا وهو منظر لقبر قد بني عليه بناء مربع مزخرف تعلوه منارة صغيرة عريضة غير أنه مهمل الآن.

وقد طلبت من القوم أن يخبروني من صاحب القبر وما تاريخه؟ ولكني لم أجدهم يرغبون في ذلك بل قال بعضهم إن صاحبه غير معروف وإذا كان ذلك صحيحاً فإنه يكون غريباً إذ كيف يعظمون شخصاً لايعرفونه. إلا إذا كان لسان حالهم يقول: **(إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون)** على أن لسان مقالهم يقول إنهم لايعظمونه الآن وتدل على ذلك حالة الإهمال التي هو عليها.

شجرة الخبيثة:

تجمهر الناس علينا هنا في هذه القرية من كبار وصغار إلى جانب طلبة المدرسة الإسلامية حتى خشيت من ذلك ضرراً يلحق بمهمتي أو بالجماعة الإسلامية.

وفي وسط هذا الزحام وبينما كنت أستعد لتوديع هؤلاء الأخوة وأشق طريقي فيما بينهم بصعوبة وكانوا يراقبون حركاتي وسكناتي لأنني (أربي) أي عربي كما يقولون إذ مررت بشجرة تشبه اوراقها بعض الشبه اوراق الريحان إلا أنها اطول منه وكنت قد رأيت الليلة البارحة شجرة تشبهها في حديقة منزل الدكتور (مقبول) الذي تناولت عنده الإفطار في الليلة البارحة فسألته عنها فأخذ منها أوراقاً فركها بيده وأعطاني بعضها فشممته فإذا به ذو رائحة طيبة ليست كرائحة الريحان ولا تقرب منه وإنما هي من نوع آخر.

فخيل إليّ أن هذه الشجرة هي التي رأيتها البارحة فأسرعت آخذ منها أوراقا والأخ (غلام رسول) يحاول أن يمنعني إلا أنني فركتها بسرعة فأحسست بالمكان الذي مسته الأوراق من يدي اليسرى بألم دونه ألم حرق النار وصرت أتصبر واكتم ذلك وعامة القوم يضحكون عليّ وإخواني يرثون لي وهم يبعدونني عنها وأنا لا أحتاج إلى إبعاد فقد ذقت مس عذابها.

وبينما كانت اصابع يدي تحترق بالألم كنت أتظاهر بالشجاعة وأسالهم عن اسمها

فقالوا: إنها (سوي) فقلت: إنها السوء وقال معلم المدرسة الذي يفقه بعض العربية إنها شجرة الخبيثة أي شجرة خبيثة فقلت لهم: هل هى وحشية أم تزرع زراعة، فقالوا: إنها تنمو من تلقاء نفسها وأن بعض الناس يتركونها إذا نمت قرب حدود محلاتهم لأنها تمنع أي حي من الاقتراب من ذلك المكان حتى الحيوانات لا تستطيع الاقتراب منها.

ومن لطف الله بي أنني مسستها بيدي اليسرى إلا لما اسطعت أن أقيد شيئاً في هذا الكتاب هذا اليوم لو كنت مسستها بأصابع اليمني.

وقد حدثونا عنها بعد ذلك فقالوا: إن بعض المعلمين القدماء كانوا إذا ارادوا عقاب طالب مسوه بجزء يسير منها فيحس بألم أشد من ألم الحرق ولكن ألمها ليس دائماً ولا يخلف آثارًا. وسألتهم عما إذا كانت فيها فوائد؟ فأجابوا: أن الناس كانوا يداوون بها الجروح المتعفنة المستعصية عن الاندمال يضعون منها شيئاً بمقدار قليل وبمعرفة ذوي خبرة فتزيل كل الأشياء الخبيثة المتعفنة الموجودة في الجرح.

وربما دل ذلك على أن فيها شيئاً من السم الذي يعقم الجروح عن طريق قتل الجراثيم التي تكون فيها.

وتركنا قرية (أروني) في الساعة الثانية عشرة والربع عائدين إلى مدينة (بيج بهارا) ثانية فاخترقنا اسواقاً داخلية فيها على حوانيتها لافتات بالانجليزية تحتها الأوردية ولاشيء غير ذلك ومن هذه المدينة خرجنا إلى الريف الكشميري الذي يحفل بمناقع المياه التي يعلوها الطحلب الأخضر وهو ريف رطب كثير الأشجار والخضرة.

فكنا نسير مع طريق ضيق تكون فيه أحياناً أشجار من أشجار الغابات.

وفيه بيوت ريفية من الطين ذات أسقف مسنمة تكون في بعض الأحيان من القش ومن اللافت للنظر في هذا المكان أن الظل كثير بل إن الطريق نفسه مظلل بأشجار الغابات ومع ذلك رأينا عدة مرات جماعة من كبار السن نائمين في الشمس مع انهم صيام ولكن يظهر أن عدم خوفهم من الشمس ناشئ عن كونهم قد يظلون يتطلبون وجودها في أيام الشتاء الباردة مدة طويلة فلا يستطيعون الحصول عليها وإذا أشرقت فإنهم لايمكنهم النوم على الأرض المجردة من دون فراش لشدة البرد الذي قد يجلل الأرض أحياناً بالثلج.

بدء الصعود في التلال :ـ

مدينة (بهلقام) التي نقصدها تقع في منطقة جبلية ولكننا منذ خروجنا من سرنقر ونحن نسير في أراضي منبسطة والآن بعد أن تركنا مدينة (بيج بهارا) بقليل بدأنا الصعود في تلال جبلية لاتكاد تختلف في خصوبة أرضها عن الأراضي المنبسطة وتزيد عليها بوجود الأشجار الكثيرة.

ومن الشواهد على طبيعة هذه الأرض استعمال البغال فيها للنقل بدلاً من الخيل وكنا نلمح القرويات من أهل هذه المنطقة ذوات وجوه صبيحة وملابس دون ذلك كما يرى المرء طوائف من الناس جالسين في الشمس مع اننا فى الصيف وفي شهر رمضان كما تقدم.

ومن المناظر العجيبة هنا وجود جدول صغير ذي ماء رقراق ينساب نازلاً من المرتفعات وأعداد من القماري وهو الحمام البري يعترض الطريق ولا يطير منه حتى تكاد تصله السيارة وهو هنا موجود بكثرة و يدل عدم نفوره من الناس على أن الناس هنا لم يتعودوا على صيده.

وتشاركه المرح في هذه الجنان الكشميرية التي تجرى فيها الأنهار عصافير برية زرقاء اللون كأنها على البعد الفراشات النشوى.

وقد كثرت فيها أشجار التفاح المحملة بالثمار فهذا هو أوان نضجها أو نضج أكثر أنواعها في هذه البلاد.

غير أن طائفة من الأحياء فيها وهم الشيوخ من القرويين يشاركونها الحركة ولكن ربما لايشاركونها المرح والتطلع بنهم إلى مباهج المستقبل فتراهم نياماً في الشمس أو سائرين على جوانب الطريق بمعرفة لمكان السير من الطريق قل أن توجد في بقية أنحاء الهند، وقد أبقوا على ثيابهم التقليدية من قميص هو طويل ولكنه لايصل إلى طول القميص العربي وإنما يقف أسفل من الركبة قليلاً ليأتي سروال تحته فينزل إلى قرب الكعبين وفوقهما صديري قصير ليس له أكمام وعلى الرأس طاقية هرمية الشكل.

وكـل هـذه الملابس تشترك في كونك تحكم عليها من البعد ببعد عهدها عن الماء والـصابـون ولـكـن ذلـك البعد لايصل أيضاً إلى مايصل إليه بعد عهد الثياب الهندية القروية عن الماء.

وتواصـل السيارة سيرها في هذا الطريق وتطل على النظر من خلاله جبال ليس عـلـى رءوسـهـا مـن الخضـرة ما على الأكتاف والسفوح ربما كان ذلك بسبب تراكم الثلوج عليها مدة طويلة من الزمن.

وقـد ذكـرنـي هـذا المنظر الجبلي الأخضر المشبع بالرطوبة مع سقوف بعض المنازل الـريـفـية المتفرقة التي هي قليلة هنا وهي ذات أشكال مسنمة واقفة بالريف الجبلي الإفـريقي الواقع تحت خط الاستواء فقد رأيت مايشبه ذلك في أفريقية الاستوائية في شرقي القارة وغربها لولا أن فارق اللون يردني إلى الصواب.

ولولا شيء آخر كان أيضا يردني بل يشدني إلى الواقع وهو ذلك الألم الذي كان لايزال يأكل أصابعي من تلك الشجرة الخبيثة.

بين الجبل والوادي:

صعد الطريق سفح جبل أخذ يمتد في حضنه وعلى يمينه وادٍ منخفض متسع يجري فـي وسـطـه نهـر رقـراق المياه على ضفافه امتدت حقول الأرز الخضراء وقد رفع الجبل هامته فلم يطاولها إلا السحاب وحتى بعض السحاب الأبيض لم يستطع ان يعلو هامة الجبل فكان يلف رأسه بعصائب بيض كأنما لتذكرنا أننا ـ ولو من الناحية السياسية ـ لازلـنـا فـي أرض الهـنـد الـتـي كـانت (المهاراجات) فيها في القديم تلف رءوسها بعمائم ثمينة بيض.

وهـنـاك شـئ آخـر ربمـا كان يريد ان يذكرنا بأرض الهند أيضاً وإن كان هو في هذه النواحي الجميلة قليل العدد فكأنه فيها غريب غربة هذه الأرض الكشميرية في بلاد الهند ألا وهو الغراب الهندي الشهير.

ونمـر فـي بـعـض الأحيان ببساتين فيها شجر الفاكهة وبخاصة التفاح وقد سوروها بـأسوار من طين ذكـرتني بأسوار البساتين وحيطان النخيل في بلادنا في القديم رغم

الفارق بين جو بلادنا الصحراوى الجاف وجو كشمير الأخضر الندي.

وزاد ذلك شبهاً ماوضعوه فوق أسوار الطين من شجر شائك كنا نضعه ليمنع من يريد تسور الحائط ونسميه (الخزاز).

وقد غامت السماء الآن في هذا الصيف الكشميري كأنما تؤكد الفرق بين البلدين ولتبين أننا لسنا في الصحراء التي لا تغيم سماؤها في الصيف.

ومع امتداد الطريق في احضان الجبل استمر تنقل البصر بين أشجار التفاح المحمل بالثمار في المرتفعات وحقول الأرز في السهل مع ان التفاح من فواكه البلاد الباردة والأرز من نبات البلاد الحارة أو ذات الفصول الحارة.

والقرى هنا قليلة فالبلاد ليست مزدحمة بالسكان مثل بقية بلاد الهند وهناك شئ آخر يذكرنا أيضا بالفرق مابين هذا الريف وريف بلاد الهند غير الألوان في السكان ألا وهو وجود الكلاب ذات الصوف الكثير الذي يكون على الحيوانات في البلاد الباردة والمثلجة ليقيها ذلك.

وادي ليبر أو «ليبرفالي»:

وازداد علو الطريق في الجبال وازدادت كثافة اشجار الغابات فيها وظهر وادي ليبر أو (ليبرفالي) كما يسمونه بمياه نهره التي ترى على البعد عجيبة إذ يبين لونها أزرق شديد الزرقة كأنه لون مياه البحر الصافية بل إن اجزاء منه ترى بيضاء اللون كأنها الثلوج المتحركة لشدة اندفاعها في بعض الاماكن وذلك لكونه آتيا من جبال صخرية ليس فيها طمي ولا مايكدر الماء وليس هذا النهر الجميل بمياهه الصافية ولونه الفريد هو الماء الوحيد الذي تراه يجرى في هذا الوادي على البعد وانت تسير مع الطريق فإن هناك جدولين صغيرين كانا يحفان بالطريق من يمينه وشماله كأنما ليؤنسا وحشته حين يخلو من الأنيس الا أنهما احتفظا بلونها الأبيض الرقراق واحتفظ بلونه الأسود الكثيف.

وأخبرنا إخواننا المرافقون أن هذا الطريق يغلقه الثلج في الشتاء كلية.



وادي ليبر عند بهلقام

وإذا وقفت السيارة لأمر ما في هذا الطريق سمعت صوت الجداول الصغيرة وهي تقهقه في انطلاقها إلى الوادي الكبير.

وفي هذا الجو الأخضر رأيت قرويات على رءوسهن حزم خضراء من الأعشاب الطويلة غير كبيرة فسألت عنها إخواننا فقال عبدالعزيز: للبقرة. يريد انها من العلف وقد احضرنها من محلات عالية في الجبل.

وهذا من الشواهد على أن الوقت يذهب هدراً عند كثير من الناس في البلاد المتخلفة في الإدارة والاقتصاد إذ ماغناء هذا الحشيش القليل من العلف يقضي في جمعه وإحضاره وقت طويل.

وقد رأيتهم وضعوا فوق بعض الجداول الصغيرة الآتية من الجبال جسوراً من الخشب تسير فوقها السيارات مع ان عمرها في هذا الجو الندي قصير ولكنهم لابد أنهم يراقبونها و يبدلونها إذا بدا عليها الضعف وهو أمر عليهم يسير لأن الأخشاب هي أكثر الأشياء وجوداً في هذه الجبال.

والطريق الذي تكون الجسور الصغيرة فيه من الخشب لايكون طريقاً حديثاً بالتأكيد وهذا هو الواقع فهو طريق ضيق ورديء قد ذهب الاسفلت منه في بعض المواضع.

ومن مظاهر عدم العناية به أننا رأينا عمالاً يوسعون ركناً فيه بأيديهم وليس معهم شيء من الآلات ولو كان الأمر مقتصراً على إزاحة التراب أو حتى فرش الطريق بالحصى لكان مألوفاً ولكنني رأيتهم وهم حوالي سبعة أشخاص قد اجتمعوا على زحزحة حصاة كبيرة وهم يحاولون وضع الخشب تحتها حتى يبعدوها عن مكانها وربما كان هذا سببه رخص الأيدي العاملة أو قلة الآلات الضخمة أو ضيق الطريق في سفح الجبل.

وقد يكون هذا هو الصحيح إذ ما أن انحرف الطريق من حضن الجبل ليقطع الوادي حتى وجدناهم قد أقاموا فوقه جسراً أسمنتياً قوياً يمر من تحته نهر (ليبر) الآتي من مدينة (بهلقام).

في مدينة بهلقام :



بهلقـــــام

اعترض الطريق حاجز خشبي عنده رجل لم يرفعه إلا بعد أن دفعنا خمس روبيات رسم الدخول إلى منطقة (بهلقام) التي تبعد عن تلك البوابة بخمسة كيلات.

وعندما وصلنا مدينة بهلقام كان أول منظر يلفت النظر نظافة ظواهر البيوت فيها وطوائف السياح من الأوروبيين وأغنياء الهنود راكبين على ظهور الخيل أو البغال واستعدت في ذهني ذكرياتي في ركوب البغال في العام الماضي في (قلمارج) فحملني ذلك على ألا أفكر في العودة إليه في بهلقام هذا العام وعندما عرض عليّ رفقائي أن أفعل ذلك كما يفعل الآخرون قلت لهم وأنا صادق إن هذا الجو الحنون يجعل المرء ينشط إلى الركض فضلاً عن المشي.

وبهلقام ذات بيوت بيض الطلاء في أكثر الأماكن أو يغلب اللون الأبيض عليها ربما لأنه لون الثلج الذي يلف المنطقة لفصل من السنة طويل.

ولذلك يشاهد المرء الملابس الثقيلة على السكان المحليين رغم أن الفصل الآن هو فصل الصيف وان كان أبرد من جو سرنقر العاصمة بكثير.

وتجاوزنا البلدة مخترقين شارعها الرئيسي قاصدين ضاحية قريبة يجري فيها نهر (ليبر) في مجرى غير عميق بل هو ظاهر يعجب المرء كيف لم يحفر له مجرى عميقاً طول الدهور إلا إذا كانوا قد حولوا مجراه أو أن تكون الصخور في هذا المجرى صلبة بشكل غير معتاد.

وقفت السيارة على هذه الضفة الجميلة الخالية حتى من الأعشاب الطفيلية ولمياه النهر البلورية الصافية وهي تداعب الحصى في مجراه حفيف لطيف يداعب الآذان و يؤنس الأعين.

وقد أخذت السماء الغائمة ترسل رسلاً خفيفة الظل من الرذاذ اللطيف وكان الهواء نفسه خفيف القوام، حنون الحركة يربت على الأجسام، كما تربت يد الأم الحنون على خدود الأيتام.

وعنـدمـا أوقفنا السيارة قال الاخوان: هل لك في بغل أو حصان؟ فقلت لهم إن الجو والهواء في هذا المكان الجميل يجعل المرء يسير وكأنه يطير.

وكـان عـجبهـم بـالـفـعـل كـبيراً حينما قلت إنني اشعر أنني أر يد أن أركض كما كـنـت أفعل وأنا طفل صغير وفطنت إلى أنني قد اصبحت شيخاً قد يقول بعضهم إنه كـبير قـد طـار من شعره الغراب ووقع عليه الغرنوق كما يقول الشعر العامي الشهير غير أن المهم عندي ليس قبول شهادة الشعر بل شهادة الشعور.

فـاسـتمحت رفقائي عذراً، ولم اطق على عدم الركض صبراً، ولم أبال فيمن كانوا يـرون ممـن لايـعـرفون اذْ قصارى مايقولون: إنه شيخ مجنون ولكن أحداً لايدري غيرهم من يعنون.

وركـضـت وركـضـت وكـلما اعـتـرض طـريـقـي حاجز قفزته حتى شبعت ركضاً ولزمت أرضاً حتى لحق بي أصحابي بعد فترة وان لم يشاركوني هذه الفكرة.

ولكننا ظللنا نتمشى معاً خلال الأشجار أو فوق الجسور الخشبية التي أقاموها على النهر أو على بعض النهيرات ضيقة لا تصلح إلا للاقدام أو للدواب.

ورأيـنـا بـعـض المحبين لجمال الطبيعة في هذا الجو الجميل قد نصبوا خياماً صغيرة مـتـنـقـلة وغابوا فيها عن الانظار مع من يحبون كما غابت شمس هذا النهار عن العيون من خلال الغيوم.

وأينما جال المرء ببصره فإنه يرى جبالاً خضراء جميلة فهلقام ونهرها (ليبر) في شبه وادٍ متسع بين الجبال.

و يـسرع إلـيـك الخـيـالـون ــ أصحاب الخيل ــ والبغالون ــ أصحاب البغال ــ يعرضون عليك الركوب فنقول لهم: مامسنا من لغوب.

وهـذا الهـواء الـنـدي الـطـري، يـغـري بـالمشي بل بالجري ولو كان الانسان مثقلاً بـالحـمـل كما رأيـنـا بعض الأوربيات السائحات يحملن ألادهن على أكتافهن أو على أيـديـهـن وهـن يـسـرن يحـادثـن أزواجـهـن والازواج قـد حملوا مايحمله السائحون الذين

لايستطيعون أن يجدوا من المال مايريدون وإنما يدفعهم حب الاطلاع على الاستمتاع برؤية البلاد ومعرفة الناس والطباع.

ولما أبديت إعجابي بما رأيته وأظهرت سروري بمروري بين هذه المروج قال الأخ عبدالعزيز وهو يريني طريق العروج في جبل قريب (كشمير جنة الصغيرة) فقلت والكبير والكبيرة وان كان يقصد في كلامه كون كشمير جنة صغيرة.

العودة إلى بهلقام :

تركنا السيارة وعدنا مشياً على الاقدام إلى مدينة بهلقام رغم ان القوم صيام، وان كانت المسافة قصيرة لاتستحق ان ينوه بها في الكلام.

ومنذ أن أخرج آدم من الجنة فشقي فإن ذريته تشقى حتى في جنات الدنيا.

وها هن القرويات في هذه الجنة الكشميرية على رءوسهن حزم الحطب قد عدن بها من الجبال وقد شقين بجمعها ورفعها ثم حملها ووضعها.

ووصلنا إلى السوق الرئيسية فإذا بها حافلة بالأشياء الصغيرة التذكارية مثل المصنوعات الخشبية المحلية الكشميرية والمنسوجات الجلدية من ذوات الفراء وهذا طبيعي.

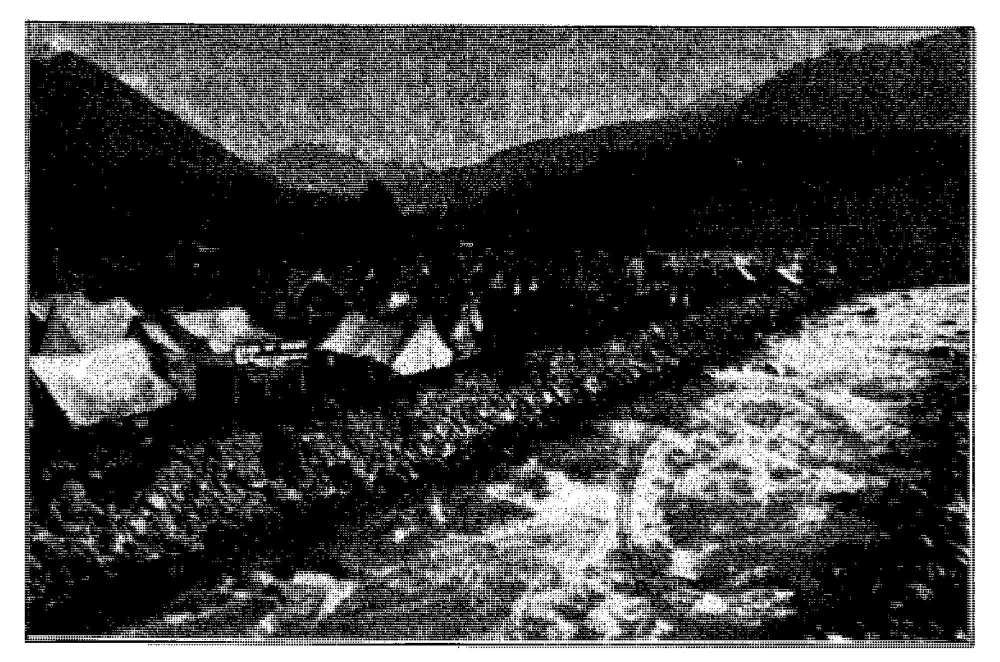
ومن الطبيعي أيضاً أن تكون هذه السوق مليئة بالفواكه المحلية التي تنتجها البلاد الباردة مثل التفاح بأنواعه والدراق الذي هو نوع من الخوخ وقد خلت من فواكه البلاد المعتدلة كالبرتقال أو الحارة كالموز إلا ما كان من ذلك مستورداً وهو قليل والفواكه المحلية هنا رخيصة إذ يشترى المرء نوعاً من المشمش أملس الجلد نسميه في بلادنا البخارى بروبيتين الكيلو الواحد أي: أقل من ريال سعودي.

ومن الخضروات اللافتة للنظر المحببة اليهم ولكنها لاتنبت إلا في الصيف في بلاد دافئة اليقطين الطويل الذي نسميه في بلادنا (قرع نجد).

وأكثر البيوت في المدينة أو على الأدق في قلبها الذي نشاهده هي من الحجارة

ومطلية بطلاء يغلب عليه البياض، وإذا لم يكن أبيض فإن أفاريز النوافذ والأبواب لابد من أن تكون بيضاً وألوانها بهيجة فليس فيها ألوان داكنة أو مغبرة كما هو الغالب على ألوان البيوت في الهند.

من أجمل ما رأيت :



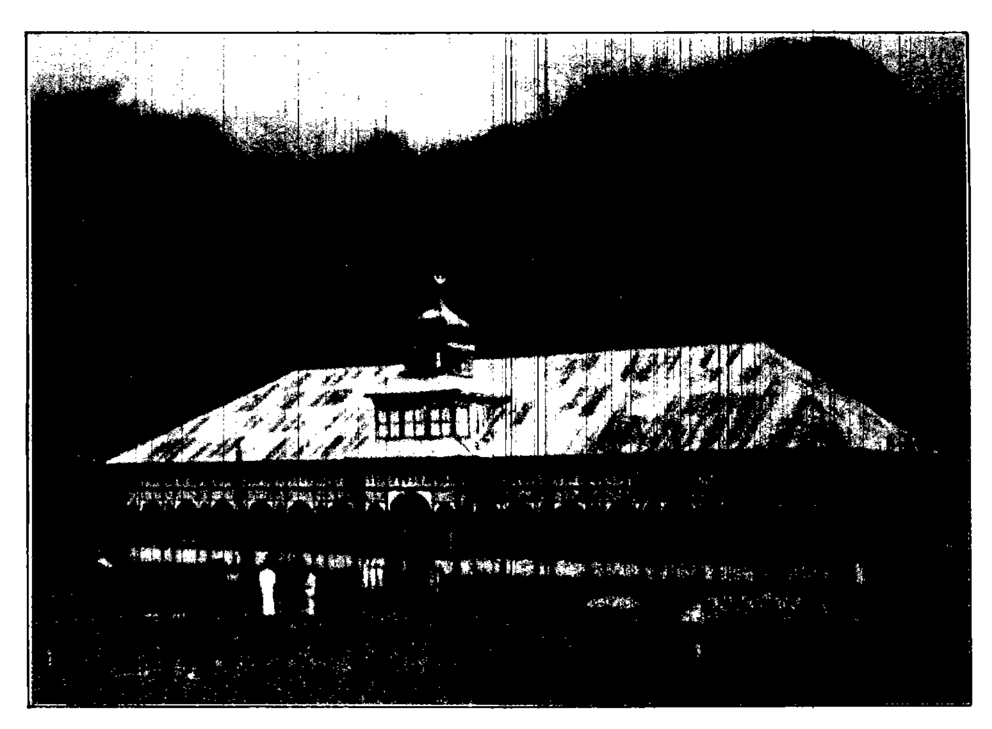
منظر بهلقـــــام

منطقة (بهلقام) من أجمل الأماكن التي رأيتها في العالم ذات الجمال المطبوع بل إن أهلها قد قصروا في الحقيقة في إضافة أي جمال مصنوع حتى الزهور التي يفترض ان تكون كثيرة تتمشى مع هذا الجمال الطبيعي الرائع لايوجد منها إلا أنواع قليلة ذات لون برتقالي مع كونها تنمو من دون شك بدون ري لأن الأرض ندية والجو بليل والهواء نسيم لايعرف السموم.

بل إنهم قصروا حتى في صيانة الجسور الخشبية المقامة على القنوات الطبيعية لمرور المشاة والدواب فتجد في بعضها خرقاً قد سده بعضهم بحصاة حتى لايسيخ فيه حافر دابة فتنكسر قائمتها.

كما أن بعض المتروكات التي تعد من القمائم متروكة قرب الطريق في خارج المدينة.

في جامع بهلقام :



صورة التقطها المؤلف لجامع بهلقام

في زحمة الحديث عن المدينة نسينا أن نذكر معنى اسمها وهو أمر يحب بعض الناس أن يعرفوه وإن كان الاسم في لغة غير لغتهم ومعناه قرية الراعي أو مكان الراعي لأن بهل معناه في اللغة الكشميرية راعي الغنم وقام: قرية أو مكان وسوف تأتي شواهد لاستعمال كلمة (قام) لهذا المعنى كثيراً.

ذهبنا إلى المسجد الذي يقع على الشارع العام غير أنه يفصل بينه وبين الشارع حديقة واسعة للمسجد تنزل اليها من الشارع بدرج من الحجارة على مدخله باب خشبي قصير يمنع الدواب وفي هذه الحديقة الواسعة قسم مفروش بالأعشاب المهذبة

قد جلس عليه أناس كثيرون من غير المسلمين وإنما جلسوا مع أطفالهم للاستراحة في حديقة هذا المسجد لأنهم غرباء عن البلد وأكثرهم من أهل الهند الذين لاتجود نفوسهم بدفع أجرة يوم في الفندق لن يستكملوا إقامته.

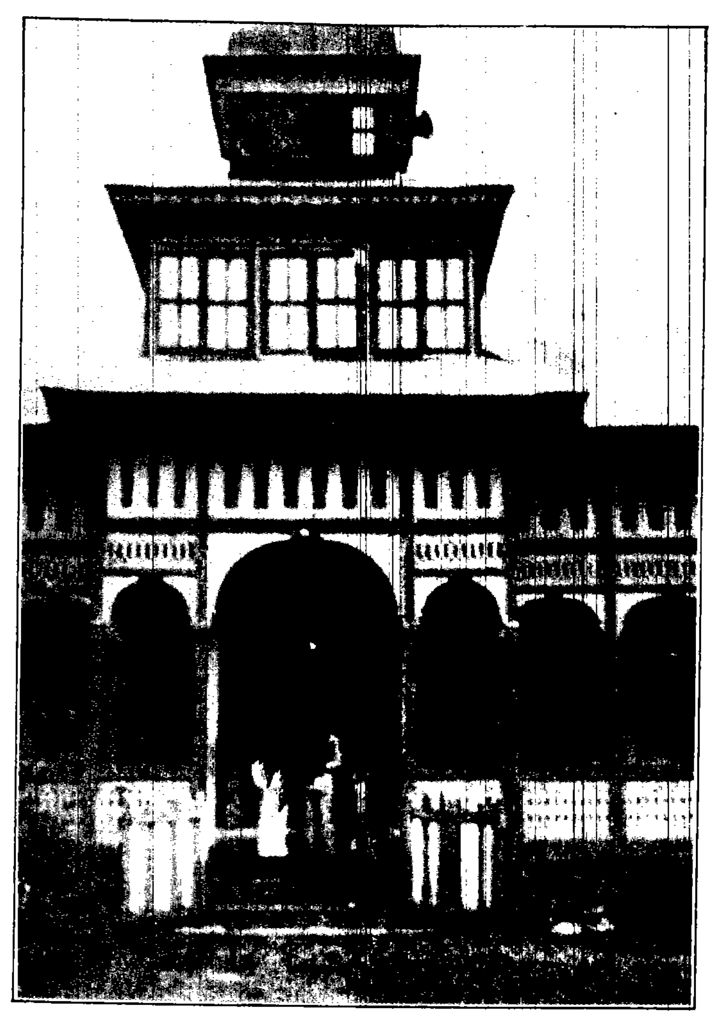
و يبدو المسجد من الشارع بلونيه البهيجين الأبيض والأخضر واضحاً لولا أنه في أرض منخفضة قليلاً وهو ذو قبة خضراء مربعة الشكل تعلوها منارة صغيرة على هيئة تقرب من فن البناء الصيني وان لم تكن به وقد كتبوا على واجهته بالأوردية ذات الحروف العربية (جامع مسجد بهلقام) وتحت ذلك تاريخه ١٣٥٦هـ.

دخلنا المسجد فوجدناه عريضاً غير طويل بمعنى أن صف المصلين فيه يكون طويلاً ولكن عدد الصفوف ليس كثيراً.

وهذه عادة شائعة عندهم بخلاف ماهو متبع في بعض البلاد مثل غرب نيجيريا التي أعتادوا فيها على أن يبنوا المساجد مستطيلة غير عريضة.

والمسجد مبني من الحجارة لأنها في هذه البلاد الجبلية بطبيعة الحال وقد بنوا رواقاً حوله ذا أقواس رائعة من الأخشاب المطلية بالأخضر والأبيض وهى في الشكل بين الأقواس العربية والمغولية وإلى الأولى هي أقرب.

كانت الساعة عندما وصلنا المسجد تقرب من الثالثة بعد الظهر ولذلك كانت الصلاة قد انتهت إذ هم يصلون الظهر في الواحدة والنصف وغالباً ما يظل الناس الذين فاتتهم الجماعة يأتون إلى المسجد يؤدون الفريضة فرادى لمدة ساعة كاملة أو مايقرب من ذلك فلم نجد فيه من المصلين إلا القليل.



المؤلف في جامع بهلقام بين الأخ غلام رسول (في الصورة) وأحد المصلين

وخرجنا من المسجد نتجول في حديقة ثانية وهي ذات زهور متعددة الألوان وليست كالأرض الخلاء خارج المدينة التي هي في الحقيقة كلها بمثابة المنتزه الذي يؤمه السياح ولكنها مهملة وأصر إخواني على التقاط صورة بقرب زهور برية بريئة النظرات أرجوانية اللون طاهرة المنبت في هذا البيت من بيوت الله.

العودة إلى سرنقـر :

بـعد مرور آخر على سوق بهلقام كان بدء العودة إلى مدينة سرنقر مع طريق آخر غير الذي أتينا منه في المجئ فكان يمر وسط غابات جبلية كثيفة وكان المطر ينزل وقد لبس القرويون الخياش أي أكياس الخيش يجعلون أركانها على رءوسهم كأنها الميزاب حتى ينزلق عنها المطر.

فندق الأرض الخضراء :

ربما لم أر تسمية لمكان اصدق من تسمية فندق بهذا الاسم رأيناه في ضاحية بلدة بهلقام مع أنها كلها أشبه بالضاحية منها بالمدينة وقد كتبوا اسمه عليه (قرين لند هوتيل) أي فندق الأرض الخضراء.

وهـذه تسمية صحيحة كل الصحة فهذه الأرض لايمكن ان توصف بأصدق من هذا الوصف.

وقد وقف المطر قليلاً ولكن جريان النهر الرقراق المياه لم يقف والطريق جيد ويمكن السيارة أن تسير فيه بسهولة فهو مخالف للطرق في بعض ولايات الهند كولاية بيهار على سبيل المثال.

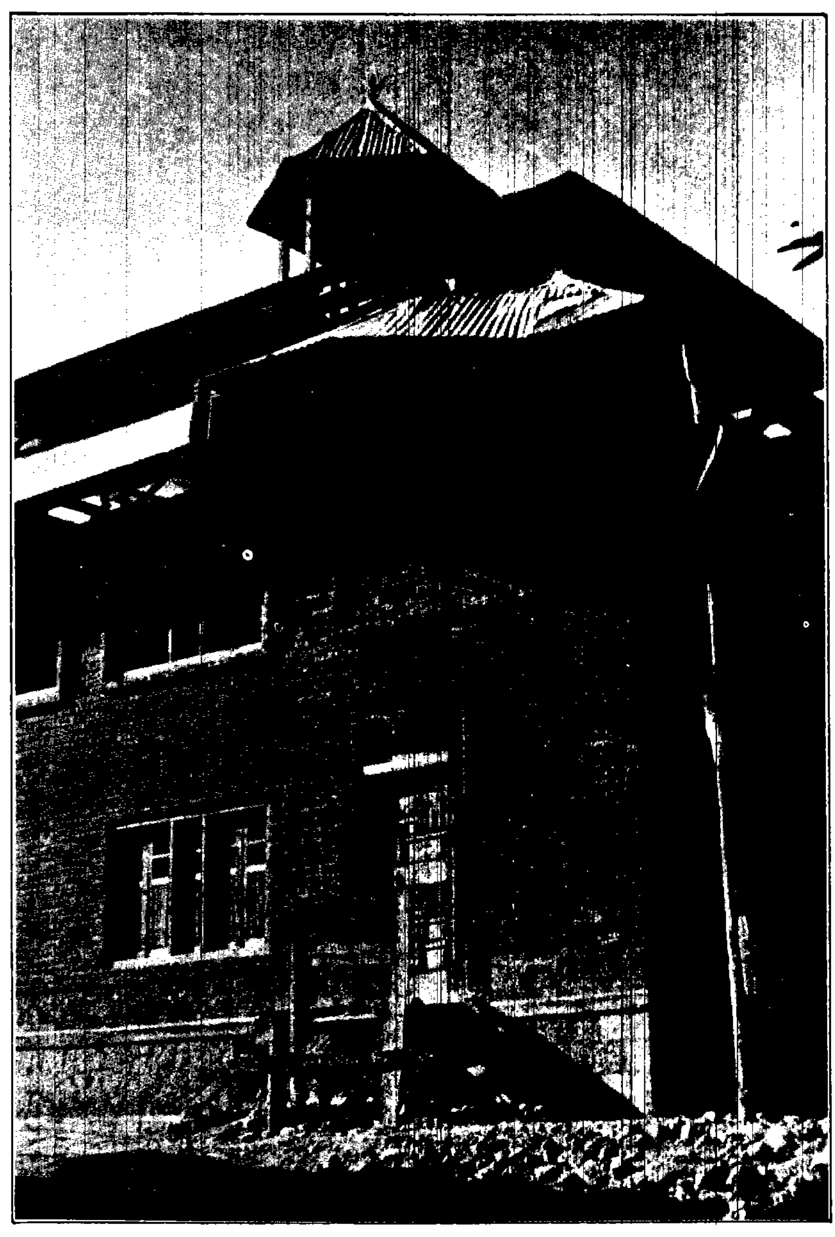
وشئ آخر تخالف به هذه المنطقة من أشياء كثيرة منطقة بيهار وهي أنها غير مزدحمة بالسكان رغم كونها مزدحمة بالخيرات.

وأما البيوت في القرى والأرياف القليلة هنا فإنها في الغالب من طابقين ذات أسقف من (الصاج) أو من القش قد جعلوها مسنمة تسنيماً حاداً حتى تنزلق عنها الثلوج والأمطار ولابد من أن تكون أساسات البيوت من الحجارة.

وقد مر الطريق أيضاً بأشجار التفاح المجاورة لحقول الأرز وبعدد من الترع أو مجاري النهيرات الصغيرة.

ومررنا بمدينة (إسلام آباد) وهذا هو اسمها القديم الذي تعرف به عند عامة المسلمين من أهل هذه البلاد ولكن لها عند الهندوكيين اسم آخر واسمها مطابق لاسم عاصمة باكستان في الوقت الحاضر ولكنه سابق له.

ولم نـقـف عـنـد هذه المدينة رغم أن اسمها يغري بالوقوف وتبعد عن مدينة سرنقر بخمسين كيلو متراً.



مسجد شير بوره في إسلام آباد

ووصلنا (بيج بهارا) مرة ثانية فاجتمع الطريقان في طريقها العام الجيد.

يعمرون القبور أكثر من المساجد :

أخذنا الإخوان إلى أحد أحياء مدينة (بيج بهارا) لرؤية مدرسة إسلامية هناك وقال أحدهم ألا تحب أن ترى المسجد القريب من المدرسة كعادتك؟

فقلت: بلى وبخاصة في هذه المرة التي كان من بين المهام التي جئت من أجلها أن ارى المساجد وأن أنظر في أمر المساعدة على إعمارها.

وقد وقفنا في حي شعبي لم تتوافر فيه أسباب النظافة وسط ميدان أو متسع من الأرض صغير بين البيوت فيه مستنقع ربما كان مجتمعاً من ماء المطر ومن فضلات مياه صنبور في وسط هذا الميدان عنده طائفة من النسوة يغسلن الملابس بضربها بمضارب من الخشب فذكرت عند ذلك أنني قرأت في بعض المراجع العربية ان غسال الثياب يقال له (الدقاق) وهو أمر لا توحي به تسميته (بالغسال) في بلادنا لأننا لم نعتد على غسل الثياب بضربها بالأخشاب وإنما بتحريكها وعصرها بالأيدي.

ومن هناك ذهبنا مشياً إلى المسجد فاستقبلنا قبله مشهد عظيم المظهر ذو بناء مربع الشكل في بذخ وإسراف ظاهرين حتى طلاءه كان جديداً وكل مافيه يوحى بالعناية والاهتمام وتعلوه قبة مربعة الشكل خضراء اللون فوقها قبة أخرى أصغر منها وفوق ذلك ما نسميه المنارة الصغيرة مثلما يكون في قباب المساجد.

فقصدت ذلك البناء أظنه المسجد غير ان الأخ (غلام رسول) صدني عنه وقال: إنه ليس بالمسجد وأشار إلى بناء آخر مقابل له وقريب منه ولكن مظهره دون مظهر ذلك بكثير، بل إنه يوحي بعدم العناية بل الإهمال.

أما المسجد فقالوا: إنه قديم مضى على بنائه اربع مئة سنة سقفه وعمده كلها من الخشب القوي الصقيل ومحرابه منقوش مجدد النقش خلاف بقية المسجد وسقفه عال ونوافذه من الزجاج الملون وقد علقوا فيه وكتبوا على محرابه لوحات وأدعية كلها بالأوردية.

وقد بحثت عن لوحة تبين تاريخ بنائه فوجدت أنهم كتبوا مايلي:

(مسجد خانقاه شريف إمام اعظم ثاني جناب جعفر بن بابا نصيب الدين).

ولم ار تاريخه مكتوباً ولكن الجميع متفقون على أنه يرقى إلى أربع مئة سنة.

وتبين من هذه الكتابة أنه سمي بهذا الاسم إضافة إلى اسم صاحب المشهد أي القبر الذي أقاموا عليه البناء الذي وصفته رغم أن بينها مسافة واسعة.

إذْ عدت أحاول أن أجد تاريخاً على البناء المقام على القبر حيث لم أجده في المسجد فرأيت رجلين من سدنة القبر أمامهما صندوق توضع فيه النقود وهما جالسان متربعان يقومان على ملاحظته ولم تطاوعني نفسي في الدخول إلى هذا الذي أعده إثماً من الآثام وبدعة ضالة من البدع الكبرى إذ نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن البناء على القبور ورفعها و يدخل في ذلك تجصيص أبنيتها وزخرفتها.

إضافة إلى كونها تخالف نقاء الإسلام وصفاءه الذي يوجب أن تكون الخشية والرغبة والرهبة لله وحده دون غيره.

ورأيت من الخارج لوحة كتبوها عليه بخط بارز (أوقاف كشمير).

وأخبرونا عنه أنه ولي من الأولياء وأنه مدفون منذ أربع مئة سنة وان هذه المقبرة تسمى (مقبرة نصيب الدين غازي) أي أنهم اضافوا إلى اسمه لقب (غازي) زيادة على ماكتب على المسجد الذي أظن أنه أقدم من هذا الذي يقولونه.

وعند الانصراف من مشاهدة هذا المنظر الذي يجعل الألم يحز في النفس قابلنا رجل أشاروا إليه وقالوا: هذا إمام المسجد واسمه غلام نبي بن مفتي محمد عبدالله) و يظهر في حديثه أنه ذوفهم ونباهة فقلت له يا أخي لماذا يكون تعمير القبر والعناية به أكثر من المسجد؟

فأجاب : أنا أسعى في تعمير المسجد.

ودخلنا المدرسة الإسلامية ومنظرها يجعل الألم يحز في النفس أيضاً ولكن من

ناحية أخرى فهي كالمسجد مهملة في العمارة بل هي في الواقع توحي بالفقر والمسكنة فبناؤها من الطين ودرجها من الخشب المتسخ وغرف الدراسة فيها صغيرة جداً ولذلك أو لغير ذلك لا توجد فيها مقاعد للطلبة وإنما يجلسون فيها على فرش.

وكل مافيها يوحي بعدم الارتياح إلا اسمها فهو نقيض ذلك إذْ هو (إسلامك مودل هاى سكول) أي: المدرسة الثانوية الأنموذجية، وماهي كذلك.

وعدد الطلاب فيها كما قالوا هو (٢٥٠) مابين بنين وبنات لم نر منهم أحداً لأن الجميع في عطلة وفي المدرسة نظرت إلى بيوت هذا الحي الشعبي الذي أعمر مافيه ذلك البناء البدعي المبني على قبر (بابا نصيب الدين) فإذا بها من الآجر الأحمر والخشب أو من الطين والخشب وسقوفها مسنمة من الصاج.

وقفة في انتي بورا :

وكانت الوقفة هذه المرة لمشاهدة شئ لم نشأ مشاهدته لضيق الوقت في الذهاب ألا وهو ذلك المشهد أو البناء الضخم على قبر أحد الأولياء وهو الذي رأيناهم يرونه الأوربيين ولايدرون أنهم بذلك يسيؤن إلى الإسلام الذي يحارب الوثنية وتعلق القلوب بغير الله تعالى.

ولم يكن عنده أحد من الأجانب هذه المرة كما أن سادنه أو على الأدق سدنته لم يحتفلوا بنا واعتقد ان أحد الرفقة قد أخبرهم بأننا لانقر مثل هذه الابنية البدعية ولا مايفعل عندها من تعظيم لصاحب القبر ومن دعاء أو عبادة عنده ومن نذر له.

فقد فتح احدهم لنا البوابة الخارجية الحديدية ولم يدخل معنا بل وقف خارجاً ولم أره كان ينتظر منا ان نمنحه شيئاً من المال.



المشهد أعمر في أونتي بورا

ووجدتهم كتبوا اسم صاحب القبر عليه (سيد حسن منطقي صاحب).

وقد رفعوا البناء في مكان عال عن الطريق وسط فناء مكشوف فيه حديقة واسعة منسقة وفوقه قبة مربعة خضراء عالية عليها شاهد ذهبي اللون وفي داخل البناء القبر قد بنوا عليه وهو في داخل الغرفة تحت القبة بناء عالياً مجللاً بستر خضراء

والغرفة في غاية العناية من حيث الترميم والنظافة ذات نوافذ زجاجية ملونة وعلى القبر عقود من الثريات الكهربائية وفي الداخل صندوق للتبرعات.

قالوا: إن صاحبه مدفون قبل خمس مئة سنة، وان هذا البناء رمم عام ١٩٥٠م.

وغادرنا (أنتي بورا) والألم يحز في نفوسنا كما كنا عندما غادرنا (بيج بهارا) ورأينا فيها هذه المظاهر المنكرة قاصدين سرنقر العاصمة ولم تخفف رؤية ضواحيها مابنا من الألم أو التعب وإنما زادها ذلك رؤية المزيد من معسكرات الجيش الهندوكي وثكناته وبعضها ذات أرقام متسلسلة مذهلة في الكثرة.

فكانت العودة إلى (سرنقر) قبل المغرب بقليل.

البحث عن ليلة القدر:

اليوم هو الثامن والعشرون من شهر رمضان والليلة هي ليلة التاسع والعشرين منه وذلك حسب رؤيتنا وصيامنا في المملكة العربية السعودية ولكنهم في هذه البلاد متأخرون عنا في صيامهم يومين فهي الليلة السابعة والعشرون وهي ليلة القدر عندهم وكان أول من سمعته منهم يذكر ذلك الشيخ (سعد الدين) أمير الجماعة الإسلامية الذي عندما منعته من أن يصحبنا بنفسه إلى بهلقام فقال إنه لن يتأخر عن الذهاب لولا أن الليلة ليلة القدر.

لذلك عزمت على أن أشهد ما يصنعونه في ليلة القدر فتركت الذهاب إلى المسجد الصغير الذي رأيته أول ماوصلت وذهبت إلى مسجد كنت صليت فيه الجمعة في المرة الماضية قبل سنة وأشهر، فلم أهتد إليه لأنه في داخل حارة حتى دلني عليه احدهم وكان البيع والشراء على أشده والحوانيت مفتوحة في الحارة وكانت الساعة قبل التاسعة بقليل لأن صلاة العشاء كما عهدتهم تكون عندهم في التاسعة.

ورأيتهم قد هدموا المسجد ليجددوه فلم يبق منه إلا قبر عليه بناء مربع وحوله أدوات البناء التي يعيدون بها بناءه فتركته راجعاً غير أن فتى اعترض طريقي وقال: أتريد الصلاة؟ قلت نعم؛ قال: اتبعني ودخل إلى عمارة من أربعة أدوار قال:

اصعد فتوقفت لأن فيها بيوتاً ولكنه ألح علي فتبعته إلى الطابق الرابع فإذا به كان سطح العمارة فأصلحوه بالخشب وسقفوه وجعلوه مسجداً ذا محراب وقد احاطوه بأعداد كبيرة من الشموع قد اوقدوها لهذه المناسبة (ليلة القدر).

غير أنني لم أجد فيه مصلين وإنما رأيت في ركن من المسجد طائفة من البنات كأنهن طالبات وقد أخذن زينتهن وواحدة منهن تقرأ من مكبر للصوت قوي بالأوردية مايشبه أن يكون وعظاً يسمعه من في البيوت تتخلله كلمات منغمة تشبه الشعر وتهليلاً وتسبيحاً وتكبيراً فأردت أن أعود لأنني لم أر فيه رجالاً متهيئين للصلاة ولكن الفتى قال: الصلاة بعد ذلك.

ووجدت عند هؤلاء البنات شيخاً واقفاً كالمعلم لهن فسألته عن الصلاة فقال: الليلة ليلة القدر الصلاة في الساعة العاشرة انتظر عند (مولانا). و(مولانا) شيخ كبير السن جالس في ركن من المسجد عنده مجموعة أثواب وعدد من أواني الطعام الخالية مما يدل على أنه كان معتكفاً في المسجد. فقلت في نفسي هذا المسجد أولى بي من الفندق وجلست قرب ذلك الشيخ بعد أن أديت تحية المسجد ولم أجد عنده رغبة في أن يحدثني لأنه كان دائم الذكر والدعاء والتسبيح والتحميد فلم أقطع ذلك عليه وبين حين وآخر كانت إحدى الفتيات الصغيرات تتسلل من الدرس بدعوى أنها تريد أن تشرب من جرار ماء عند (مولانا) فتشرب بالفعل ولكنها تتلبث بعد ذلك تاركة الدرس.

وبعضهن لطبيعتهن الودية التي هي طبيعة أهالي كشمير يسألنني بلطف عن اسمي وبلدي وكان على رأسي طاقية لبستها بمناسبة الذهاب إلى الصلاة لأنهم يستحبون أن يصلي المرء ورأسه مغطى، ولا أحب أن يعيرني أحد ـ بطبيعة الحال ـ ولكن ما أن يطيب النظر إلى هذا الغريب والتخلص من الدرس لهذه البنية الصغيرة المنفلتة منه التي تكون في الغالب مابين العاشرة والثامنة حتى تأتي فتاة قد كلفها الشيخ المدرس بحفظ النظام وملاحقة الطفلات المتسللات فتبتسم لهذا الغريب (المسكين) وتأخذ بيد الطفلة لتعيدها إلى الصف في الزاوية الأخرى من المسجد غير أن الذهاب إلى الشرب من عند (مولانا) الذي لم يكن يتحدث اليهن ولا إلى غيرهن مباح فتأتي غيرها وهكذا.

إلى أن قاربت الساعة العاشرة وقد مضى عليّ في هذا المسجد أكثر من ساعة ولم يحضر أحد من الرجال فختم الشيخ المدرس درسه وانصرفت البنات إلى أهليهن.

و بدأ رجال كبار في السن يتوافدون على المسجد ونساء عجائز عددهن قليل يدخلن فأسبلوا الستارة مابين الرجال والنساء في المكان الذي كان فيه الدرس قبل قليل.

فقلت : يا لله العجب عندما كانت فيه الشابات لم يستر وعندما حلت يه العجائز ستر! ثم حضر المؤذن فأذن من المكبر لصلاة العشاء فكان يقف بعد كلمة أن لا إله وقفة خفيفة قبل أن يقول: إلا الله ذكرتني بأذان الجمعة في جامع مدينة إبادن في غربي نيجير يا لأن المؤذن كان يقف بعد قوله أشهد و يتنفس و يتلبث قبل أن يقول: أن محمداً رسول الله.

فسألت عن أصل ذلك أحد علماء نيجير يا فقال: هذه سكتة لطيفة.

كما كان المؤذن هنا يمد كلمة أن، ولايستطيع ان يخرج الحروف الحلقية من مخارجها إلا أن (مولانا) إمام المسجد كان بخلافه تماماً فقد دخل في الصلاة بعد الأذان بركعتين خفيفتين فقرأ قراءة مجودة لا لكنة فيها ولا عجمة وصلى صلاة مطمئنة.

بدأ بعد ركعتي السنة أيضاً قبل صلاة التراو يح بدعاء جماعي طو يل ردده صفان وز يادة من المصلين.

ثم بدأ التراو يح بسورة **(ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل)** بعد الفاتحة كما فعل صاحبه الأول وكانوا مثل أولئك يدعون بصوت جماعي بين ركعة واخرى إلا أن الدعاء يز يد بعد ركعتين عما يقولون بين الركعة والأخرى وأما الصلاة على النبي صلى الله عيه وسلم فإنها تكثر بين الركعات.

وطال عليّ الأمر لأنني كنت قد حضرت قبلهم فخرجت قبل أن يكملوا التراو يح ولم أر احتفالاً بليلة القدر أكثر من ذلك حتى الشموع التي كانت مضاءة دائرة حول حائط المسجد قبل الصلاة قد احترقت كلها ولم يضعوا جديدة بدلاً منها.

وكان الدعاء الذي شارك فيه الجماعة الإمام بعد صلاة الفريضة مبدوءاً بقولهم بشكل جماعي منغم (اللهم انت السلام ومنك السلام... الخ ثم آية الكرسي كاملة ثم (سبحان الله والحمد لله والله أكبر) مرات كثيرة.

وخرجت من المسجد وإذا بالأسواق الداخلية أي المتاجر في الأسواق غير الرئيسية مفتوحة ساهرة مع كون الساعة تتجاوز الحادية عشرة.

ولم أر أي احتفال بليلة القدر غير ذلك إلا أن الإذاعة والتلفزة كانت تذيع صلوات وأدعية باللغة الأوردية.

الخميس ٢٩ رمضان ١٤٠١هـ ٣٠ يوليو ١٩٨١م.

إلى ناحية أخرى من كشمير:

ستكون السفرة هذا اليوم إلى ناحية أخرى من كشمير ومع طريق لم يسبق لي سلوكه إنه الطريق الذي ينتهي ببلدة (لولاب) ولكنها بعيدة الى حد ربما لايستطيع يومنا (الرمضاني) أن يبلغه لأننا لن نقصد اليها قصداً وإنما سنتوقف في بعض البلاد وقد نخرج عن الطريق العام عدة كيلات حتى نرى مسجد قرية أو مشروعا إسلاميا ترى الجماعة الإسلامية أنه ينبغي ان نراه، فهي المنظمة لرحلة هذا اليوم وهي الدليلة القائدة.

وكان على رأس المرافقين الشيخ سعد الدين أمير الجماعة نفسه ومعه الأستاذان غلام رسول وعبدالعزيز بن صديق رفيقاً السفر أمس.

ولم يأت الشيخ سعد الدين ولا غلام رسول إلى الفندق وإنما أخذناهما من مكان من شارع في المدينة وبدأ السفر في العاشرة والنصف ضحى.

فسارت السيارة مع طريق جيد غير ضيق على جانب منه الاشجار الضخمة وتحف به في أكثر الأماكن حقول الأرز الخضراء وكان المطر ينزل.

ونزول المطر هنا أمر طبيعي لذلك يرون أن الحديث عنه أو في شأنه أمر لايستحق التنويه ومع استمرار السير كانت المناظر المعتادة تتكرر في النظر ومنها بساتين التفاح

المليئة بالثمار ومناقع المياه التي يعلوها الطحلب الأخضر والنهيرات أو الترع التي يقطعها الطريق والقنوات التي تساير الطريق في بعض الأحيان.

وقلة القرى في هذه الأماكن الريفية وبيوت الطين والآجر في تلك القرى.

وشيء آخر وهو أن المتصدي للحديث معي هذه المرة هو الشيخ سعدالدين نفسه وهو رجل كبير السن يخرج الكلمات الانجليزية من مخارج غريبة على أذني والحديث كله بل منذ ان وصلت إلى سرنقر هذه المرة باللغة الانجليزية.

كما أنه من الناس الذين يبغضون الثرثرة وفضول القول وليس أقل ملائمة لي في السفر من أمثال هؤلاء.

بلدة باتـــــن :

تقع على بعد (٢٥) كيلو متراً من سرنقر العاصمة اخترقنا سوقها الرئيسى وكان من أبرز ما في حوانيته كثرة هو اللحم المعروض للبيع والخضروات والفاكهة.



مسجد كهور في بائن

ثم أسراب عديدة من البط الأبيض والأرقط تقطع الطريق ويحلولها أن تتبختر ولا تتزحزح إلاّ أن تزعجها أبواق السيارات.

وخرجنا من القرية لندخل فى منطقة أخرى من مناطق الجيش الهندي ومعسكراته وثكناته وهو منطقة واسعة يتولى الجيش فيها أكثر الأمور.

لا سيا أن هذه الطرق هي التي كانت في العهد الانجليزى تصل من كشمير إلى مدينة (راو لبندي فى باكستان) ولكنه الآن مغلق ولا يستطيع أحد العبور منه إلى باكستان رغم ان الحدود الهندية مع باكستان مفتوحة في مناطق أخرى من الحدود كمنطقة البنجاب وقد استمرت معسكرات الجيش تساير الطريق فترة يشاهد المرء فيها سيارات الجيش وبعض معداته وضباطه وجنوده وكل ذلك في مظاهر جيدة توحي بالعناية والاهتمام.

وعندما رأيت كثرة الثكنات والجنود والمعسكرات في كشمير جعلت أتساءل؟

أكل هذا الجيش من أجل كشمير؟

ولابد لكل من يلاحظ كثرة هذا الجيش أن يطرح هذا السؤال أكل هذا الجيش من أجل كشمير؟ وذلك بأنه جيش كبير مجهز بعدد وآليات متطورة كبيرة فكيف بما لا يري؟

والجواب الحقيقي: أن هذا الجيش ليس هو من أجل كشمير وحدها أو من أجل الكشميريين وحدهم فالكشميريون لايحتاج إخضاعهم لكل ذلك لاسيا أن بعضهم قد أثرت فيه الدعاية الهندوكية ولكن هذا الجيش من أجل هدف اكبر للهندوكيين ألا وهو إخضاع المسلمين أو قل استمرار الضغط على المسلمين.

فكشمير هي نقطة احتكاك بين الهند وباكستان وباكستان هي تمثل الإسلام القوي أو الذي يحسب له حساب في نظر الهندوكيين.

والصراع بين الهندوكية والإسلام صراع قديم وكانت الغلبة فيه للإسلام في القديم ولكن الزمن تغير والمسلمين لم يتغيروا إلى الأحسن بل إن بعضهم أو أكثرهم تغيروا إلى الاسوأ فيما يتعلق بمجاهدة الكافرين ومنهم الهندوكيون.

فالهند تعد مسألة كشمير هى عنوان ورمز لتغلبها على الإسلام والمسلمين في القارة الهندية ولذلك تحرص على أن تبق القوى بيدها فيها وتحرص على أن يبقى الإرهاب من تلك القوة في قلوب المسلمين.

وهذا بالاضافة إلى كون كشمير ذات موقع حيوي للهند من ناحية الموقع والاقتصاد والسياحة والثروة المائية والمنتجات الزراعية التي تنتجها البلاد ذات الطقس البارد.

ولهذا فان المظنون أن تبقى قبضتها قوية على كشمير والعلاج لذلك ان تكون للمسلمين قبضة قوية قادرة على كسر اصابع القبضة الهندية.

وهذا أمر ليس مستحيلاً بل إنه ممكن إذا تعاون إخواننا المسلمون في باكستان وبنغلاديش وإخوانهم المسلمين في العالم وبخاصة في الدول الإسلامية العربية.

وكثرة العدد ليست مشكلة مستعصية الحل إذا قابلتها نوعية ممتازة في الأشخاص وبالتالي في عملهم.

وتقع حدود باكستان من هنا على بعد (٥٠) كيلو متراً فقط والمراد بذلك حدود كشمير الحرة المسماة (آزاد كشمير) والمنضمة إلى باكستان.

ومع امتداد الطريق عادت مناظر الأشجار الأسطوانية على جانبيه في الأماكن الخالية من القرى ومنظر عمال يصلحون الطريق أو قل يسفلتون أجزاء تالفة منه بطريقة يدوية.

حتى اخترقنا بلدة (سنقراما) ولم نقف عندها لأن مرافقي لم يريدوا ذلك رغم أنه يوجد فيها مساجد لأن أهلها كلهم مسلمون كما أخبرونا ولكن أصحابى يرمون إلى أن أرى المساجد التي تشرف عليها الجماعة الإسلامية وربما يكون في بعض مساجد هذه البلد ما يعرفون أنه لايسرنا مثل البناء على القبور أو أن تكون المساجد نفسها مبنية على قبور.

وخرجنا من البلدة إلى طريق غير مزدحم بالسيارات ولكنها فيه أكثر منها في

طرق الهند الريفية الأخرى بمراحل.

وليس فيه من وسائل الازعاج شيء من الموجود في الطرق الهندية أيضاً ولا من وسائل النقل الأخرى غير العربات التي تجرها البغال وبعضها عليها أكداس من صناديق الفاكهة الفارغة فهم يصنعونها هنا لوفرة الأخشاب التي تصنع منها تلك الصناديق ولانهم يحتاجون اليها في تصدير فاكهتهم الكثيرة كالتفاح والخوخ إلى بقية انحاء الهند.

والقرويات في هذه المنطقة قرويات حقاً فهن يغسلن ملابسهن من مياه ترعة غير صافية المياه على قارعة الطريق وملابسهن التي عليهن ليست من النظافة بذاك.

في مدينة سوبور:

وهذه المدينة تبعد عن مدينة (سرنقر) العاصمة بخمسين كيلو متراً ولكنها أسفل منها خلاف مدينة إسلام آباد التي مررنا بها أمس وقلنا إنها تبعد عن سرنقر بخمسين كيلو متراً فتلك أعلى من سرنقر والدليل على ذلك ان مدينة (سوبور) هذه تقع على نهر (جيهلم) نفسه التي تقع عليه مدينة سرنقر ولكن بعد ان يفارق النهر سرنقر ومعها خمسون كيلاً من الأراضي في طريقه إلى مصبه في باكستان.

ودخلنا السوق الرئيسية للبلدة تحيط به بيوت من الحجارة والآجر. وهى أحسن من المدن المتوسطة والصغيرة في الهند وان كانت تحتاج إلى مزيد من العناية.

ومن الأشياء الظاهرة فيها الدالة على الخصب وازدهار الزراعة كثرة الخضروات والفواكه واعلاف الحيوانات في أسواقها.

لامذكرات في السوق:

رآني الشيخ سعد الدين أخرج مذكرة صغيرة اكتب فيها شيئاً من رءوس الأقلام ثم أضعها في جيبي فقال لي بصوت منخفض يخشى أن يسمعه أحد مع ان الضجة في السوق لاتكاد تخترقها أبواق السيارات:

إنه لايحسن بك أن يراك الناس وأنت تكتب شيئاً في المذكرة لاسيما مع وجود المصورة في السيارة.

فقلت له: ياأخي أنا سائح أجنبي ومن عادة السائح أن يحمل مصورته و يكتب مايخشى أن ينساه.

فقال: قد يكون هذا صحيحا في ولاية غير هذه الولاية أما هنا فإن الجواسيس كثيرون وربما يظن بك و بنا ما قد يسيىء إلينا.

فقلت له: سمعاً وطاعة.

واخترقنا أزقة البلدة الضيقة ذات الطرق غير الجيدة إلى حي يسمى (مسلم بير) وذلك لرؤ ية مسجد فيه يحتاج إلى مساعدة فوجدناه قد قارب أن يصل إلى التسقيف ولكنهم وقفوا لقصور النفقة كما أخبرونا وقرأت عليه لوحة تذكار ية لبدء العمل فيه متضمن أنه بدء العمل فيه بواسطة (الحاج الحافظ سعد الدين) الذي هو مرافقنا ــ في عام ١٤٠١هـ الذي هو عامنا هذا.



مسجد مسلم بير سوبور

وبجانبه مدرسة في بناء قديم ولكنهم يقيمون لها بناء جديداً قالوا: إن فيها من الطلبة أربع مئة ومن المدرسين أربعة عشر.

و يقولون إن اسمها (مدرسة مسلم بير الإسلامية).

خرجنا من عند المدرسة والمسجد نمشي على الأقدام لضيق الأزقة إلى حيث وقفت السيارة غير بعيدة في هذا الحي الشعبي الذي في أرض ازقته مناقع ماء قليلة ربما كان ذلك من المطر مع مارايته يخرج من بعض المنازل من مياه وبعضها ارضه طينية لااسفلت فيها.

ومعظم بيوتها بالآجر والخشب و بعضها له أحواش رأينا في اثنين منها عدداً من البقر كما كنا نفعل في بيوتنا في نجد في القديم حيث نتخذ البقرة في البيت من أجل اللبن والزبد والازقة فيه على ضيقها غير مستقيمة.

ونظراً لأهمية البقر وكثرة الأعشاب هنا رأينا طائفة من النساء يحملن على رءوسهن اعشاباً من الأعشاب المائية في مكاتل وقد جئن بها من ضفاف النهر الذي يخترق البلدة أو من بعض المناقع.

وقال أحد إخواننا وماهو بحاجة إلى أن يقول: إن هذا من أجل البقر فالبقر هنا كثير بل حتى الدواجن الأخرى مثل البط والدجاج تعج بها الأزقة.

جامع سوبــــور :

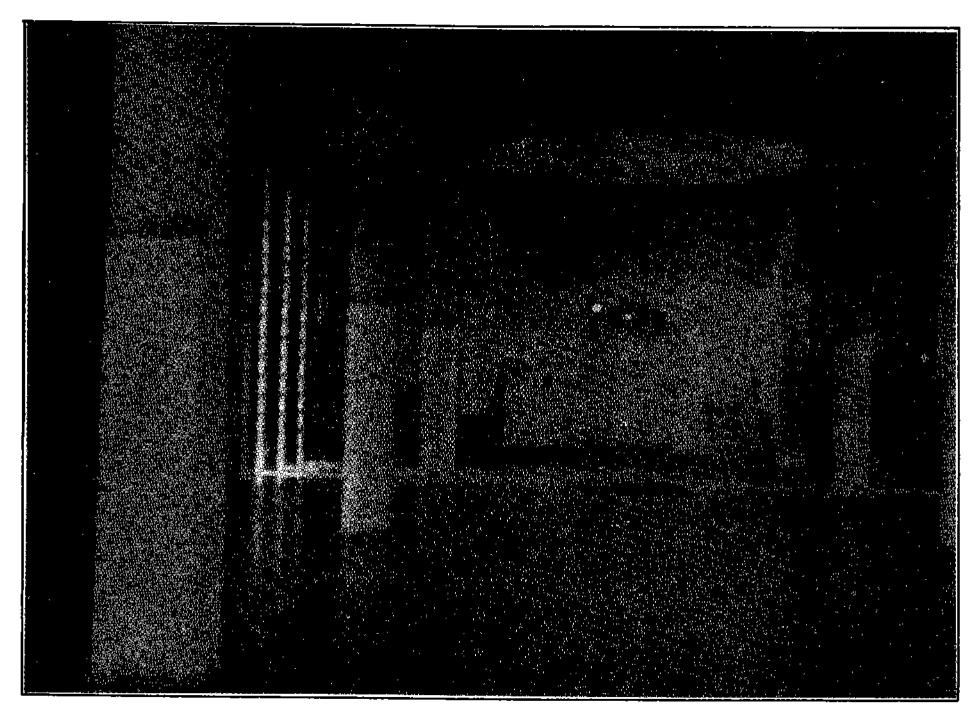
هو جامع عظيم في موقعه وفي طريقة تنفيذ بنائه وفي مقدار ما أنفق عليه أهله من مال فهو مبني بناء أسمنتياً مسلحاً قويًّا ووفق ذوق جميل ولاتزال الاصلاحات الأخيرة فيه لم تكتمل حتى الآن وتشرف عليه جمعية محلية وهو واسع ولكنه عريض.



جامع سوبور الجديد

غير طويل كالعادة في أكثر المساجد في هذه البلاد وله سقف مستعار من خشب محلى ممتاز ومحرابه في جزء واسع من مقدمته تعلوه قبة مغولية الشكل.

ويقع في شبه جزيرة من نهر جيهلم وفرع آخر من النهر أو من نهر غيره لايشركه في موقعه شيء أي: أنه لايفصل بينه وبين مياه النهر من ثلاث جهات فاصل من بناء غير تابع له وإنما هي حديقته والممرات الموصلة إلى أبوابه ثم النهر.



في داخل جامع سوبور

وله منارة مربعة قريبة الشبه بالطراز الصيني ذات شاهد فضي واقف.

والحقيقة أنه معلمة من معالم هذه البلدة ومفخرة لأهلها الذين استطاعوا أن يجعلوه كذلك ومن الأشياء المفرحة ما اخبرونا به أنه ليس على قبر وليس بقربه مشهد من مشاهد الأولياء إلا أنه يحتاج إلى إكمال الاصلاحات من البلاط الخارجي والواجهات والدرج كما يحتاج إلى فراش لأنه الآن بلاط أقرع.

وفي الطريق إلى الخروج من هذه البلدة (سوبور) وقفت السيارة لتحية بعض الإخوان الذين عرفوا الشيخ سعدالدين وكان وقوفها امام بناء صغير عليه لافتة كتب عليها (مزار شهيد) واخبرونا أنها تضم قبوراً لطائفة من المواطنين قتلتهم الحكومة في عام ١٩٣١م في هذا المكان.

وكانت مغادرة بلدة (سوبور) مع الطريق الممتد نفسه قبل دخولها وهو طريق جديد بالنسبة إلى مشاهدتي ولكن كثيراً مما فيه قد تكررت رؤيته في اماكن أخرى مثل وجود ترعتين من ترع المياه على جانبي الطريق.

وكثرة الأبقار الموجودة في المنطقة.

إلا أن شيئاً ليس كثير الوجود في غيره وهي أشجار (جنّار) الضخمة التي قال لي الشيخ سعدالدين ان وجودها من خصائص كشمير وهي لا تثمر ولكنها ذات جذوع عظيمة وفروع واسعة لم أر مايماثلها من الأشجار في الضخامة والارتفاع إلا القليل.

بلدة بهرام بورا:

عدلنا عن الطريق الرئيسي يساراً لزيارة قرية (بهرام بورا) فدخلنا في ريف كثير الخضرة كثيف الاشجار ندي التربة.

فوقفت السيارة عند مسجدها وكان الوقت قد حان بل وجدناهم قد فرغوا من صلاة الجماعة ولم يغادروا المسجد فكان في هذا بعض الشيء غير المطلوب لنا لأن وجود جمهور حولنا أمر لا نريده وقد يعرض مهمتي لعدم الإتمام.

وكانت الساعة قد قاربت الثانية فرأينا أن نصلي هنا أما أنا فسأجمع الظهر والعصر جمع تقديم وأما صاحباي فهما حنفيان لايجمعان بل ولايعدان أنهما في سفر رغم ان المسافة التي نحن ذاهبون اليها أكثر من مسافة القصر التي هى مرحلتان.

كانت المشكلة مشكلة الوضوء فهم قد هيأوا اماكن الوضوء بحيث يخلع المرء خفيه وجوربيه و يسير حافيا على أرض الميضأة حتى محل الاستنجاء لايدخل إليه بالنعال.

وقلت لأصحابي: لنصلى جماعة لأن الجماعة الرئيسية فاتتنا فقالوا: كل يصلي وحده وصليت الظهر والعصر قصراً وجمعًا أربع ركعات ولكن الشيخ سعدالدين حفظه الله صلى الظهر وحدها أكثر من ذلك اضعافاً مضاعفة اذْ تنفل قبل صلاة الفريضة أربعاً وبعدها أربعاً مع الدعاء الطويل.

واحاط بي المصلون في المسجد بعد الصلاة وقادوني بالقوة قوة الرغبة في الانقياد لطلبهم إلى زاوية في المسجد فيها فراش قد احيط عليه بستارة لأحد المعتكفين وأجلسوني وتحلقوا حولي، ولم يكونوا يعرفون العربية وإنما جذب بعضهم إليّ قول البعض الآخر: أربى أربى: أي عربى عربي وقداخذت تنتقل هذه الكلمة على الأفواه فتنتقل معها العيون إلى حيث (الأربي) الذي شغل عنه رفقاؤه بالصلاة.

وقد اخذت أدعو وهم يؤمنون واكثرهم لايدري ـــ بالتفصيل ـــ معنى ماأقول.

تركنا القرية بين جمهور غفير عند المسجد بعضهم يسلم على الشيخ سعدالدين رئيس الجماعة الإسلامية وبعضهم يحملق في هذا (الأرْبي) الذي قلّ أن تطرق قدماه قريتهم.

وبعد الثانية والنصف بقليل كانت مواصلة السير في منطقة أكثر مافيها ظهوراً أشجار التفاح التي قد اثقلتها الثمار وحقول الأرز ومناقع المياه حتى حول البيوت الريفية والبط الكثير الذي يطيب له العيش في هذا الجو الندي.

وعلى الطريق كانت هناك وفرة في السيارات.

ولاترى شبراً مهملاً خالياً من العمارة بالزروع والأشجار والطريق يتجه الآن جهة الشمال الغربي.

وقد كثر وجود النائمين على وجوههم تحت الأشجار ربما كان ذلك بسبب ارتفاع النهار وهم صيام وكثرت رؤية الرعاة معهم الأبقار مابين قليلة وكثيرة.

ولاينبغي ان يفهم من لفظ الرعيان أنهم الذين يبحثون لهم عن أرض خضراء يسيمونها رعيها فالأرض كلها خضراء وكلها أعشاب وإنما يكونون معها من اجل ان

يمنعوها من رعي المزروعات والنباتات غير الوحشية لذلك تراهم كثيراً مايكونون على جانبي الطريق حيث تكثر الأعشاب النامية دون زرع وتجد الأبقار تأكل منها و يبتغون بها الحدود مابين المزارع الخاصة أو مايكون تحت اشجار الغابات من حشائش نامية غير مزروعة.

البقر .. في الهند:

ولمناسبة كثرة الأبقار كثرة لافتة للنظر في هذا الريف الكشميري يتبادر إلى الذهن السؤال عن قيمة لحمها و بأنه سيكون رخيصاً بطبيعة الحال.

لذلك سألت عنه الشيخ سعدالدين والمرافقين؟ فقالوا: إنه في هذه الاماكن بثماني روبيات هندية أي مايساوي ثلاثة وربعاً من ريالاتنا السعودية ما أرخصه.

على أن بعضهم قال لي بعد ذلك إنه في الأماكن الريفية بهذا السعر ولكنهم يحضرونه من هناك فيبيعونه في أطراف المدينة بعشر روبيات وأحياناً بإحدى عشرة.

ولما سألتهم عن قيمة الكيلو الواحد من لحم الغنم الذي يقدم في المطاعم بكثرة ورأيته معروضاً في كل أنحاء سرنقر بل في كل أنحاء كشمير بكثرة لافتة للنظر في هذه الأيام قالوا: إنه عشرون روبية في المدن أي: أقل قليلا من ثمانية ريالات سعودية وهو عندنا بعشرين ريالاً.

على ان الذي لم يخبرني به اخواني المرافقون عندما سألتهم وهو مالفت نظرى من انني لم أر لحم البقر معروضاً للبيع في الأسواق والسبب في ذلك ان حكومة كشمير لا تزال وهي حكومة أغلبية إسلامية تمنع ذبح البقر رسميًّا.

وهذا الكلام في البقرة ولحمها هنا يجرنا إلى حديث مختصر عن البقرة في الهند وعجائب أمرهم في شأنها.

فبعض الولايات الهندية تمنع ذبح البقرة وبيع لحمها منعاً باتاً بل تعاقب من يفعل ذلك و بعضها وان كانت ذات أغلبية هندوكية مثل ولاية (كيرالا) في الجنوب فانها تسمح ببيع لحم البقر وقد رأيته معروضاً للبيع في مدينة كاليكوت في تلك الولاية.

وهذا فيه غرابة ولكن الغرابة أن تكون ولاية ذات أغلبية مسلمة تمنع بيع لحم البقر فيها وهي هذه الولاية (كشمير) إذ علمت ان هؤلاء الذين يذبحون البقر و يبيعون لحومها إنما يفعلون ذلك خفية من الحكومة و يبيعونه في غير الحواتيت المعتادة وإنما يمرون به على البيوت.

وذلك رغم كثرة الأبقار ووفرة لحومها ولا أشك في أن هذا كان من بقاء حكم الحكام غير المسلمين الذين كانوا يحكمون كشمير في السابق لم تشأ الحكومات الحاضرة الغاءه، او لم تستطع ذلك.

وكل هذه الأمور المتعلقة بلحم البقر في الهند مرجعها إلى كون الدبانة الهندوكية تعظم البقرة بل تعدها إحدى الآلهة ولايزال بعض المتعصبين من الهنادك يسمونها (ربا) لأن أربابهم كثيرون.

أما سبب عبادتهم لها وهي المشهورة في الأدب العربي القديم والحديث بالغباء وعدم الفهم فإن بعضهم يقول إن سبب ذلك أنها تهب الآدمين الحياة بما تقدمه لهم من زبد ولبن وروث يخصب الأرض! ولكن ألا يصح هذا أيضاً على الجاموس والأغنام؟ مع أنهم لايقدسونها؟

ثم إن لهم أمراً عجيبا ذلك بأنهم يقدسون البقرة تقديساً عظيماً ولكنهم يهينون الثور إهانة بالغة والثور هو أبو البقرة أو ابنها بل هو السبب في وجودها فتراهم يحملون عليه الأثقال ويحرثون عليه الأرض و يكلفونه من العمل مايستطيع ومالا يستطيع وهذا من تناقضات المعتقدات الهندوكية.

وهناك سبب لعدم أكل لحم البقرة وهو سبب عام ذلك بأن الديانة الهندوكية في الأصل تحرم قتل كل ذي روح حتى ولو كان ضارًّا مثل الحية ولذلك لايجيزون أكل لحوم كل الحيوانات لأن ذلك بزعمهم اعتداء على الحياة.

فترى طوائف منهم يسمون النباتيين لايذوقون إلاّ النبات والبقول والزيوت المستخرجة من البقول وهذا ظاهر في المطاعم الهندية إذْ تجد فيها دائما قوائم بأطعمة النباتيين الذين يسمونهم (فجتيريان).

ومن عجائب امرهم في البقرة ماحدثني به بعض إخواننا في مدينة بنارس في الهند التي هي مدينة مقدسة عندهم ان بعض البقر أحياناً تمرض فيدركها الموت أو يكون ذلك بسبب كبرها فتبرك في الشارع و يضع الهندوكيون عليها قماشاً يسترها عن الأعين فتبقى هكذا تعاني سكرات الموت وآلامه حتى تموت حتف أنفها.

ولقد حدثت مذابح ومآس عظيمة على تاريخ طويل بين المسلمين والهندوكيين في الهند بسبب هذه البقرة و بخاصة في عيد الأضحى لأن المسلمين يذبحون البقرة يتقربون بالتضحية بها و يسمونها بالفعل في الأوردية(قربان) فيقوم عليهم الهنادك منكرين فعلهم.

ولقد قال بعض الظرفاء من إخواننا المسلمين إن ذبح الإنسان أهون على الهندوكي من ذبح البقرة.

قرية لانقت:

قبل الوصول إليها فسد الطريق وضاق حتى أصبح لايكاد يتسع لأكثر من سيارة واحدة وإذا التقت فيه سيارتان فلابد من أن يتمهلا وتميل إحداهما خارج الطريق.

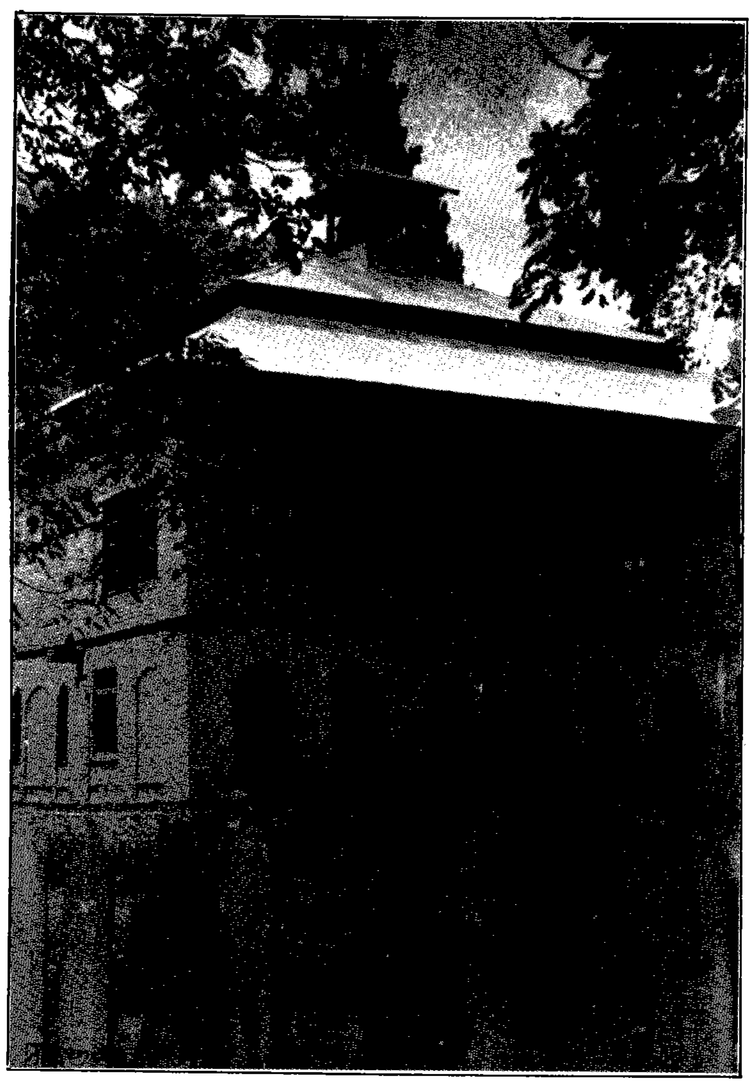
وكان أظهر مافي هذه القرية مسجدها المسقف بالصاج ولافتة مكتوبة يراها من يمربه من الطريق ولو كان راكباً سيارة ماشية تقول (زيارة سيد كرمان صاحب) فعرفت أننا لانزال في الخرافات إذْ لو كان المقصود بذلك الزيارة الشرعية بقبره لما كان هناك مانع بل ان زيارة القبور زيارة شرعية أمر مستحب كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم (كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإنها تذكر الآخرة).

ولكن أصبح لزيارة قبور الأولياء والصالحين مثل هذا الرجل مصطلح مغاير للشرع إذْ يزورونها للتبرك بصاحبها والتقرب بزيارته وقد يكون مع ذلك رجاء عند القبر لغفران الذنوب، أو ستر العيوب أو حتى تيسير الحصول على المطلوب فتتعلق القلوب بها من دون الله وقد تصبح على مر الزمن أوثاناً يفعل عندها مايفعله المشركون عند أوثانهم أو قريباً من ذلك كما هو موجود في بعض البلدان الإسلامية مع الأسف الشديد.

مدينه (هنداوارا):

زرنا مسجداً فيها تشرف عليه الجماعة الاسلامية وهو ذو قبة مربعة ذات أسقف ثلاثة بعضها راكب فوق بعض واما داخل المسجد فان فيه سقفاً من الخشب ليس فيه عمود واحد فوقه سقف آخر مسنم يجعل الثلج والمطر ينزلق عنه.

وهو مفروش بالحصر إلا أنه محتاج إلى مساعدة.



المسجد الجامع في هندواره

وخرجنا من المسجد إلى فناء واسع تابع له ولكنه مهمل فليس فيه زهور ولاحديقة معتنى بها وإنما سوروه بسور قصير ليمنع الدواب من دخوله.

وتبعد مدينة (هنداوارا) عن سرنقر العاصمة مسافة (٧٥) كيلومترًا.

ومن هذه المدينة كان الانحراف مع طريق جانبي فى داخل هذا الريف الجبلي العميق إذ من المنطقة التى فيها (هنداوارا) بدأت الجبال والتلال العالية وكنا قبل ذلك فى منطقة تشبه مناطق السهول.

والغريب فى هذه التلال الخضر بل الكثيفة الخضرة أن المرء لايكاد يرى فيها غنمًا ولامعزى وإنما يرى أكثر مايرى من الحيوانات اللبون البقر بكثرة زائدة.

وكان القصد من ذلك زيارة قرية (هانقا) وذلك لرؤية مسجدها ولزيارة شيء آخر وهو منزل مرافقنا (غلام رسول) فيها فهذه هي قريته وفيها مسكنه وزيارة المنزل لها غرض آخر وهو عقد مباحثات فى ذلك المنزل مع رئيس الجماعة الأسلامية ومعه.

قـــــــرية هانقا:

كان أول مارأينا فيها على الطريق العام أكواما مكومة من الاخشاب الضخمة التى لا تستطيع ان تقلها من الأرض الا الآلات لضخامتها وكلها من انتاج القرية، وعلى الأصح أن تقول مما ينمو فيها فهم لم يبذلوا جهداً فى انتاجها، وانما القرية كثيرة المياه والامطار فتنمو فيها أشجار الأخشاب من دون جهد.

وقال الأخ (غلام رسول) ان هذه الاخشاب يصنع منها الا ثاث للمنازل والمكاتب وهناك أخشاب تصنع منها صناديق الفاكهة التى رأينا اكواما مكومة منها مصنوعة تنتظر من ينقلها.

ووقفت السيارة فى الطريق العام اذ لايمكن لها غير ذلك لأن القرية ليس فيها ازقة فضلاً عن ان تكون فيها شوارع أو هذا هو حال مارأيناه منها.

فدخلنا نسير على أقدامنا ولانكاد نجد موضعا لقدم من الأرض ليس فيها ماء ناقع أو جار فقد تظاهر المطر مع المياه التى تجري الى هذه القرية من الجبال والتلال

العالية على جعلها كذلك ورغم ان الجو كان صحواً والشمس خارج القرية مشرقة فانك لا تكاد ترى الشمس داخلها من تشابك فروع الاشجار الضخمة فيها حتى انك من فرط كثرة المياه ترى بعض المناقع المتغيرة اللون و بعضها له رائحة مكروهة.

وسألتهم ونحن فى الطريق الى رؤ ية المسجد عن أهل القرية؟ فأجابوا انهم كلهم مسلمون.

ورأينا مسجدها القديم متهدما وقد اقاموا بدلاً منه مسجداً جديداً قاربت عمارته على التمام.

و بدأوا يصلون فيه وقد بنوا أسفل حيطانه بالحجارة لكى تقيه الرطوبة الشديدة ومافوق ذلك بالآجر وسقفوه بالخشب ثم جعلوا فوق ذلك سقفا إضافيًّا مسنمًا من الخشب والصفيح ورأيناهم يريدون أن يعملوا فى موضع ملاصق للمسجد حمامات قالوا إنه لاغنى عنه فى الشتاء لأنه يصعب استعمال الحمامات المعتادة فى الشتاء لشدة البرد.

وقد أرونا إياها فإذا بهم أقاموها على هيئة غرف صغيرة من الخشب مقامة فوق ترعة صغيرة بمثابة نهر جارٍ وهي طبيعية دائمة الجريان فيتوضأ المرء منها و يذهب المستعمل مع الماء بعيداً ولكن مياهها تكون فى الشتاء باردة الى درجة لا تطاق اذا لم تتجمد.

وسلمنا على إمام المسجد واسمه (عبدالغنى) وهو معتكف فى المسجد فى هذه العشر الأخيرة من رمضان.

ومن مظاهر استعدادهم للشتاء وجود عدد من قطع من الفخار الأحمر على هيئة انابيب قالوا: انها بمثابة المدخنة عند تدفئة المسجد فى الشتاء.

وخرجنا بعد ذلك نمشي على الأقدام فى القرية التى يصعب فيها حتى السير كذلك لأن المشى بين البساتين الظليلة التى تحتها مناقع المياه والقنوات الصغيرة الجارية فكان المرء يجد صعوبة فى وجود موقع لقدم صالح لذلك.

والأطفال والنساء الذين رأيناهم أكثرهم بملابس غليظة من ملابسهم التى يلبسونها فى اكثر فصول السنة خلاف هذا الفصل الدفيء القصير.

وقد اخبرني اخواني بهذه المناسبة انها فى الشتاء تكون أبرد من (سرنقر) العاصمة مع ان سرنقر باردة بل تظل تخوض فى الثلج أشهراً.

وأما بيوت القرية فان معظمها من الخشب الغليظ غير البهيج المنظر حتى إن درج بيت صاحبنا الشيخ (غلام رسول) كله من الخشب.

ورأيت امرأة جالسة عند شيء منشور ليجف فقالوا انه أرز غير مقشور وقد جلست عنده تحرسه عن البقر والدجاج والبط الموجود بكثرة هنا.

ولمناسبة ذكر المرأة أقول ان الملاحظ أن النساء اللآتي رأيناها في القرية لسن فى الصباحة وصفاء اللون مثل اللآتي في القرى التي مررنا بها.

وربما كان مرد ذلك إلى وجود الرطوبة الزائدة فى القرية التى قد تسبب بعض الأمراض أو مالا أدريه.

وعندما مشينا فيها اكثر ورأيت غرفة صغيرة من الخشب مقامة على دعائم من الخشب ذكرت بلدة (وي بن) عاصمة قبيلة تيمور فى مدغشقر وكونهم يرفعون البيوت فيها عن الأرض بدعائم من الخشب إتقاءً للرطوبة غير ان أهل هذه القرية الكشميرية (هانقا) يجعلون للبيوت الخشبية اساسات من الحجارة تقيها الرطوبة.

ورغم مابين هذه القرية والقرى الإفريقية من البعد فى كل شيء من حيث الموقع والوان السكان ومن حيث الفصول واختلاف الزمان فانها تجتمع معها فى كونها ليست بذات أزقة مستقيمة فضلاً عن الشوارع وانما هى ممرات تفصل بين البيوت والبساتين غير منتظمة والبيوت نفسها ليست مقامة على شكل متناسق بل هى منثورة نثراً حسب موقعها من أرض مالك البستان.

ومن المناظر التى تشترك فيها مع القرى الإفريقية منظر أوانى الطين أو الفخار التى ينتشر استعمالها فى القرى الإفريقية وكثرة الدجاج السائب فضلاً عن كثافة ظلال الأشجار التى تجرى تحتها المياه.

جلسة عمل:

بعد هذا التنقل من العاصمة إلى هنا كان الصعود إلى الطابق الثاني من بيت صاحبنا (غلام رسول) فى هذه القرية (هانقا) وكان الاسترخاء على حشايا نظيفة فى غرفة نظيفة فيها حتى اللوحات التزيينية مع أن البيت كله بطابقيه مبنى من الخشب.

وكانت بي حاجة إلى راحة قصيرة بل كان بي ظمأ إلى إغفاءة فى هذا النهار الرمضانى الطويل من هذه البلاد الشمالية.

غير أن حيوية الشيخ (سعدالدين) رئيس الجماعة الإسلامية منعت من ذلك رغم كونه يكبرني سناً بأكثر من عشر سنوات.

فأصر أن يكون البدء بالعمل فوريًّا إذْ عقد جلسة عمل اخرج خلالها تقريراً طويلاً باللغة الانجليزية كانوا قد اعدوه الليلة البارحة وأخذنا فى مناقشته ويتضمن بيان اوجه المساعدة التى تحتاجها الجماعة الاسلامية للنهوض بالمسلمين فى هذه البلاد من الناحية الثقافية العربية الاسلامية التى هي ميدان عملنا.

وكان تقريراً مطولا لم نكد ننتهي منه حتى نهض الشيخ الصائم الذى هو فى همة الشباب وقال: الى سرنقر فقلت: والراحة والنوم؟

فأجاب: لاداعي لهما.

فخرجنا من بيت أخينا (غلام رسول) ونسوة من بيت آخر مجاور له ينظرن من خلال الأبواب الى هذا الزائر الغريب فى هذا الوقت غير الملائم من الأيام الأواخر من شهر رمضان.

فكان المشي الى حيث تقف السيارة تحت سقف اخضر من الأشجار العالية المتشابكة تحتها فى بعض الاماكن أشجار أخرى اقل منها علوا.

وحدثوني ونحن فى السير عن موقع هذه القرية القريب من حدود كشمير الحرة المنضمة الى باكستان فقالوا: إنه لايزيد على ثلاثين كيلومتراً فقط ولكن يصدق عليه

قول الشاعر:

فـيـاداراهـا بـالخـيـف إن مـزارهـا قـريـب ولـكـن دون ذلـك أهـوال

فالحدود مغلقة إغلاقاً محكمًا بين البلدين ولهم أقارب وأصهار في الجانب الباكستاني من كشمير ولكنهم لايستطيعون رؤيتهم ولاحتى لقاءهم لقاءً عابراً على الحدود وربما لايستطيعون أن يصلوا إليهم ولو طافوا حول الأرض إلا من أسعده الحظ أو على الأدق من واتاه الحظ فحاز على ثقة السلطات الهندية بأنها لاتخشى منه على سياستها القائمة على إخضاع كشمير الاسلامية شيئاً ــ وقليل ماهم ــ فإنها قد تسمح له بزيارة باكستان ولكن بعد ان يذهب بعيداً الى الجنوب متكلفا جهداً ومالاً في ولايات هندية أخرى ثم اذا دخل الى باكستان عاد من بعيد جهة الشمال متكلفا جهداً ومالا في بلاد باكستان.

وركبنا السيارة عائدين من هذه القرية في حوالي الخامسة عصراً وسائقنا لايكاد يبصر طريقة فهو صائم والنوم يداعب جفنيه ويحس بصداع ولما لاحظت ذلك عليه وسألته عن حالة قال بالعربية إنه (لاطيِّب).

العودة إلى سرنقر مع طريق آخر:

ومن عند مدينة (هنداوارا) بدأنا العودة إلى سرنقر مع طريق آخر كان من المناظر المتسغربة فيه بالنسبة الينا منظر عمال يعملون في اصلاح هذا الطريق الضيق يتعاون فيه على المسحاة او مايسمى في بعض البلاد العربية (المجرفة) ثلاثة عمال فأحدهم وهو اقواهم يضرب بها الأرض فيقوم اثنان بشد حبل مربوط بها يحركونها في الأرض.

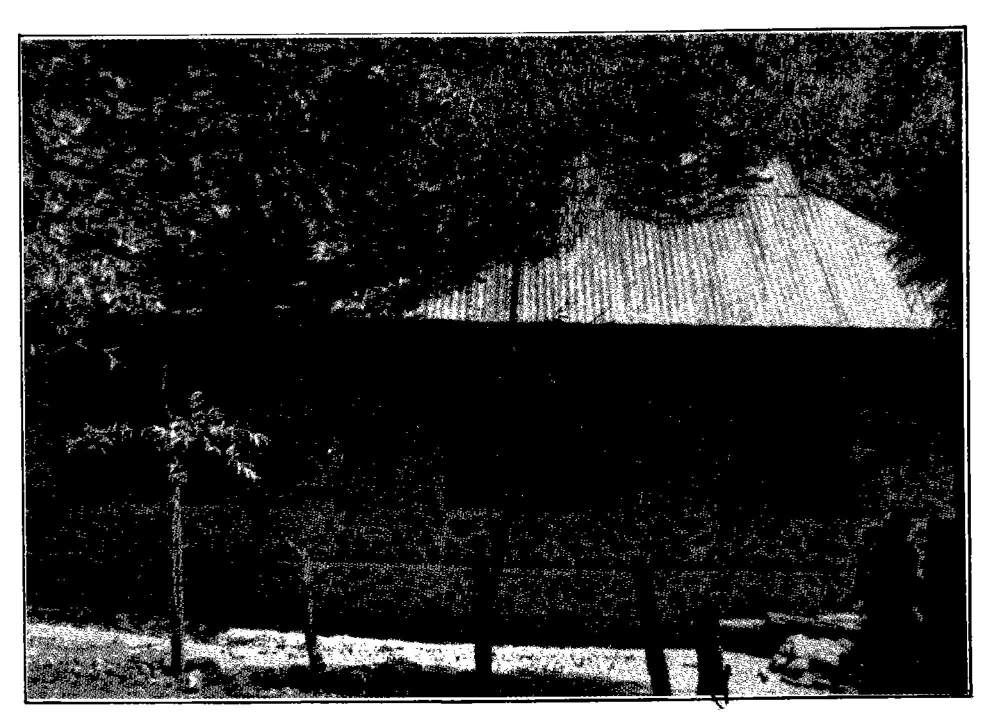
وهم ثلاثتهم لايقومون بعمل عامل من الذين كانوا يعملون في بلادنا قديمًا بمثل هذه المسحاة أو أكبر منها ويظل يعمل بها وحده طول اليوم.

ومررنا بقرية تدعى (كولن قام).

كما مررنا بحاجز خشبي أي: شبه بوابة تغلق بخشبة قوية معترضة ولكنها مفتوحة وهي حواجز عدة ومررنا بها وكلها مفتوحة وقد اعدت لتكون جاهزة للحاجة إليها في

أيام الاضطرابات او لغير ذلك من دواعي معرفة المسافرين على الطريق.

وقد ضاق الطريق مع انه كثيراً مايتقابل فيه سيارتان و يكون الطريق محفوفا فى بعض الأحيان بترع مائية ولقد رأيت حافلة ساقطة فى ترعة صغيرة قد انقلبت على جانب واحد كما رأيت فى العودة بين سوبور وكشمير سيارة نقل كبيرة جانحة فى ترعة مماثلة وقد غاصت مؤخرتها فى الماء.



مسجد كولن قام

الغراب والجنـــــــة

من العجب فى هذه المناظر البهيجة أنها قد خلت من ذلك الطائر الذي يتشاءم به العرب وهو الغراب وإن كان الهنود يتفاءلون به فيقولون: إنه اذا كثر وقوعه فان ذلك يدل على قدوم قريب او صديق. فلا تكاد تجد هنا غرابا واحداً كأنها الجنة المحرمة على الفواسق.

وإنما حلّ فيها عوضاً عنه أسراب كثيرة من الحمام البرى البريء الجميل لايخالطه مخالط إلاّ عصافير جميلة مثله و(خاضور) وهو طائر اخضر اللون فى حجم الحمامة يأتي الى بلادنا مهاجراً مع الطيور المهاجرة في فصلي الربيع والخريف وقد رأيته هنا لم يكد يتزحزح عن طريق السيارة ثم وقع قريبا من الطريق مما يدل على انه لايذار هنا.

وقد بدت الى يسارنا جبال تسمى (جبال هارون) خلفها تقع مدينة (لولاب) لم نذهب إليها لضيق الوقت وعلى يميننا امتدت حقول الأرز الاخضر الذي توشحه فى المرتفعات أشجار التفاح ودخلنا.

قرية توجّار

من طريق فرعي ضيق فاذا بها مثل قرية (هانقا) ظليلة بليلة وكان القصد من زيارتها مشاهدة مسجد فيها يبنيه أهلها ويحتاج الى مساعدة وتنفق عليه جمعية محلية قابلنا من أعضائها (حاجي مبارك شاه) والأشجار فيها ضخمة نامية الى درجة غريبة حتى رأيت واحدة منها قد نحتوا فى جذعها غاراً كالذى يكون فى الجبال حتى صار يتسع لعدة اشخاص يجلسون فيه فى داخل جذعها كأنه الغرفة الصغيرة ولم تتأثر من ذلك لضخامتها.

وأهلها كسابقتها أقل صباحة فى الوجوه من القرى الأخرى وأظن مرجع ذلك إلى الرطوبة الدائمة أو إلى أنهم من عنصر لم يحل فى هذه المنطقة إلاّ منذ قرون قليلة.

ومن مظاهر الندى ووفرة المياه ان بيوتها قد اخضرت أطرافها من الطحلب الذى ركبها لا من الماء وبعض احواش البيوت قد جعلوه من العيدان ــ كما يكون فى بعض المناطق الاستوائية الندية ولقد بلغ من شدة كثافة الأشجار فيها انك تحس وانت فى النهار بالظلمة ولذلك تفرح اذا خرجت من القرية الى نور الطريق العام.

وقبل الوصول الى مدينة سوبور فى هذه العودة وقفنا عند أشجار من اشجار (الجنار) العملاقة التى يقل نظيرها فى الضخامة والسموق وغلظ الجذوع وهى نامية على الطريق قرب نهر يسمى (بهرو) يذهب مثل (جيهلم) الى سوبور والتقطنا صورة مع الشيخ سعدالدين الذي لم يكن يحب كثرة الصور.

وحدثني في هذه الأثناء عن هذه الأشجار العملاقة وقال: إن عمرها الآن يزيد على ثلاث مئه سنة لأنها غرست في عهد ملوك المغول، وقال ان الحكومة تمنع الآن قطع شيء منها لأنها تخشى من انقراضها اذا قطعت لأنها بطيئة النمو.

وكان الوصول الى سرنقر من هذه الجولة مع غروب الشمس وحلول موعد الفطور.

يوم الجمعة ٣٠ رمضان ١٤٠١هـ الموافق ٣١ يوليو ١٩٨١م

شحاذو الهند وشحاذو كشمير :

لعل من طريف المقارنات التي تدل على المفارقات ما بين كشمير وبقية بلاد الهند ذات الأغلبية الهندوكية هو فى الحديث عن السائلين والمستجدين (الشحاذين) فى البلدين.

فبلاد الهند وبخاصة الهندوكية منها مشهورة بأنها هي بلاد السؤال والاستجداء بل هي البلاد التى لانظير لها فى العالم فى مثل هذا الأمر.

ولقد سمعت من بعض اصحابنا أنه لكثرة السائلين والمستجدين وبالتالى لضيق الناس بهم وعدم اعطائهم ما فيه غناء، إلا بعد مشقة وعناء كان بعض الهنادك القادرين يمتهنون السؤال والاستجداء من باب إذلال النفس واصغارها حتى تتغلب على نوازع الجسد يتعبدون بزعمهم بذلك حسب ما توحي به ديانتهم التى تمقت الجسد وتدعو الى عدم الاستجابة لرغباته وتحث على العناية بالروح وتهذيبها عن طريق إهانة الجسد.

ولقد شاهدت بنفسي فى المدن الهندية الكبيرة أمثال بومبئي وكلكتا من إلحاح السائلين والمستجدين وإلحافهم ما تضيق به الصدور وتتقزز منه الأنفس وبخاصة أن كثيرًا منهم هم من ذوي العاهات والأمراض الخطيرة فيبالغون في اظهار عاهاتهم استدراراً للعطف عليهم ومن أولئك طائفة من المصابين بالجذام الذين اسقط المرض أطرافهم أو بعضها مثل الأنف وأصابع اليدين ومع ذلك تراهم يسارعون الى أن يمسوك بأيديهم حتى تعطف عليهم او حتى تعطيهم لتستطيع أن تهرب من مكروههم.

ومثل هذه الصور غير موجودة أصلاً فى كشمير فـ (الشحاذون) قليل جدًّا بالنسبة

الى الهند بل إنهم يقلون حتى بالنسبة إلى بعض البلدان العربية.

ولقد مررت اليوم بشاهدين على ذلك أحدهما فتى أسمر شديد السمرة لاشك في أنه من بلا د هندية بعيدة عن كشمير وقد أكل الجذام أطراف يديه ورجليه وهو منبطح على طريق المشاة فوق جسر على نهر جيلهم، في سرنقر وقد سد بجسمه طريق المشاة المفصول عن طريق السيارات وهو يصرخ و يستجدي و يلح في ذلك ويحاول أن يعرقل سير المارة حتى يعطوه وأحياناً يحاول ان يمسك بيديه اللتين لا أصابع فيها من يمر به لو استطاع ذلك كل ذلك بالحاف وصوت مفزع مما يضطر بعض المارة ومنهم كاتب هذه السطور ان يعطيه شيئاً لكي يسمح له بالمرور فهو من (شحاذي) الهند الهندوكية بلاشك و بعده بقليل رأيت امرأة كشميرية فقيرة معها طفل لها صغير فقير يظهر ذلك واضحاً من حالتها الصحية إلا أنها بيضاء من أهالي كشمير بلا شك تدل على ذلك ملامحها وملامح طفلها وقد جلست على الرصيف بعيداً عن الجسر مثلاً لئلا تؤذي المارة و بسطت أمامها قطعة صغيرة من الخيش بدون أن تسأل أو تتكلم فالذي يريد أن يعطيها يلقي لها بقطعة من النقود ولا فلا تتكلم أبداً.

محاولة السفر إلى جامو:

كانت لي رغبة قديمة في السفر إلى جامو التي هي منضمة إلى كشمير المسلمة في ولاية واحدة وان كانت أغلبية السكان في (جامو) من غير المسلمين فقد ذكر لي بعض إخواننا أن نسبة المسلمين في جامو تبلغ ٣٠٪ وقال آخر إن في هذا مبالغة سببها العاطفة وأن النسبة لا تبلغ ذلك.

وعلمت بعد ذلك ان لكلا القولين وجهاً من الصحة فالمسلمون أقلية لايبلغون ٢٥٪ في مدينة جامو نفسها غير انهم يوجدون بنسبة أكثر من ذلك في بقية أنحاء (جامو).

والمهم أن الزيارة إلى جامو فيها معنى العمل والسياحة وعلى الأدق كما في المثل (زيارة وتجارة) لذلك ذهبت مبكراً هذا الصباح وفي جيبي تذكرتي ونقود كافية فيما إذا ذكروا أنه لابد من شراء تذكرة جديدة للذهاب والإياب إلى سرنقر حتى وإن كانت جامو في طريق الذهاب من سرنقر إلى دلهي.

وذهبت إلى مكتب شركة (الطيران الهندي) (انديان ايرلانز) وهذه مختصة بالنقل الداخلي وهى غير شركة طيران الهند (ايرانديا) المختصة بالنقل إلى خارج الهند.

فوجدت في المكتب من الازدحام والفوضى ما لم أر له مثيلاً إلا في بعض البلاد المتخلفة في الادارة.

ورأيت الأوربيين ينتظرون دورهم وهم نيام على المقاعد والمشكل ان دورهم لم يأت إلا إذا زاحموا غيرهم لأن الذي يدخل من أهل البلاد لاينتظر دوره وإنما يزاحم ومع ذلك لابد له من ان ينفق وقتاً طو يلاً قبل ان يصل إليه الدور.

وانتظرت والعمل شبه واقف والناس متعطلون فلم أجد بداً من أن أعود إلى الفندق وارسل أحد موظفيه عسى ان يستطيع بوسائله الخاصة ان يحدث الموظف.

ولكنه عندما ذهب أخبروه ان المقاعد كلها محجوزة لعدة أيام مقبلة وأنه لا أمل في وجود مقعد خال لأن الطائرة صغيرة لاتزيد مقاعدها على ٤٦ مقعداً والطريق الأمثل هو الانتظار أما الحافلة فإنها تحتاج إلى يوم كامل.

فعدلت آسفاً عن هذه الفكرة راجياً ان تتيسر لي مناسبة أخرى فيها فسحة من الوقت لزيارتها.

في مسجد أهل الحديث :

جمعية أهل الحديث في كشمير (اهل حديث) كما يكتبونها في لغتهم جمعية مهمة الوجود والهدف في هذه البلاد لأنها الجمعية السلفية الوحيدة في بلاد تكثر فيها البدع والخرافات وتعظم القبور والأولياء والصالحين.

ولذلك حرصت على زيارة مقر الجمعية والتحدث إلى أعضائها ووصيتهم بالعمل على تصحيح العقيدة في هذه البلاد وسألت صاحب الفندق واسمه (نور محمد) وكنت تعرفت عيه من قبل عن الحي الذي يقع فيه مسجد أهل الحديث لكي أصلي فيه صلاة الجمعة فلم يخبرني به وإنما قال لماذا لاتصلي عند (حضرة بال) وبال معناها الشعرة كما تقدم ويريد بذلك مسجد الشعرة الذي تقدم ذكره.

فقلت له : إنني أريد أن أصلي لله وليس للشعرة أو غيرها دخل في صلاتي.

وتركته وهو غير مقتنع دون أن يخبرني عن مقر المسجد شيئاً مع أنه قريب من الفندق سبق أن مررت بقربه من دون أن أشعر به.

وركبت عربة (ركشا) فقلت لصاحبها: بكم تحملني إلى مسجد أهل الحديث؟ فأجاب: بما شئت اركب.

ولما سرنا قليلاً أشار إليه وقال ههنا:

ولم أر المسجد وإنما رأيت صفوفاً طويلة ممتدة مع امتداد الشارع خارج المسجد امتداداً لم أكن أتصوره وقد بلغ الصف طولاً مايقارب ألف متر أما عدد الصفوف فإنه غير كثير نظراً لأن الشارع غير واسع وقد أغلق المصلون الطريق أمام السيارات والعربات في هذا الشارع وكنت عهدته يعج بالحركة.

وهو سوق للبيع والشراء كله مرصوص بالحوانيت ومن طريف ما رأيته ان الفرش التابعة للمسجد قد قصرت عن استيعاب المصلين فكان بعض اهل الحوانيت إذا رأوا مصلين مقبلين وليس معهم فرش اخرجوا لهم من حوانيتهم ماتيسر.

ورأيت بعضهم يعطيهم اكياساً فارغة من الخيش ليفترشوها دون أرض الشارع. وكانوا ينتظرون الصلاة في الشمس وليس بي صبر عليها فذهبت اتمشى إلى أن يقرب وقت الصلاة إذ كانت الساعة هي الواحدة وقد أخبروني أن الصلاة في الواحدة والنصف فرأيت أننا في بداية الاجتماع للصلاة إذا أخذت الصفوف تمتد.

ومن لطيف ماشاهدته وأنا أتمشى ان المقبلين على الصلاة يأتون إلى فرع من نهر جيلهم قريب من المسجد و ينزلون إليه مع درج من الحجارة و يتوضأون من النهر مباشرة ثم يعودون للمسجد.

وكان الخطيب وهو الإمام منذ أن وصلت إلى المسجد يلقي درساً باللغة الأوردية مليئاً بالشواهد من الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية وذلك بلفظ جهوري مؤثر فكان يتغني بلفظ الأحاديث النبوية و يقرأ الآيات القرآنية قراء ة مجودة.

وقد استمر ذلك ساعة كاملة منذ وصولي، وبعد ذلك خطب خطبتين قصيرتين جداً بالعربية ثم أقام الصلاة فقرأ قراءة أحسن فيها ماشاء وكان له من صوته الفصيح، واداائه المعبر مايجعل المرء يستمتع بقراءته فقرأ في الركعة الأولى من أول سورة (ق) حتى كاد ينصف السورة ثم ركع وفي الثانية من أول سورة النجم حتى كاد ينصفها أيضاً.

وكانت قراءته مجودة والحروف تخرج من فمه من مخارجها العربية الصحيحة وعندما انقضت الصلاة كان جارى في الصف رجلاً نظيف الهندام أنيق الهيئة سألني قائلاً: أأنت عربي؟ فقلت نعم ولايعرفون العربي بمعنى غير المسلم فلا يتصور أكثرهم أن هنا عربياً غير مسلم وهكذا في أكثر أنحاء الهند.

ومن الطرائف في هذا الموضوع ماحدثني به (خليل طعمة) صاحب دار الثقافة في بيروت وهى مكتبة ودار نشر وهو مسيحي أن أحد اخواننا من مسلمي الهند كان زار بيروت واشترى من عنده كتباً إسلامية فأعجبته معاملته وأراد أن يستفسر عن شئ فكتب إليه رسالة يقول فيها أخي في الدين الأستاذ/ خليل طعمة.

قال خليل طعمة: ولم يكن يسعني بالطبع ذوقاً أن اصحح خطأه فأقول له: إنني لست أخاً له في الدين، ثم سألني ذلك الأخ عن الغرض من زيارتي لكشمير؟ فقلت: انها الزيارة فنحن الآن في البلاد العربية في عطلة العيد.

ثم سألته عما إذا كان حانوته في هذا السوق فقال: لا إنه بعيد ولكنني أتيت للصلاة في هذا المسجد.

هذا وبعد أن صلى المصلون ركعتي السنة انصرفوا مسرعين فطويت الفرش وذهبت ابتغى الدخول إلى المسجد للسلام على الإمام وسؤاله عن كيفية الاجتماع بالمسئولين في الجمعية غير ان سيل الخارجين من المسجد لايمكن السير ضده فانتظرت طويلاً ولم أجدني أستطيع أن أدخل وذلك أن المسجد أربع طبقات بعضها فوق بعض والا فهو ليس بالغ السعة وهو في منطقة حوانيت وعمارات متعددة الأدوار ويصعب توسعته يميناً ويساراً لذلك وسعوه إلى فوق بزيادة طبقاته فرأيت تاجيل محاولة دخول المسجد والاجتماع بالإمام إلى وقت العصر.



منظر جانبي لمسجد جمعية أهل الحديث في سرنقر

وصليت العصر معهم بالفعل فرأيت المسجد حافلاً بالمصلين وفيه ركن للمعتكفين وتحدثت مع إمامه الشيخ (مولوي محمد نور الدين) وهو في الوقت نفسه عميد الكلية السلفية.

وقد أنست بحديثه وكان أول شخص اتحدث معه بالعربية منذ ان وصلت إلى كشمير ورأيته يجمع نقوداً لشاب قال إنه هندوكي أسلم فطردته أسرته و يريد أن يشتري ملابس له و يعطيه مايكفيه والناس يقبلون على التبرع له بشكل عجيب وكان إلى ذلك يساعد جماعة يجمعون نقوداً لمسجد قال إنه قد تهدم سقفه وهو في أحد القرى وقد جمعوا مبلغاً لابأس به و بخاصة أننا الآن في شهر رمضان موسم العطاء.

تكلم الشيخ محمد نور الدين عن أول بدء امر أهل الحديث فقال: لقد حاربنا الخرفون والمبتدعون من أهل المساجد فتوكلنا على الله و بنينا مسجدنا هذا ثم وسعناه إلى ماتراه ومع ذلك لايتسع إلا لعدد قليل من المصلين كما رأيت.

ثم كان الاتفاق معه على أن أجتمع برئيس الجماعة وأعضائها العاملين في قر الجماعة فيالساعة التاسعة من صباح غد السبت للبحث في المسائل الإسلامية الهامة وللإطلاع على مشروعاتهم ومساجدهم التي تحتاج إلى مساعدة.

مظاهر الاحتفال بالعيد :

اتضحت مظاهر الاحتفال بالعيد على الحوانيت في الأسواق وبعض المحلات بظهور أعداد كبيرة من باعة ثياب الأطفال وبخاصة الملونة منها وإقبال الناس على شرائها واكثرها من النوع الرخيص الذي ينتقل به باعة عربات الايدي وبوضع مصابيح كهربائية صغيرة ملونة على هيئة قلائد ونقود تعلق على بعض الحوانيت والأماكن.

وهناك الشرائط الملونة الخفيفة اخذت ترفرف على محلات أخرى كثيرة ولهم فيها تأنق زائد وأصبح لباعة المكسرات من الجوز واللوز سوق رائجة وكذلك باعة الحلوى الذين كان بعضهم يصنع الحلويات و(الملبس) وأنواعاً أخرى من الحبوب المطبوخة أو المغلية في الشارع ويبيعونها كذلك.

ورأيت للأحذية أيضاً سوقاً رائجة عندهم لهذه المناسبة.

ورأيتهم ألصقوا على عدة محلات وحوانيت لافتات مطبوعة بالاوردية (جمعت وداع ويوم بيت المقدس).

يوم السبت ١ شوال ١٤٠١هـ الموافق ١ أغسطس ١٩٨١م

عيدي وعيدهم :

هذا اليوم هو يوم العيد بالنسبة إليّ ليس ذلك لكون المملكة العربية السعودية قد عيدت هذا اليوم وهي بلادي ولكن لأنني أكملت ثلاثين يوماً من الصيام ولايجوز لي أن أزيد عليها فقد بدأت الصيام في الطائف يوم الخميس ٢ يوليو.

أما هم فإنهم بدأوا الصيام بعدنا بيومين فلم يصوموا الا فى يوم السبت ٤ يوليو لذلك يكون هذا اليوم بالنسبة إليهم التاسع والعشرين من رمضان ولايتوقعون العيد الا

يوم غد الأحد وبعد غد الاثنين.

وبهذه المناسبة سألتهم عن الجهة المسئولة فى الحكومة عن اثبات رؤية هلال رمضان واثبات انتهائه فأجابوا: انه لا توجد أية جهة حكومية أولها صلة بالحكومة تتولى ذلك رغم ان الاكثرية عندهم من المسلمين وان الحكومة تدعي انها تمثل الاغلبية.

وإنما قالوا: إنهم يقولون فى الظاهر انهم يتولون ذلك بأنفسهم وانما الحقيقة انهم جميعًا يعولون على مايكون عليه الأمر فى باكستان فاذا اعلنت الاذاعة الباكستانية ثبوت الصيام صاموا واذا اعلنت رؤية هلال شوال أفطروا.

فى مقر جمعية اهل الحديث:

ذهبت مشياً على الأقدام التمس مقر جمعية اهل الحديث الذى كان إمام الجامع وصفه لى امس فلاحظت وانا أسير فى اسواق البيع والشراء عرضاً زائداً للحم الغنم اكثر من الأيام المعتادة حتى ان باعة عديدين رأيتهم يجلسون على جانبي الطريق ومعهم الفئوس — جمع فأس — والسكاكين الحادة وليس عندهم إلا رءوس الغنم يكسرونها و يقسمونها الى اجزاء صغيرة ثم يبيعونها وزنا إضافة الى الخراف والتيوس الكثيرة المعلقة.

وهذه اللحوم وافرة كثيرة حسبما ظهر لي اذْ لم أر عليها ازدحاماً شديداً.

غير أن شيئاً آخر كان الازدحام عليها ظاهراً بل كان مع الازدحام ضجة مبعثها أن كل واحد او واحدة يريد ان يشتري منه الا وهو (قاز) الوقود السائل فكانت هناك سيارة كبيرة لنقل المحروقات واقفة فى الشارع تبيع على الناس.

وشيء آخر رأيتهم يزدحمون عليه وهو بائع سائل يؤتدم به كالزيت أظنه سمناً أو زيتاً نباتيًا.

ومن الطريف الذى رأيته فى عدة أماكن من اسواق (سرنقر) أن هذا اليوم ويوم أمس كان الجو فيها صحوًا فى سرنقر ولم ينزل فيها مطر فرأيتهم جعلوا عدداً من العمال يحملون على ظهورهم القرب من الجلد مليئة بالماء وهم يرشون بها الأسواق مع ان الغبار لايكاد يوجد لأنها أسواق مسفلتة وانما كانوا يبتغون محاربة الغبار الدقيق او

تلطيف الجو وهذا عجب من أمرهم.

واهتديت إلى مقر جمعية أهل الحديث من بعيد بلافتة كتبوا عليها بالأوردية (جمعية اهلحديث دفتر بربر شاه سرنقر) أي مقر مكتب جمعية أهل الحديث فى بربر شاه من مدينة سرنقر واستقبلني القوم ــ شكرالله لهم ذلك ــ بحفاوة بالغة وقالوا الحق اننا مثلكم نسعى فى نشر العقيدة السلفية ونوحد الله تعالى ولانتعلق بغيره فى العبادة فى هذه البلاد التي تكثر فيها البدع والخرافات.

وقد وجدت عندهم الأخ (عصمة دين بن غلام نبي) وهو من المسلمين الهاربين من التبت ومتخرج من الجامعة الاسلامية هذا العام وكان قد وصل اليها بعد نقل عملي من الجامعة الإسلامية فى المدينة الى الرياض فلم يرني إلا أنه قال انه يعرف عني الكثير بالسماع فرفع من قدري عند القوم ــ جزاه الله خيرًا ــ وماكنت أحب ذلك وإنما أحب أن أقدم لهم شيئاً فى سبيل الله خالصاً من اية مؤثرات.

وكانت جلسة مفيدة مع رئيس الجمعية وامينها العام وطائفة من المسئولين فيها.

بحثنا معهم في هذه الجلسة كيفية التعاون على الخير وبينت لهم أننى أستطيع أن أقدم مساعدة مالية عاجلة للمساجد المحتاجة الى ذلك وانه يمكنهم ان يذهبوا الى السفارة فى دلهي فيأخذوا منها لأنني سوف أتركها لهم فى السفارة.

كما أننى مأمور من الحكومة بواسطة رابطة العالم الاسلامي بأن اطلع على مشروعاتهم الاسلامية وان أقترح المساعدة بما يتضح لي من أمرها.

فشكروا ذلك واعظموه.

ولاسيا أنهم قد اخبروني بأنهم لم يسبق أن تلقوا أية مساعدة من جهات فى المملكة ماعدا ثلاثين دولاراً أمريكيا منذ ثلاث سنوات.

وهذا غريب مرجعه الى ضعف اتصالهم بالمملكة وانهم لم يلتقوا بمن يرشدهم الى الطريق الصحيح لطلب المساعدة وكيفية الاستجابة لها.

وإلا فان المملكة العربية السعودية قد وصلت مساعدتها للاخوة المسلمين الى

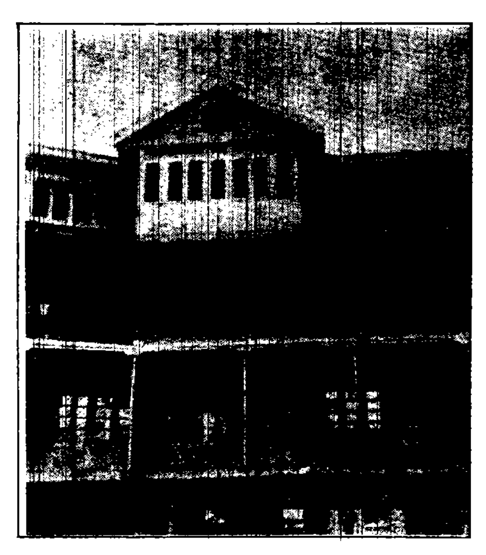
اماكن ذات بعد شديد بل تبعد اكثر من كشمير عن المملكة اضعافا مضاعفة.

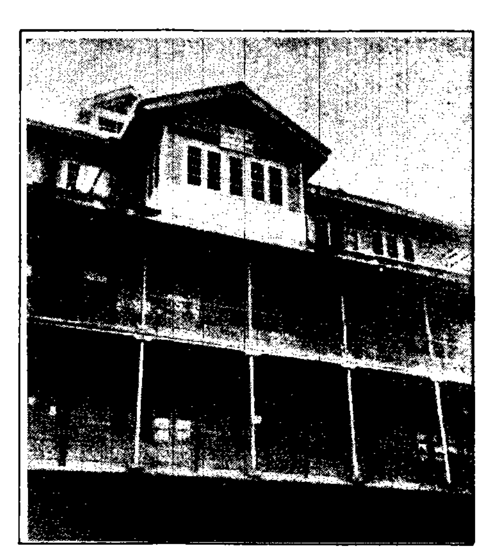
مع أنهم سلفيون ذوو عقيدة صحيحة وسألوني عن موعد سفري الى دلهي؟ فقلت انه يوم غد الأحد؟

فقالوا: ألا تُعَيِّد هنا؟ قلت: قد عيدت اليوم وشرحت لهم أمري فتلطف أحدهم وقال: إذاً نطلب لك شيئاً من الشراب او الأكل الخفيف مادمت مفطرًا؟ فقلت: معاذ الله ان أفعل ذلك جهراً لأنني اخشى ان يعرف به من لايعرف حقيقة الأمر فيظن اننا نحن العرب لانقيم لهذه الفريضة الإسلامية وزنا.

والمهم من سر هذه القولة التافهة بيان ماعليه أهل هذه الجمعية فى كشمير من لطف فى الطباع وظرف فى المعاملة خلاف ماعليه الانطباع السائد عند كثير من الناس من أن أهل الحديث فى بلاد الهند قوم شديدون صارمون لايجاملون ولا يتظرفون.

ولكن هذا بلاشك من الفوارق العديدة بين أهل كشمير وبين بقية أهل الهند. ثم صحبنا القوم فى جولة على اجزاء من مقرهم فأرونا مكتب الجريدة التى يصدرونها وتسمى (جريدة المسلم) وهي اسبوعية بالاوردية.





مبنى الكلية السلفية ورباط الكلية لأهل الحديث

كما شاهدنا فصول الكلية السلفية التى تتبع الجمعية وتقع فى البناء نفسه الذي هو بمثابة المجمع لأعمال الجمعية وهى بناء كبير واسع مؤلف من اربع طبقات فى أسفله الذي يلي الشارع حوانيت تؤجر و ينتفع بريعها للجمعية.

و يشتمل على عدة أشياء منها الكلية والمكتب الرئيسى وما أسموه بالرباط وهو يشتمل على مساكن الطلبة الغرباء ومساكن المدرسين الذين من خارج سرنقر و(مسافرخانة) وهى دار الضيافة التي يقيم فيها المؤيدون للجمعية اذا جاءوا الى العاصمة لغرض مؤقت فيسكنون بأجر مخفض جدًّا ثم فى اعلى البناء قاعة المحاضرات وهى واسعة يبلغ طولها ثلا ثين مترا ومع ذلك قالوا أصبحت الآن ضيقة ولذلك يبنون مثلها وقد اوشكوا على الفراغ منها ولكنها ليس فيها مقاعد وإنما هى الفرش والزرابي المبثوثة.

وكانوا يذكرون حصولهم على هذه الأشياء التى يقولون ان الجمعيات الأخرى لم تستطع ان تحصل على مثلها فهي موضع اعتزاز لهم و يقولون ان كل ماتراه من فضل الله تعالى وقد جمعناه من إخواننا المسلمين المشجعين للجمعية.

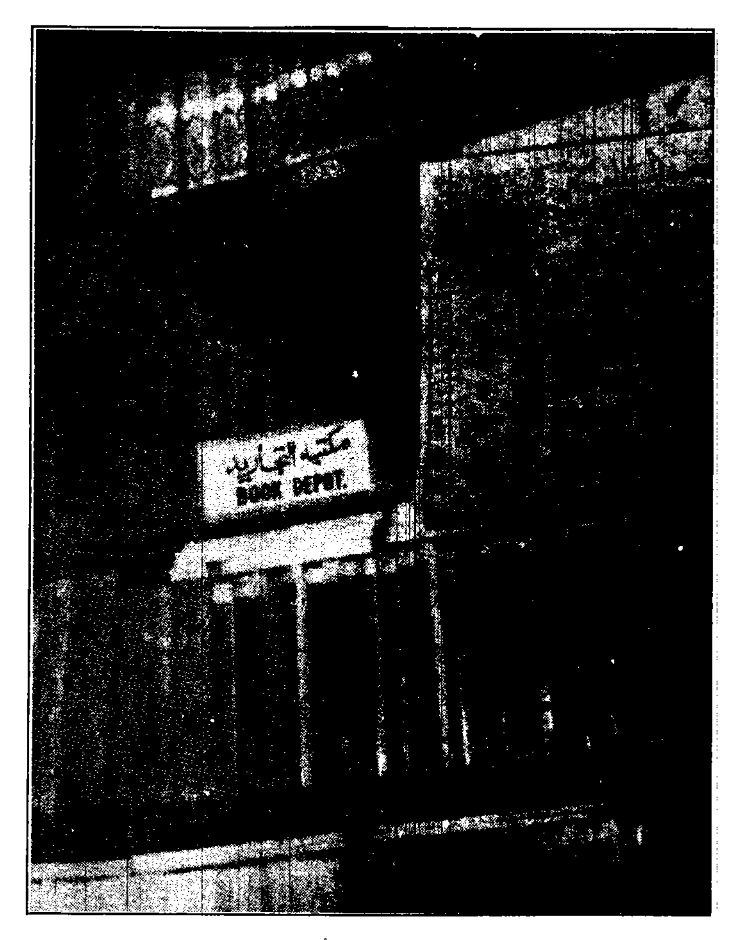
ولما ذكرتهم بما رأيته فى هذه البلاد من بدع وخرافات علقوا على ذلك بارتياح وفخر قائلين: ولكننا نعبد الله وحده لانشرك به شيئاً ولا نفعل من البدع التى احدثت فى الدين مايفعله غيرنا.

فقلت لهم: إن هذا من فضل الله عليكم حقاً ولكن هذا لايكفي بل يجب عليكم إرشاد إخوانكم ومواطنيكم إلى العقيدة السلفية الصحيحة عسى الله ان يهدى بكم ضالاً و يرشد بكم حيران أو يقيم بكم حجة على عارف معاند.

فانبروا يؤكدون ذلك و يقولون إن قسم التبليغ يقوم بذلك وها هو المشرف عليه فلان.

ولم نشاهد طلبة (الكلية السلفية) لأنهم فى إجازة رمضان والعيد غير ان مستوى الدراسة فيها هو ابتدائي وثانوي وليس عالياً وانما أسموها كلية جريا على العادة المتبعة فى الهند فى تسمية المدارس الثانوية كليات عند أغلب الناس.

وفى هذه المدرسة قسم مسائي أسموه (مدرسة شبان المسلمين) يقولون ان طائفة من الشبان يأتون فى المساء لتعلم العلوم الإسلامية والعقيدة السلفية ممن لا تمكنهم ظروفهم من الانضمام الى الدراسة الصباحية.



منظر من المكتبة السلفية التجارية لجمعية أهل الحديث بربر شاه، سرى نغر

ثم انتقلنا الى مكتبة تابعة للجمعية فى احد الحوانيت على الشارع وهى تبيع الكتب الإسلامية السلفية بأسعار مخفضة وقد وجدت عندهم طائفة منها من ذلك ترجمة الشيخ محمد بن عبدالوهاب لابن حجر منقولاً للأوردية.

فهم إذاً يقومون بمثل مانقوم به من نشر الكتب التى تقوم على تنقية العقيدة مما يعلق بها من شوائب الشرك والبدع. وذلك أمر لازم بل ضروري فى هذه البلاد

الكشميرية التى تنتشر فيها البدع والخرافات فى الوقت الحاضر، وبخاصة مايتعلق من ذلك بالقبور والمقبورين فيها كما تقدم ذكر شواهد عديدة على هذا الأمر.

جولة مع أهل الحديث:

خرجنا في جولة مع خمسة من إخواننا اهل الحديث منهم رئيس الجمعية والشيخ محمد نور الدين وهو أهمهم بالنسبة إليّ فهو يتحدث العربية جيداً و يشرح ما اطلب منه شرحه بالتفصيل وكان معهم الأخ (عصمة دين) المتخرج من الجامعة الاسلامية ومبعوث من دار الافتاء للعمل مع الجمعية فى شئون الدعوة.

ومررنا أولاً على حديقة مسورة واسعة والحدائق فى مدينة سرنقر كثيرة ومتنوعة وتسمى هذه (اقبال بارك) أي حديقة إقبال.

وقال الإخوان: إن الحكومة قد منحتنا رخصة إقامة صلاة العيدين فى هذه الحديقة وقالوا: ذلك بأن مصلى العيد في حي (ايدقاه) بعيد جدًّا ثم إن الصلاة فيه تكون فى الحادية عشرة ضحى ونحن نصلي قبل التاسعة.

وكان الحديث يدور حول نشاطهم وحول شئون كثيرة من شئون هذه البلاد ومما ذكروه قولهم بأن لهم حوالي مائتي مسجد فى أنحاء البلاد وكون المسجد لهم هو أمر ذو مغزى مهم لأن معناه الا تكون فى المسجد بدعة كأن يكون مبنيًّا على قبر أو نحو ذلك.

إلى أرض الكلية السلفية:

خرجنا من مدينة سرنقر إلى مكان أرونا إياه وكانوا ذكروا لي أنه أرض مخصصة للكلية السلفية وانها قد أوقفت على ذلك من قبل جماعة من اهل الخير سكان المنطقة لأن فيهم عدداً من أهل الحديث يريدون بذلك السلفيين ــ فلما وصلتها لم أجدها أرضا وإنما هى غابة ملتفة الأشجار واكثرها من أشجار الاخشاب وتربتها ندية قد رويت من مياه الامطار وقد اخبروني انها مئة وثلاثة وثلاثون الف قدم مربع تقريباً.

فهي واسعة وهى وسط مناسب للدراسة.

وقالوا: ان مهمتهم الأولى هي تسويرها ثم البدء في بناء الكلية.

ولما سمعت اسمها لم استغرب التفاف الأشجار فيها فهى في حي يسمى (باغ برزلا) وباغ معناها بالأوردية التي اخذتها من الفارسية (البستان) فهي اذاً فى بستان برزلا وتبعد خمسة أكيال عن وسط العاصمة ولكنها واقعة فى طريق المطار حيث المواصلات متيسرة ويذكران عدة أحياء فى مدينة سرنقر تسمى بأسماء بساتين مثل (جوقجي باغ).

إلى الريف الكشميري كرة أخرى:

خرجنا من هذا المكان متجهين مع طريق يؤدي الى المطار ثم تركناه ذاهبين الى اليمين فى ريف كشميري معتاد فمررنا بقرية اسمها (باد قام) قالوا: ان سكان هذه القرية هم من الشيعة وقام: معناها بلدة أو مكان كما تقدم ذكره.

القرية القبيحة:

ومن ذلك أيضا اسم قرية وصلنا اليها بعد (بادقام) ولم نقف بها كما لم نقف بالتي قبلها واسمها (باج قام) وقد ترجموا لنا معنى ذلك بأنها القرية القبيحة أو البلدة القبيحة لان باج معناها: قبيح بالكشميري.

وقال مرافقونا: إنها أيضا من قرى الشيعة.

القريــــة الكبيـــــرة :

ومن ذلك قرية اسمها (بنى قام) بمعنى القرية الكبيرة تبعد ١٧ كيلاً من ضواحي مدينة سرنقر فيها مكتب لجمعية أهل الحديث.

وفي هذه القرية أشجار ضخمة من أشجار الجوز واللوز وهى كلها كأنما هى فى غوطة دمشق بل هي أكثر نضارة وأقوى أشجاراً.

كما تكثر فى كشمير الأشجار التي تنتج النُّقل ومن ذلك (عين الجمل) أو القعقع كما يسمى في بعض البلدان العربية الذي يباع الكيلو الواحد منه عند العطارين بالتفريق بثماني روبيات أي ثلاثة ريالات سعودية ونصف وهذا رخص غير معقول فى غير هذه البلاد الخصبة.

ولمناسبة الخصب ولانني لاحظت في هذا الموضع كما في غيره كثرة الدواجن من طيور الأكل وبخاصة البط سألتهم عن ثمن البطة المتوسطة الحجم مع ان بطهم كثير؟ فأجابوا: انه ثماني روبيات وهذا رخيص غير أن الدجاج ليس كذلك إذْ يبيعونه بالكيلو وليس بالواحدة بثماني عشرة روبية ودجاجهم كبير فالواحدة منه تساوي اكثر من عشرين روبية وهذا غالٍ لأن هذا المبلغ يعادل كيلين اثنين من لحم البقر أو كيلاً واحدًا من لحم الغنم.

في قرية أجكـــوت :

وهي هدفنا الأخير من هذه النقلة القصيرة التي لولا ضيق الوقت وظروف السفر لطالت إلى ابعد من ذلك لأن اخواني يريدون مني ذلك وأنا أريده مثلهم.

أول مادخلت القرية عرفت أنني في قرية كشميرية صميمة فالوجوه صبيحة والنفوس سمحة ومع ذلك حدثنا الشيخ محمد نور الدين عن أشياء من الخصام وذلك عندما مررنا بمسجد للقرية قديم قال الشيخ إنه للمبتدعين لأنه مقام على قبر يقصد للزيارة والتبرك وانهم تنازعوا مع أهل الحديث فبنوا مسجداً في عام ١٣٩٦هـ الاّ أن الثلج كان ثقيلاً على سطحه في هذا العام فاختل فبادروا لجمع التبرعات لإصلاحه وانتهزوا الفرصة لاجراء اصلاحات أخرى فيه.

استقبلنا عند المسجد إمامه (أحمد يحيى) فطاف بنا في المسجد ولم يكن بحاجة إلى ذلك لأن حسن مظهره وجمال طلائه ونوافذه بل روعة ذلك كله يبدو للعيان على البعد

وله أرض لابأس بسعتها رأيت في أطرافها أكوماً من حجارة كروية ملساء قالوا إنهم أعدوها لتسوير هذه الأرض فعجبت من استطاعتهم البناء بها مع أنها كروية وشبه كروية ملساء ليس لها قاعدة فقالوا: ان الناس يستعملونها هنا لأنهم يجدونها هكذا فلا تحتاج إلى تعب في قلعها من الجبل ثم قطعها بعد ذلك.

وقالوا: انهم يسعون لتأسيس مدرسة إسلامية تكون تابعة للمسجد ويرجون المساعدة على ذلك وكان مسك الختام لزيارة هذه القرية والسلام على أهلها أن

أحضر إمام المسجد الشيخ محمد يحيى شيئاً يحمله احد الرجال وأشياء إلى حقيبة السيارة فنثره فيها فإذا هو لوز أخضر غض لذيذ وقال هو يشير إلى ناحية من الأشجار إنه من بستاني الخاص هذا هدية لكم.

وعدنا من (اجكوت) إلى سرنقر وكانت المسافة بينهما خمسة وعشرين كيلو متراً. وفي طريق العودة وقفنا عند بستان ومزرعة قد ملئت بالخضرة النافعة فأشار القوم إليها وقالوا هذه لرجل من إخواننا المسلمين الذين هاجروا إلى باكستان استولت عليها الحكومة وإننا طلبناها من الحكومة لنجعلها لمشروعاتنا فلم توافق على إعطائنا إياها بالمجان وإنما قالت: انها ستبيعها لها بثمن مناسب غير ان الأرض في هذه المنطقة غالية لايتيسر لنا دفع ثمنها الآن.

في محلة التبتين المسلمين :

عندما اجتاحت الحكومة الصينية الشيوعية بلاد التبت مسقطة نظام (الدالاي لاما) الذي وإن كان بوذياً فإنه على علاقة طيبة بالأقلية الإسلامية في بلاده فكانت كما أخبرونا تعيش عيشة آمنة مطمئنة مكفولة الحقوق وجد كثير من المسلمين مثل ما وجد مواطنوهم البوذيون أنهم لايستطيعون العيش بحرية تحت نظام الحكم الشيوعي القائم على البطش والإكراه فهاجر بعضهم إلى الهند وكانت منهم طائفة هاجرت إلى هذه البلاد كشمير.

وقد غادروا بلادهم من دون ان يحضروا معهم أي شئ كما يفعل أكثر اللاجئين غير ان بلاد كشمير ذات الطبيعة الودية الحنون جعلت الحكومة الكشميرية بدلاً من ان تكرههم او تسيئ اليهم تسكنهم في عمارات حكومية ثلاث فيها أكثر من مئة وخمسين غرفةلأنها على شكل مجمعات سكنية وقد أعطت لكل أسرة غرفة واحدة.

وقالوا: من استطاع منكم ان يعمل أو يحصل عل دخل فليحسن وضعه والا فان هذه كافية لكم لمدة عشرين سنة واعطتهم بذلك منحة مكتوبة بأنهم سيسكنون فيها لمدة عشرين سنة مجاناً.

وعندما قاربت العشرون سنة على الانتهاء وقد مضى عليها تسع عشرة سنة أعطتهم

الحكومة أرضاً فسيحة جيدة بالمجان وقالت من أراد أن يبني فليفعل.

فقصدت زيارتهم في بيوتهم هذه بصحبة أحد ابنائهم المتخرجين من الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة وهو الشيخ (عصمة دين غلام بني) وذلك للاطلاع على المسجد المؤقت الذي اقاموه هناك و يصلون فيه الآن وعلى مدرسة ابتدائية إسلامية لهم.

وجدت المسجد المؤقت حوشاً من حاجز قصير من الأخشاب المعترضة غير المتلاصقة ليس له سقف وإنما سقفه الأشجار وليس فيه بناء مقام إلا محراب جميل وخزان معدني صغير للمياه يملأ من مضخة صغيرة تدار باليد وقد كتبوا على باب المسجد بالعربية كلمة (مسجد) والدعاء (اللهم افتح لي ابواب رحمتك) والآية الكريمة **(إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر).**

وقالوا: إنهم فى أوقات المطر والثلج الشديد يصلون فى مسجد فى داخل العمارة كان ثلاث غرف فازالوا مابينها من الحواجز وفرشوها بفرش من السجاد الصغير كانوا قد احضروها معهم على ظهورهم من التبت فآثروا بها المسجد.

وهذا المسجد المؤقت المكشوف الذي هو فى الحقيقة يقع فى جانب ارض من مصلى العيد فى حى (عيدقاه) الذي يبلغ بعده كيلات من قلب سرنقر بجانبه المنازل المؤقتة لهم.

ورأيت فى المسجد خيمة لأحد المعتكفين لمناسبة العشر الأواخر من رمضان واسمه (عبدالرحمن فيض الله).

ومع أن المسجد مؤقت وغير مسقوف فانه مفروش بفراش لابأس به، يصلون عليه و يدرس بعض مشايخهم أطفالهم فيه.

وأرضه أرض اوقاف عامة لانها تابعة لمصلى العيد كما سبق.

ومن طريف مافيه من ناحية اللفظ وإن كان معناه غير طريف ماكتبوه على محلات فى جانب هذا المسجد المكشوف بالاوردية المأخوذة فى الاصل من العربية

(استنجا خانه) ثم انتقلنا الى مكتب (الجمعية الاسلامية لمسلمي التبت) و يقع فى غرفة جيدة من هذه المباني التى منحتها الحكومة لهم وقال ان مهمة الجمعية على وجه الاختصار هي اصلاح حال المسلمين ومن ذلك تجهيز الميت ومساعدة الفقير.

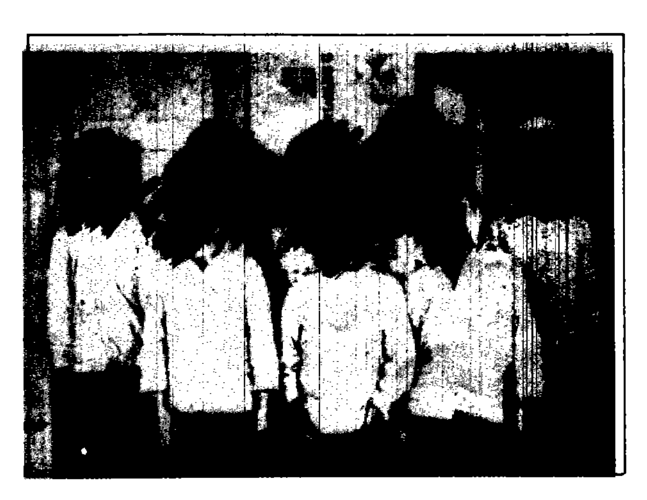
وقابلنا رئيس الجمعية واسمه (حميد الله صديق)

وكان من الحديث فى ذلك المكان عما يتعلق بإخواننا المسلمين هؤلاء ان عددهم عندما جاءوا كان (١٤٠) أسرة وقد ذاد عدد أفراد الأسر الآن بطبيعة الحال لأنه قد مضى عليهم تسع عشرة سنة وأنهم لايزيدون من الخارج بمعنى انه لايستطيع أحد من المسلمين الآن أن يغادر التبت لأن الضغط الشيوعي شديد.

ومن هنالك ذهبنا سيراً على الأقدام الى مقر المدرسة الاسلامية التبتية وهي ابتدائية المستوى فيها حسب قولهم ١٦٠ طالبًا وثمانية مدرسين وان نفقة المدرسة هى من الزكاة ومن التبرعات الأخرى والموضوعات التى تدرس فيها هي موضوعات إسلامية مع تدريس اللغة الانجليزية والأوردية وهى فى بناء ضيق من الطين والأخشاب و بعض أركانه من الآجر وغرفه ضيقة جدًّا ومع ذلك يدفعون له أجرة شهرية قدرها (٤٥٠) روبية أي حوالي مئة وثمانين ريالاً.

إضافة الى مايدفعونه من أجر للمدرسين وغير ذلك من المصاريف.

وقد أخبرونا أنهم كانوا قد اضطروا في وقت من الأوقات إلى إغلاق المدرسة بسبب العجز عن النفقة فجاءهم رجل مسيحي سويسري فأعطاهم نقوداً على هيئة مساعدة للمدرسة وطلب اليهم اعادة فتحها كما اعطاهم اطعمة وملابس.


بعض التلاميذ من أبناء اللاجئين التبتيين المسلمين

قالوا: فعجبنا من أمره واقترح بعضنا ألا يقبل المساعدة منه لئلا يكون له غرض آخر من ورائها قالوا: وفى عام لاحق جاء أيضا ومهمته فيما يقول مساعدة اللاجئين مساعدة إنسانية فاعطاهم نقوداً للمدرسة ولكنه طلب منهم تغيير برامجها بحيث لا تكون برامج إسلامية خالصة.

قالوا: فأخذنا النقود ولم نغير البرنامج غير ان بعض الناس اخذوا يشعرون له بالامتنان وهو أمر يخشون ان يؤثر على مقاومتهم لتغيير البرنامج.

وقد حذرتهم من التساهل فى تغيير البرنامج من اجل مساعدة مادية وقد يعوضهم الله عنها لأن ذلك يتناقض مع الغرض الذي من أجله أسست المدرسة وأخبرتهم أننى أسعى فى إرسال معونة عاجلة لهم لهذا الغرض.

وبعد ذلك عدنا مشياً الى المسجد المؤقت حيث أدينا صلاة العصر معهم وحضرها منهم جمع لم اكن أظن انه يوجد فى هذه العمارات من يبلغون هذا العدد.

جسـر الصفـا:

بعد المسجد ذهبنا نتمشى على ارجلنا فى حي ملاصق لحي (عيد قاه) الذى فيه القوم ويسمى (صفا قدل) فكلمة صفا هى الصفاء: ضد الكدر العربية دخلت فى الاوردية و(قدل) كلمة كشميرية معناها جِسْر فهذا الحي اسمه (جسر الصفا) إذاً. وأصل التسمية لجسر على فرع من نهر هناك ولكن الحي الذي نشأ بقربها سمي باسمها ولاحظت كثرة اللحم المعروض بشكل ظاهر للبيع وكله من لحم الغنم وكثرة المشترين منه [illegible] ونحن الآن قر[illegible] من وقت الغروب ان هناك عدداً من القدور التى [illegible]بخ فيها اللحو[illegible] استعداداً لبيعها فيما يظهر.

وقد اخبرني أصحابي فيما بعد ان كثرة هذه اللحوم هي لمناسبة العيد وأن الناس يتوقعون ان يكون يوم غد هو يوم العيد وقد اعتادوا على شراء اللحم وطبخ الادام قبل العيد بيوم وألا يطبخوه في يوم العيد.

ولاحظت في سوق هذا الحي عدداً من الحوانيت التي فيها فتيات ونساء من ذوات الوجوه الجميلة من بنات المسلمين وهن يبعن مافى حوانيتهن من بضائع وهو أمر

لم أره فى العاصمة سرنقر بهذه الكثرة.

وأستأجرنا عربة ركشا من ذوات المحرك توصلنا إلى الفندق بثلاث روبيات مع أن المسافة عشرة كيلات وقال الأخ الشيخ (عصمة دين)إنه فى العادة يركب حافلة تقف عند بيوتهم إلى الفندق بحوالي نصف روبية وان أجرة المواصلات بالحافلات على وجه العموم رخيصة وهي مريحة وغير مزدحمة.

فتذكرت الحافلات فى شوارع القاهرة بهذه المناسبة ذكراً تستحقه.

يوم الأحد ٢ شوال ١٤٠١هـ ٢ اغسطس ١٩٨١م
عيد كشمير:

لعل من أول الفروق بين صباح العيد فى كشمير وصباح العيد عندنا حسبما شاهدته أن الناس ليس من عادتهم الصلاة مبكرين وإنما يصلون ضحى لذلك توجد فى الشوارع سيارات وعربات وناس متجولون وان كانت الحوانيت والمتاجر والإدارات معطلة.. وهذا ماسبب لي مضايقة إذْ كان صاحب فندق جهانقير ومالكه واسمه (نور محمد) قد أخبرني أنه سيؤدي فريضة الحج هذا العام مع والدته وأن الحكومة الهندية لاتعطي المحتاج من العملة الاجنبية الا مبلغا لايكفيه وأمثاله وطلب منى ريالات سعودية فوافقت على ذلك ولكنه عندما أردت الخروج من الفندق الى المطار فى الساعة التاسعة والنصف من هذا الصباح لم يكن فى الفندق وليس فى بيته هاتف يستدل به عليه.

ولم يكن الفندق بمرخص له ان يشتري شيكات سياحية بالدولار الأمريكي ولايوجد من يعرفها فأحرجت من ذلك.

غير ان موظف الاستقبال اعطانى عنوان محل تجاري وقال: قد تجده مفتوحا فركبت عربة ركشا بأجرة غالية لان اليوم هو يوم العيد وانطلقت اليه فلاحظت كثرة المتوجهين إلى صلاة العيد من رجال ونساء ومعهم أطفالهم وقد أخذ الاطفال زينتهم من ملابس جديدة وأحذية اما الكبار فلم أرهم يتزينون للعيد بثياب جديدة ظاهرة ولم أجد صاحبي ولكن كان قد حضر مدير الفندق فحل الاشكال.

صح النوم يامباحث:

سارعت إلى ركوب سيارة أجرة إلى المطار فوصلته في الموعد المحدد ولما قطع مكتب الترحيل إلى دلهي تذكرتي ووقفت في طابور امام موظف التفتيش من اجل الأمن في الطائرة اقترب مني رجل أبيض كشميرى يلبس ملابس مدنية فسألني: أأنت قادم من فندق جهانقير؟

فأجبت: نعم، فقال: ومن الذي جاء معك إلى هنا؟ فقلت: لقد ركبت سيارة أجرة وكنت أظن أن له صلة ببعض الأصدقاء الكشميريين الذين تعرفت عليهم وعرض علىّ بعضهم ان يوصلني إلى المطار فامتنعت عن ذلك وقلت في نفسي: ربما يكون بعضهم قد أوعز إلى هذا الشخص من باب المجاملة أن يطمئن على سفري.

غير أن الشخص تقدم إلى الموظف الذي يفتش الحقائب وقال: هذا دبلوماسي: فلم يبال هذا بكلامه بل ربما زاده ذلك تحريضاً اذ فتش حقيبتي بعناية ولما عثر على الجواز أخذه هذا يطلع عليه وقال:

هل سجلت جوازك عندما دخلت إلى كشمير؟

فقلت له: لا، فقال: العادة ان كل الاجانب وبخاصة الدبلوماسيين يسجلون جوازاتهم عند الدخول.

فقلت: لم يطلب أحد مني ذلك.

فقال: الحقيقة ان الذي لفت نظرى اننى رأيت اسمك في الخروج ولم أره مسجلا في الدخول وكنا قد وصلنا في هذه الأثناء إلى رجل مباحث (سيخي) من طائفة السيخ وهو يفتش الأبدان فقال له الرجل: انه دبلوماسي فاطلع على جوازي وقال: في اية سفارة أو قنصلية تعمل؟

قلت: أعمل في بلادي فقال: إذاً في وزارة الخارجية؟ فسكت فلم يفتشني واستمر (المباحثي) معي حتى جلست في قاعة المسافرين فجلس معي.

وقال: هل معك أحد؟

فقلت: لا، فقال: والشيخ علي المختار؟

فدهشت من معرفته له وعرفت أنه قد اطلع على اسمي وزميلي الشيخ على مختار ولكنهم لم يكونوا قد فطنوا لوصولي الاّ في آخر لحظة ربما أمس من موظف الفندق الذي حجز لي واخبرهم انني (دبلوماسي) سعودي ولكنني تمالكت نفسي وقلت: ليس معي أحد.

فقال: أتعرفه؟ فقلت: نعم؛ فقال: أين يعمل؟ قلت: فى رابطة العالم الإسلامي.

قال: ليس فى وزارة الخارجية؟ فقلت: لا.

كان الرجل يتكلم بأدب عرفته من الكشميريين الأصلاء رغم مهنته مما جعلنى أسأله: ماهو عملك؟ فأجاب: أنا أعمل فى المطار ولكنني لست أعمل فى الجوازات وانما عملي يتعلق بمعرفة الدبلوماسيين ولابد لكل قادم الى كشمير من الاجانب أن يسجل اسمه وجوازه فى المطار.

ثم عاد يسألني: أين الشيخ على مختار الآن؟

فقلت له: آخر عهدي به انه فى اندونيسيا.

وهنا استأذن وانصرف.

فاستعدت في ذهني مامر بي في المرة الماضية من التدقيق عند دخول كشمير وماهو أعظم من القدوم الى دولة اجنبية أما فى هذه المرة فقد كنت قدمت على طائرة كبيرة من طراز (ايرباص) فرأيت موظفة عليها لباس خاص تستعرض ركاب الطائرة ونحن فى الجو بعد قيام الطائرة من دلهي وقبل الوصول الى سرنقر وتجمع جوازات الأجانب منهم معها حتى ملأت حقيبة من تلك الجوازات واكثرها للأوربيين.

أما انا فانها لم تسألني عن أي شيء فضلاً عن أن نأخذ جوازي ربما للباس الذي لم يكن عربيًّا أو لغير ذلك.

ودخلت مطار سرنقر وحملت أمتعتي وركبت سيارة أجرة دون أن يعترضني أحد أو يشعر بأنني أجنبي.

وكان هذا من التوفيق الذي مكننى من اداء مهمتي على الوجه الذي أردته.

وفي الساعة الحادية عشرة والنصف كانت الطائرة من طراز بوينج ٧٣٧ تغادر سرنقر إلى دلهي ولم يقدموا فى الطائرة شيئاً الا قرصين صغيرين من البسكويت ملفوفين فى ورقة كأنهما علبة الكبريت ونصف كأس من عصير فاكهة متغير الطعم لم أشربه كما لم يشرب منه جيرانى من الأوربيين فى الطائرة رغم ان الوقت وقت غداء.

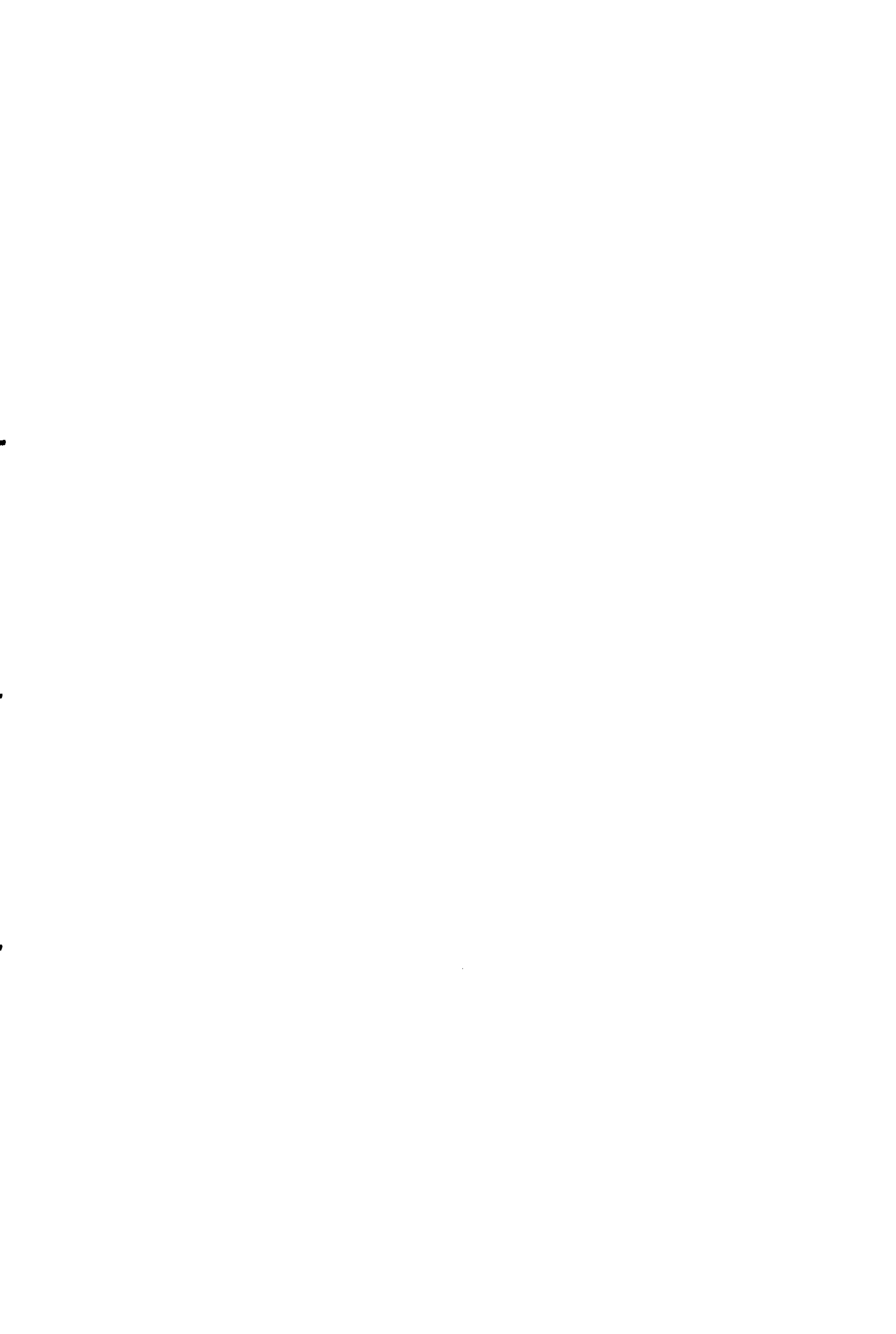
وفي مطار دلهي كان هناك ثلاثة من الضباط (يضبطون) الأجانب و يطلعون على جوازاتهم و يسجلون المعلومات عنهم وكنت منهم. فأخبرتهم أنني سأظل يوماً واحداً في دلهي أغادرها بعد ذلك.

واجتمعت بعد ذلك بزميلي الشيخ علي بن محمد مختار وبحثنا ما أردنا بحثه ثم عقدنا اجتماعاً مطولاً مع سفير المملكة في الهند الشيخ صالح بن عبدالله الصقير وكان لي صديقاً وسلمنا المبالغ المالية التي قررنا مساعدة المؤسسات الإسلامية بها وهي التي رأيتها واقتنعنا من جدواها وأردنا ان يكون تسليمها لهم بواسطة السفارة حتى تتابع كيفية التصرف بها.

وهى مبالغ مالية قيمة مخصصة للمشروعات الثقافية الإسلامية دون الأمور السياسية والحربية التي لانتدخل فيها وإنما يتلخص هدفنا في رفع المستوى الثقافي والفهم الديني لدى المسلمين.
و بعد ذلك بيوم واحد غادرت دلهي عائداً إلى الرياض.

* * *

بعد السياحة



كنا قلمنا (بين يدي السياحة) شيئاً من المعلومات عن كشمير ودخول الاسلام اليها.

ونضع الآن بين يدي القارئ الكريم شيئاً عن العمل الإسلامي والأعمال المناهضة للإسلام فى كشمير.

الجمعيات الإسلامية فى كشمير

نذكر هنا بعض الجمعيات والهيئات والمؤسسات التى تعمل فى الحقل الإسلامي فى كشمير وذلك من باب التعريف وان كان من الطبيعي القول بأن نشاط هذه الجمعيات أو بعضها مثل نشاط سائر الجمعيات في العالم قد يتقلص بل قد يضمحل و بعضها قد ينشط و يزداد.

لذلك لاينبغي الاعتماد على ماذكرناه في تقدير حال الجمعيات.

الجماعة الاسلامية لجامو وكشمير :

بعد ١٩٤٧م أنشأ بعض المتعاطفين مع الحركة الإسلامية الجماعة الإسلامية للولاية وهذه الجماعة مستقلة عن الجماعة الإسلامية في الهند والجماعة الإسلامية في باكستان استقلالاً تامًا. ولهذه الجماعة سجل طيب من نشاطاتها المتمثلة في القاء المحاضرات عن الإسلام والتعليم في المدارس وقد أصدرت مجلة خاصة بها و بالرغم من أن عدد أعضائها قليل الاّ أن المتعاطفين معها يزدادون باستمرار.. وقد فتحت الجماعة سلسلة من المدارس ولوحظ تغيير جيد إلى الاحسن في مدارس الجماعة حيث ركزت اهتمامها على المقررات الدراسية الدينية إلي جانب تعليم اللغة الإنجليزية والعلوم.

وقد عانت الجماعة منذ بدايتها من محاولات القمع على أيدى مختلف الأنظمة السياسية في الولاية ومن المعروف جيدًا أن كبار المسئولين عن الجماعة قدموا تضحيات شخصية كبيرة في اداء رسالة الإسلام والعمل على التضامن الإسلامي.

فقد قاموا بتنظيم مدارسهم وإدارتها غير مبالين بعقبات الطريق في جميع انحاء الوادى وأيضا في المناطق ذات الأغلبية المسلمة في (جامو) التي هي جزء من ولاية (جامو وكشمير).

وأثناء حالة الطوارئ أصبحت الجماعة محظورة مثل الجماعة الإسلامية لعموم الهند. فحرم ١٣,٠٠٠ تلميذ من التعليم الديني الذي كانوا يتلقونه فى مدارس الجماعة وأصبح ٧٠٠ مدرس عاطلين. وكان من الممكن للشيخ عبدالله رئيس حكومة جامو وكشمير السابق ان يستثني الجماعة الإسلامية لكشمير من الحظر المفروض على الجماعة الإسلامية لعموم الهند ولكنه على العكس من ذلك ساعد الحكومة المركزية في فرض الحظر على الجماعة لأنه وجد في ذلك فرصة للانتقام من مسئولي الجماعة الذين كانوا قد خاضوا الانتخابات ضده وهو أمر لم يعجب الشيخ/ عبدالله.

ومهما كان من أوجه النقص في مدارس الجماعة في وادى كشمير إلاّ أنه لاشك في أن هذه المدارس قد تركت أثرًا محمودًا على سيرة وسلوك الأولاد والبنات. وليس ذلك إلاّ بسبب المقررات الدراسية لهذه المدارس وإخلاص المدرسين و يتوقع أن يتناقص عدد مدارس الجماعة نظرا للظروف المالية الصعبة وغيرها من الأسباب.

كما أن هذه المدارس في حاجة الى كثير من الأدوات والتجهيزات اللازمة. وسيكون من سوء حظ مسلمي كشمير اذا فشلت الجماعة في استعادة ما كانت تمتاز به مدارسها من الروح الإسلامية والنشاط الديني. ولكن أهل الرأى من المتحمسين للإسلام يرون أن الشرط الأساسي لنجاح الجماعة في تحقيق هذا الهدف هو أن تبتعد عن السياسة التي بدأت المشاركة الفعلية فيها منذ عام ١٩٧١م وكانت تنادي باستفتاء الشعب الكشميري حول مايرغب ان يكون عليه مصيره فى الانضمام الى الهند او باكستان او الاستقلال عنهما ولقد نجحت فى الحصول على خمسة مقاعد فى البرلمان السابق ثم تقلص هذا العدد الى مقعد واحد فى البرلمان الذي بعده.

ومن ذلك ماجرى للمراكز الاسلامية التى تتبع الجماعة حيث جرى احراقها من قبل الأحزاب السياسية من الكشميريين انفسهم وليس من الهنادكة المتعصبين كما تزعم الأخبار والتقارير الا أنه قد يكون للهنادكة ضلع في التحريض على مثل هذه

الاحداث ولكن الحقيقة ان المسلمين الكشميريين الذين لابصيرة لهم بأمور الدين يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدى غير المؤمنين فلا حول ولاقوه الا بالله.

وهذه جمل موجزة عن تاريخ الجماعة الاسلامية فى كشمير حسبما قدمته الجماعة لنا ممثلة في رئيسها الحاج حافظ (سعدالدين) عند زيارتى لكشمير بعنوان: **(فكرة مختصرة لإيضاح نشاط الجماعة الاسلامية جامو وكشمير مع موجز لتاريخ الجمعية)**

* * *

تاريخ الجماعة:

أصبحت الجماعة الإسلامية جامو وكشمير ذات شخصية مستقلة ومتميزة منذ أن تم تقسيم شبه القارة الهندية إلى «الهند وباكستان» حيث لم يكن لها كيان خاص بها ومستقل قبل التقسيم، بل كانت الجماعة ضمن الجمعية أو المنظمة الهندية «الجماعة الإسلامية في الهند» وبعد التقسيم ولكون كشمير كانت منطقة لايزال النزاع قائماً حولها وكان الخلاف بشأنها لم تتم تسويته بعد، رُئى أن من الأفضل أن تبقى الجماعة فى كشمير غير منتمية الى أحد القسمين واعتبر ذلك هو الحل الأنسب فى هذه الحالة وألا تتبع أحد القسمين في الهند وباكستان.

ومن هنا ظهر إلى الوجود مايعرف «بالجماعة الإسلامية جامو وكشمير» وأصبحت ذاكيان خاص ومستقل. وأصبح لهذه الجماعة الإسلامية أمير خاص بها بالإضافة إلى المجلس الاستشاري «هيئة الشورى» ولها أعضاؤها الأساسيون الذين يبلغ عددهم الألف ومنهم تتكون الجماعة وهم دعامتها الفاعلة.

هذا بالإضافة إلى عددٍ غير محدود من المتعاطفين مع الجماعة وفكرها والموالين لها فى سائر أرجاء الإقليم وتوجد أكثر من خمس مئه وحدة أساسية تعمل ضمن نطاق الجماعة الرئيسية المركزية وتحت إمرتها ولها نظامها الخاص بها الذي يخضع للمناطق التى تقع هذه الوحدات ضمن حدودها، ولايزال العمل يجرى فى هذه الوحدات حيث تقوم بنشاطها وتلقى التشجيع والتأييد من الجماعة المركزية ويمتد ذلك إلى مناطق متعددة.

أهداف الجماعة وغاياتها: قامت الجماعة الإسلامية في (جامو وكشمير) وهذا اسمها الرسمي لأنه الاسم الرسمى للولاية اساساً لنشر الإسلام فأخذت الجماعة على عاتقها مهمة تبليغ الاسلام والتعريف به فى صورته المشرقة التى لا يعتريها شيء من الشوائب وذلك على مستوى الناشئة فضلاً عن الكبار والبالغين فى المنطقة وتقوم الجماعة بشرح الإسلام وتعريف غير المسلمين به إضافة إلى تربية ناشئة المسلمين عليه.

وفي مهمة الجماعة لنشر الإسلام وتبليغه للناس لا تنظر الجماعة إلى عقيدة المدعوين أو طبقتهم الإجتماعية التى ينتمون إليها ولا تعبأ بفوارق الجنس واللون ولا تلقى لها بالاً، بل مهمتها عرض الإسلام الصحيح وإبلاغه لكل الناس مهما كانت معتقداتهم او أجناسهم أو الطبقة الاجتماعية التى ينتمون إليها.

وسائل وسبل العمل:

قامت الجماعة بإنشاء الأقسام والإدارات التالية لتتمكن من اداء عملها وصولاً الى غاياتها المنشودة في تعليم الناشئة من أطفال المسلمين فى مدارس يدرسون فيها المعارف والعلوم العصرية الحديثة بالإضافة إلى العلوم الإسلامية على أيدى المتخصصين من المدرسين الذين يتم اعدادهم لهذا الغرض.

وقدارتفع عدد هذه المدارس إلى ١٢٥ مدرسة قبل عام ١٩٧٥م حيث تم حظر نشاط الجماعة الإسلامية ومصادرة أعمالها وتحريمها بالإضافة إلى إغلاق هذه المدارس.

وكان عدد الطلاب فى ذلك الوقت حسب بيان الجماعة وسجلاتها حوالي ١٧,٠٠٠ «سبعة عشر ألف طالب».

ثم بعد رفع الحظر وعودة الأمور إلى طبيعتها تم استئناف العمل فى المدارس والأقسام وأخذت الجماعة تمارس نشاطها بصورة طبيعية.

و يوجد حاليًّا حوالى ستين مدرسة تؤدى دورها الفعال فى التعليم وقد بلغ عدد الطلاب المسجلين إلى الآن حوالى عشرة آلاف طالب كما جاء فى نشرة صادرة عن (الجماعة الاسلامية) فى هذا العام.

وتم إدارة هذه المدارس و يسير العمل فيها عن طريق الرسوم الدراسية بالإضافة إلى الهبات والمنح التى يقدمها الأفراد فى المنطقة بقصد قيام المدارس بدورها فى التعليم.

وتوجد فى هذه المدارس الصفوف الدراسية فى المراحل التعليمية فى المستويات الابتدائية والمتوسطة والثانوية.

أما فيما يتعلق بمسألة تعليم البنات فإن الأمر ليس من الأمور المتاحة الآن ولاهو بالمتيسر بصورة شاملة ولم يتم استئنافه إلى الآن إلا فى مدرسة واحدة فى مدينة (بيجبهارا) وبالنسبة للصفوف الدراسية فى مراحل الطفولة فإنه مسموح الآن بالتعليم المختلط فى المرحلة الابتدائية حاليًّا.

و يبلغ متوسط عدد المدرسين فى كل مدرسة حوالى عشرة مدرسين تتراوح رواتبهم بين أربع مئة إلى سبع مئه روبية شهريًّا أي ما بين ١٨٠ ريالاً الى ٢٩٠ ريالاً سعوديًّا تقريبًا وتقول الجماعة ان جملة الإنفاق المدفوع لهيئة التدريس العاملة فى المدارس سنوياً حوالى ٣٫٦ مليون روبية اي حوالى مليون ومائة وخمسين الف ريال سعودي وأن المبالغ التى تدفع نظير استئجار المدارس حوالى ٢٧٫٠٠٠ «سبع وعشرين ألف روبية».

هذا بالإضافة إلى مركز خاص مستقل للتربية والبحوث الإسلامية تقدر نفقاته بحوالى ٢٫٠٠٠٫٠٠٠ «مليونى روبية» وقد تم تشييد المبنى الخاص به والذى تكلف حوالى نصف مليون روبية.

و يقولون إنه سوف يلحق بهذا المركز بيت للشباب يجرى العمل الآن لإتمام بنائه، وسيكون بمثابة مدرسة داخلية ومركز للبحوث وسيتبع هذا المركز وملحقاته الأخرى من بيت الشباب ومركز البحوث مسجد ومكتبة يتكلف بناؤهما حوالى ٢٫٠٠٠٫٠٠٠ «مليونى روبية» تقريباً.

وفي سياق حديث الجماعة عما انجزوه قالوا:

توجد لدينا صحيفة تسمى «الأذان» تكتسب وضعاً قانونيًّا كصحيفة يومية منذ

عام ١٩٧٥م، ولكننا نقوم الآن بإصدارها بصفة مؤقته كجريدة أسبوعية ونفكر الآن في الحصول على مطبعة باللغة «الأوردية» خاصة بنا لنقوم على مشروع طباعة الكتب الاسلامية و يقولون إن هذه الصحيفة «الأذان» لاتحصل على أي نوع من المساعدة سواء من الحكومة في الداخل أو أي حكومة أخرى وكذلك الحال بالنسبة لسائر إداراتنا وأقسامنا إذ لانتلقى أي نوع من المساعدات الحكومية على وجه الاطلاق. ولذلك فإن أعباء هذه التكاليف تقع على عاتق أعضاء الجماعة مما يثقل كاهلهم مع أن بعض هؤلاء الأعضاء كانوا من الذين أصيبوا بأضرار جسيمة عندما قام بعض الغوغاء من ابناء المسلمين ضد الجماعة بسبب تأييدها للحكم على (علي بوتو) بالاعدام وقدرت الخسائر بما قيمته أربعة ملايين روبية من جراء الحرائق وأعمال السلب والنهب وتدمير الممتلكات والمحاصيل وكانت خسارة فادحة بالنسبة للجماعة.

واخيراً استخدمت الجماعة إدارة للنشر والمعلومات وقالوا ان الهدف منها أن تقوم باصدار بعض الكتب والكتيبات الإسلامية التي تعنى بقضايا الإسلام الأساسية في مواجهة المذاهب والمعتقدات الضالة التي تنتشر من حولنا لأن كشمير تعاني حالياً من وطأة أصحاب المعتقدات والمذاهب الشيوعية ومن الفكر الإشتراكي الذي يحاول دعاته ومروجوه نشر عقائدهم المنحرفة و بث سمومهم و يبذلون في ذلك كل جهدٍ للترويج لأفكارهم وانعاشها بين أهالي الإقليم و يعملون بجهد دؤوب لغرس جذور هذه المذاهب الهدامة بين الأجيال المسلمة على وجه الخصوص.

وتضيف نشرة للجماعة قائلة: نجدنا مدفوعين للقول، بكل صدق، بأن الجماعة الإسلامية هي الوحيدة التي تتصدى لهؤلاء المنحرفين وهي صاحبة الباع الطويل في هذا الميدان وتقوم بمواجهة هؤلاء المنحرفين وكشف عوارهم وبيان أضاليلهم وتفنيد مزاعمهم وذلك بطريق الخطب والأحاديث المستمرة إضافة إلى الكتابة وإصدار النشرات وسائر الأنشطة التي تواجه أمثال هؤلاء من خلالها.

و يقولون إنه بسبب هذا الموقف الذي تتبناه الجماعة ونتيجة لنشاطها الملموس في هذا الجانب نرى أن حكومة الأقليم دائماً تقف لنا بالمرصاد ولا تتسامح معنا في هذا الصدد ومن أجل ذلك تم اعتقال أعضاء الجماعة الإسلامية وزُجّ بهم في غياهب السجون في أعوام، ١٩٦٢، ١٩٦٥، ١٩٧٠، ١٩٧١، ١٩٧٥، ١٩٧٦، وأخيراً في عام

١٩٨٠م لا لسبب ولا لجريمة اقترفوها، وبغير ذنب إلا أن يقوموا بالأعمال التى يمليها عليهم واجبهم الاسلامي و يطالبهم بها ذلك الدين القيم، ولأنهم يعملون للإسلام و بالإسلام بقصد رفع شأنه فى البلاد.

قسم الإغاثة والمعونات:

يتعاون قسم الإغاثة والمعونات عند الجماعة الاسلامية مع قسم الأوقاف و يتم تنسيق العمل بينهما لبذل المعونات والمساعدات للمحتاجين بالإضافة إلى المعوّقين من الرجال والنساء وذلك بصفة مستمرة و يقول رئيس الجماعة اننا نقدم المنح الدراسية ونقوم بتيسير البعثات التعليمية والمنح الدراسية للطلاب المحتاجين إليها بالإضافة الى اعطاء بعض الطلاب الفقراء فرصاً ليتم تعليمهم مجانياً وذلك فى الدوائر المحلية وتصرف بعض المساعدات والمنح إلى الطلاب الذين يغادرون ولاية كشمير ليتلقوا تعليماً عربياً وذلك فى المعاهد العلمية فى داخل الهند و يتم صرف الزكاة فى هذا القسم من اقسام وقطاعات الجماعة الإسلامية وكذلك الأوقاف تدار من قبل بعض الاخوة المسلمين متبرعين فى ذلك دون الحصول على رواتب.

جمعية أهل الحديث:

كانت جمعية أهل الحديث منقسمة إلى منظمتين منفصلتين ولم تستطع الجمعية نتيجة انقسامها أن تقوم بدور بارز في خدمة المسلمين و يرأس أحد شطرى الجمعية مولوى غلام نبي مباركي و يرأس الآخر مولوى نور الدين وهما مدرسان قديران و يعد الأول باحثاً قديراً وكان بامكانها ان يفعلا الكثير من أجل تعليم أولاد المسلمين غير أن نشاطاتها التعليمية محدودة نتيجة الخلافات القائمة بينهما و يقوم هذان العالمان بتنظيم اجتماعات منتظمة في مسجديهما المعروفين لشرح الإسلام لأعضاء منظمتيهما وعامة الناس كما يعقدان مؤتمرات دورية لهذا الغرض. ويحضر هذه المؤتمرات مندبون من مختلف انحاء الهند.

قال بعضهم: سبب كثرة الخرافات بل الأمور الشركية فى كشمير هو كونها كانت هندوكية و بوذية وان تلك من بقاياها هاتين الديانتين ولكن هذا القول يرده أن الهند كلها كانت كذلك فلماذا انفردت كشمير به؟ وقيل بل ان شعب هذا البلد كان متمسكا بتقاليد وعادات جاهلية وأوهام خرافية منذ قرون عديدة ولهذا لم ترسخ

تعاليم الاسلام وعقائده الخالص فى أذهان الناس وفي قلوبهم كما ينبغي.

ولكن الجدير بالذكر أنه قام بعض العلماء الكبار المصلحين في القرون الأخيرة في شبه القارة الهندية وبدأوا دعوة الناس كافة إلى توحيد الله تعالى وإلى السنة النبوية المطهرة وأوضحوا تعاليم الدين الحنيف، ومن بينهم الشيخ احمد السرهندى، والشيخ ولي الله الدهلوى، والشيخ اسماعيل الشهيد، والنواب صديق حسن خان والنواب وحيد الزمان، والعلامة ابراهيم السيالكوتى، والشيخ ثناء الله الأمرتسرى، وغيرهم من العلماء الكبار وقد وصل أرض كشمير بعض هولاء الكبار وكذلك بعض تلاميذهم فبذلوا جهودهم الجبارة لنشر التوحيد الخالص وقاوموا مقاومة شديدة مظاهر الشرك والبدع ولا شك في أنهم واجهوا في سبيل ذلك كثيراً من المصائب والآلام وابلوا بلاء حسنا.

ظهور التوحيد الخالص في كشمير، ونهوض المذهب السلفي:

كانت هناك علاقة بين كشمير وبين بلدان الهند في النواحي الاقتصادية والاجتماعية والعلمية، وزادت هذه العلاقة بارتقاء المواصلات، وتقارب البلدان وبدأت منها الرحلات العلمية إلى المراكز الدينية والمجالس الإسلامية فى وسط الهند وكشمير، ومن هذه المجالس بدأت رغبة تحصيل العلوم الشرعية والتوحيد الخالص فى افراد من الطبقة الدينية الواعية فأرادت هذه الطبقة الدينية الواعية أن تنشر فى منطقة كشمير الدعوة الإسلامية الصحيحة وان يلتزم أهلها بالتوحيد الخالص ويقاوموا العقائد الباطلة والأوهام الخرافية ولكن عدد هؤلاء الأفراد كان قليلا جداً ولم يكن صوت دعوتهم إلى العقيدة السلفية إلا كنور ضئيل في ظلام الليل الحالك، فلاقوا في سبيل هذه الدعوة مالاقوا من الشدائد والمحن، ولكن صبر هؤلاء العظام على كل ذلك، بل قاوموا مقاومة شديدة واستمروا في دعوة الناس إلى التوحيد الخالص وإلى السنة المطهرة.

وأراد الله سبحانه وتعالى أن يعلى كلمة الحق، فزاد اعتناق عامة الناس العقيدة الإسلامية الخالصة وزاد عدد الدعاة والمصلحين في كل مدينة وقرية، وبدأت حركة سلفية، ولكن في صورة الدعوة المنفردة وفي نطاق غير واسع، ومضى على ذلك قرابة

قرن واحد قبل ان تدخل هذه الحركة السلفية المحدودة الى النطاق الاجتماعى المتمثل في انشاء الجمعية.

(تأسيس جمعية أهل الحديث في (جامو وكشمير)

في سنة ١٩٢٤م تأسست هذه الهيئة الدينية العلمية ولاشك أن تأسيسها كان ثمرة جهود الدعاة والمبلغين الذين بدأوا دعوة التوحيد الخالص في منطقة كشمير قبل قرن، وقد بدأت هذه المؤسسة السلفية نشر العقيدة السلفية في نطاق غير ضيق وحسب عمل منظم ولاشك في أنها قامت بدور هام فى مجال دعوة عامة للناس إلى عقيدة التوحيد الصحيح فى ربوع كشمير، وكان أول اسمها «أنجمن أهلحديث» أي جمعية أهل الحديث.

وفي ١٩٤٢م عندما توسعت أعمالها وتغير منهجها سميت هذه المؤسسة بـ «جمعية أهل حديث جامو وكشمير» لأن مثل هذه الجمعية قد بدأت عملها وحركتها الدينية ودعوتها الاصلاحية فى ولاية بنجاب فى أول الأمر فكانت بمثابة الفرع لجمعية اهل الحديث فى البنجاب وتطورت هذه الجمعية المباركة على مر الزمن وخاصة فى الربع الأخير للقرن الرابع عشر، وصارت إدارة معروفة ومؤسسة شهيرة فى كشمير و بخاصة فى الأوساط العلمية و بين مدرسي المعاهد والجامعات، وتطورت من ناحية الدعوة والتعليم وصار لها مبان خاصة فى أمكنة مختلفة من البلاد. والغاية الأساسية من الجمعية أن تنتشر هناك الدعوة الاصلاحية السلفية في كافة الاوساط حتى يطلع الناس على تعاليم الدين الحنيف اطلاعاً تامًّا لانه وإن كانت أكثرية سكان هذا البلد تدين بالإسلام، فإن انواع الشرك والبدع متغلغلة في اذهان اكثر عامتهم.

والحقيقة أن توضيح أحكام الدين المتين وتعاليمه الأساسية فى ظلمات البدعة والأوهام أمر ليس بالسهل ولكن الجمعية اختارت المساجد والجوامع مراكز أساسية فى سبيل ذلك لدعوة عامة الناس إلى التوحيد الخالص وإصلاح التقاليد غير الإسلامية عن طريق القاء المحاضرات الدينية أمامهم عن مبادى الإسلام وتقديم الأمور الأساسية فى أسلوب حكيم عملا بقوله تعالى (أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة).

والمشكل فى الأمر أن موقع هذا البلد الكشميري وفصول السنة فيه تختلف عن

بقية البلاد فى شبه القارة الهندية، ولايمكن أن يستمر التجول فى الدعوة والتبليغ طول السنة، لأن مدة فصل الربيع والصيف قصيرة جدا، و يشتغل عامة الناس فى هذا الفصل بالزراعة والتجارة وغيرهما من أعمالهم، ولذا عمل الدعوة والاصلاح في صورة اجتماعية طول السنة أمر صعب وأحسن وقت للدعوة الإصلاحية في هذه المنطقة هو وقت انتهاء موسم الزراعة، لأن الناس يجدون الفرصة والفراغ فى هذه الأيام و يتوجهون الى المساجد والجوامع و يقضون أكثر أوقاتهم فيها، في هذا الفصل تكون الدعوة أكثر تأثيراً.

أهمية المساجد في الدعوة

يقول إخواننا في جمعية اهل الحديث إن عدد المسلمين الذين لهم علاقة قوية مع جمعية أهل الحديث و يسلكون على مسلكها يبلغ قرابة مائتي الف وأكثرهم يعيشون في القرى والارياف وهم في حاجة ملحة لأن تكون لهم مساجد واسعة لأن المساجد الموجودة في اكثر الأمكنة إما قديمة وأما غير كافية لجميع المصلين.

ولذلك اهتمت الجمعية بتوسيع المساجد وإنشاء مساجد جديدة فى أنحاء مختلفة بوسائلها المالية المحدودة ففي سنة ١٩٨٠م أنفقت الجمعية قرابة مئة ألف روبية اي حوالي اربعين الف ريال على مساجد مختلفة بطريق المساعدة أو القرض للجمعيات التى تقوم عليها. ومن المفروض أن تقوم ا[illegible]عيه بالإشراف على هذه المساجد وعلى توسيع نطاق عمل الدعوة فيها وتعيين الدعاة المبلغين فيها وتوفير الكتب الدينية والجرائد والمجلات الاسلامية فيها، وقد وضعت الجمعية مشروعا ضخما لهذه الغاية النبيلة ولكنه يحتاج إلى مبالغ مالية لاتقوى عليها في الوقت الحاضر.

منظمة انجمن تبليغ الأسلام:

أنشئت هذه المنظمة في عام ١٩٣٥م وسميت بانجمن تبليغ الإسلام بهدف محاربة النزعات الإلحادية والعقيدة القاديانية وإصلاح مجتمع المسلمين وتزويد أولاد المسلمين بمبادئ الإسلام. وكان فتح المراكز التعليمية والكتاتيب جزءا هاما من برنامج نشاطات منظمة تبليغ الأسلام وقد أنشأت المنظمة خلال الثلاثين عاما الماضية عدة مدارس يتعلم فيها مئآت من التلاميذ المسلمين و يقوم عدد كبير من المدرسين بمهمة

التدريس والتعليم في هذه المدارس. وتعتمد المنظمة في ادارة هذه المدارس على تبرعات المسلمين ورسوم التعليم. غير أن الدخل محدود جدا. ولاتحصل منظمة تبليغ الأسلام على أية مساعدة من الحكومة لأن المدارس التي تديرها دينية بحتة.

والمعروف عن هذه الجمعية أنها لاتهتم بتصحيح العقيدة ومحاربة البدع والخرافات وخاصة مايتعلق من ذلك بالأضرحة والقبور والتماس البركة من المقبورين.

وكانت تصدر عن هذه الجمعية مجلة تسمى مجلة (التبليغ) وقد استبدل اسم المجلة أخيرا باسم «الإعتقاد» وأحد الأهداف الرئيسية للجمعية هو تبليغ الاسلام عن طريق القاء خطب ومحاضرات في أماكن مختلفة.

وتدير المنظمة ٤٢ مدرسة في «آننتناك» وهي احدى المديريات التسع لولاية جامو وكشمير و٧ مدارس في بارا مولا و١٠ مدارس في (سرنقر).

وهناك كلية تسمى بالكلية العربية في (سرنقر) وفيها ٤٤ طالبا و٧ مدرسين والمدارس منها ٣٩ مدرسة ابتدائية و باقي هذه المدارس ذات تعليم متوسط وهناك مدرسة ثانوية في إسلام آباد تشرف عليها المنظمة.

ومن وجهة النظر الدينية تترك هذه المدارس آثاراً طيبة على الطلبة في السنوات الأولى من دراستهم لأن كثيرا منهم يستطيعون أن يقرأوا القرآن و يعرفوا المعتقدات الأساسية للإسلام غير أن هناك حاجة فورية لتحسين أوضاع مدارس المنظمة وإلا فإن العمل الطيب الابتدائي الذي قامت به هذه المدارس سيضيع نتيجة ضغط التيارات المعادية للإسلام.

جمعية تبليغ الإسلام:

إن هذه الجمعية انبثقت من منظمة انجمن تبليغ الإسلام التي سلف ذكرها قريباً وقد بدأت هذه الجمعية التي انشئت اخيرا نشاطها باستقلال. وتدير الجمعية عددا من المدارس التي تهتم بالتعليم الديني للأولاد في بعض المناطق التي تتمتع فيها الجمعية بالنفوذ. ويجرى حاليا اعداد دستور الجمعية و يوجد مقرها الرئيسي في سرنقر. وزعماء هذه الجمعية هم بعض المعلمين المعروفين في مجتمع المسلمين بكشمير.

معين الإسلام، سوبور، كشمير:

ليست هذه جمعية لعلماء المسلمين وانما هي جمعية لبعض التجار والمدرسين الذين تألموا لما شهدوه من التدهور في خلق وسلوك الشباب المسلم، فأنشأوا عددا من المعاهد والمدارس لتعليم أبناء المسلمين. وتدير جمعية معين الإسلام كلية للبنات في سوبور ومستوى التعليم فيها يوازى المستوى الجامعي. وتدرس في هذه الكلية حوالي مائتي بنت مسلمة. وللجمعية أيضا مدرستان بمستوى الصف العاشر إحداهما للأولاد الذكور والأخرى للبنات وتقع هاتان المدرستان أيضا في نفس المدينة والشيء الجديد بالذكر هنا أن دراسة المواضيع الأسلامية اجبارية في معاهد الجمعية إلى مرحلة معينة وتدرس اللغة العربية أيضا على مستوى الكلية.

ورئيس هذه الجمعية هو صوفي محمد أكبر وهو زعيم سياسي سابق ورئيس جبهة الاستفتاء وأحد أولئك الذين امتنعوا عن تأييدهم للشيخ/ عبدالله عندما وقع اتفاقا مع رئيسة وزراء الهند السابقة في أكتوبر ١٩٧٤م.

وبالرغم من أن معاهد جمعية معين الإسلام ليست دينية بحتة حيث تدرس فيها العلوم والفنون إلاّ أنها تمتاز بتركيز في نفس الوقت على الدين وتستطيع الجمعية أن تطور معاهدها ومدارسها إذا حصلت على المساعدة المالية.

الوقف التعليمي الإسلامي «سوبور»

أو مسلم ايجوكيشنل ترست، سوبور، وقد أنشأ هذه الهيئة محاضر في إحدى الكليات وهو السيد (غلام رسول باجا) بمساعدة من أصدقائه قبل حوالي عشر سنوات. وتدير الهيئة الآن مدرسة وكلية لتدريب المعلمين والمعلمات والتعليم مختلط في الكلية فأبوابها مفتوحة للرجال والنساء ومعظم المتدربين في الكلية في الوقت الحاضر من غير المسلمين الذين التحقوا بها بدفع رسوم تعليمية كبيرة ويبلغ عدد الطلبة في المدرسة والمتدربين في الكلية الف طالب ومتدرب.

وتشمل المقررات الدراسية على مستوى المدرسة مواد دينية ومن بينها تعليم قرآءة القرآن وتحفيظه غير أن دراسة هذه المواد اختيارية وليست اجبارية وهناك اقتراح لبدء تدريس التاريخ الاسلامي غير أن الهيئة ليست لها سمعة بين المتحمسين للإسلام والمنظمات التعليمية الاسلامية.

مجلس الأوقاف لعموم جامو وكشمير:

هو مجلس قديم له دستور خاص به و يرأسه رئيس الحكومة المحلية الشيخ/ عبدالله وليس هدفه الإصلاح أو نشر تعاليم الإسلام وإنما يهدف الى الحفاظ على ضرائح أولياء الله والمساجد والمباني التي تم التبرع بها في الماضي و يذكر أن مجموع دخل المجلس يقدر بسبعة ملايين روبية.

ومجلس الأوقاف مجلس غني و يرى المخلصون للإسلام أنه كان من واجب هذا المجلس أن يقيم جامعة إسلامية بكاملها.

و يدير المجلس بعض المعاهد والمدارس ومنها مدينة العلوم بحضرة بال في سرنقر وهي كلية يعمل فيها ١٣ مدرساً و يدرس بها ٧٥ طالبًا وتهتم هذه الكلية بتدريس العربية والأدب العربي والموضوعات الإسلامية كالتفسير والفقه والسيرة وتواجه الكلية مشاكل عديدة غير أن المجلس لايعير اهتمامًا لحل هذه المشاكل والسبب الرئيسي في ذلك هو أن رئيس المجلس الشيخ/ عبدالله متردد في انفاق مزيد من الأموال على الكلية لاعادة تنظيمها.

وهناك مدرسة للبنات في خانابار (بسرنقر) يشرف عليها المجلس. وفي المدرسة ٢٣٨ طالبة و ١٦ مدرسة والتعليم فيها حتى الصف العاشر. ومدرستان أخريان في إحداهما ٢٠٠ طالبا و ٨ مدرسين وفي الأخرى ١٥٠ طالبا و ٨ مدرسين.

وتهتم هذه المدارس بتدريس العربية ومبادئ الدين الإسلامي وأجزاء من سيرة النبي صلى الله عليه وسلم والتاريخ الإسلامي. وهذه المدارس لها مصادرها للدخل. غير أن الهيئة الإدارية لا تسهم بمزيد من الأموال في تطوير هذه المدارس.

و يرى المخلصون من المسلمين في كشمير أن هناك حاجة الى إحداث نوع من الثورة في عمل مجلس الأوقاف حتى يتمكن من القيام بدور يليق به في سبيل نشر التعليم الإسلامي والإصلاح الإجتماعي.

هذا وتوجد هناك مدرسة شبه كلية في إسلام آباد بمديرية اننتناغ تسمى الكلية الحنفية و يشغل منصب عميد هذه الكلية هندوكي و يشرف عليها الشيخ/ عبدالله

والتعليم فيها مختلط ويسمح لغير المسلمين بالالتحاق بها وتدرس فيها اللغة العربية والمواضيع الدينية للطلبة المسلمين.

مدرسة العصر الحديث براج باغ (سرنقر):

في ختام الحديث عن المدارس والمعاهد التي تديرها منظمات المسلمين لابد من أن يذكر هنا أن المدرسة المشار اليها مدرسة ذات مستوى عال وواسطة التدريس فيها الإنجليزية ويديرها الحاج الدكتور/ عبدالصمد وهو اخصائى تعليمي متقاعد وقد نال الخبرة في مجال التعليم في لندن.

وهناك مدرسة أخرى تسمى «منتوسركل» ويديرها ابن الحاج عبدالصمد وتعمل هاتان المدرستان بالقرب من مدرسة مسيحية ظلت تجذب الكثير من الأولاد من أسر المسلمين. ويبلغ عدد التلاميذ في هاتين المدرستين ألف تلميذ ولاتهتم المدرستان حتى الآن بتدريس مواضيع إسلامية غير أن شخصا مثقفاً من كشمير أخبرني بأنه اقترح على مؤسس المدرستين البدء فى تدريس موضوعات إسلامية فرحب الدكتور/ عبدالصمد بهذه الفكرة ولكنه أشار بهذا الصدد الى مشكلة ضيق المكان وأنه يستطيع أن يبدأ بتدريس الموضوعات الإسلامية بعد التغلب على هذه المشكلة ويقال إن هاتين المدرستين هما المعهدان الوحيدان اللذان يتمتعان ببعض الحيوية التي تجعلهما تتنافسان مع المدارس التي تديرها الإرساليات التبشيرية.

دائرة الدراسات الإسلامية لجامو وكشمير:

يمكننا هنا تلخيص أهداف الدائرة في نقطتين كما يلي:

١ ــ توضيح الأفكار الإسلامية الخالصة.
٢ ــ بناء السيرة والسلوك حسب الأفكار الإسلامية.

توضيح الأفكار:

تبذل الدائرة كل مجهوداتها لصرف عقلية الشباب المثقف عن الطرق الضالة الضارة الى الطريق المستقيم حتى يمكن بناؤها على خطوط حددها الكتاب والسنة وبث الروح والتوعية فيهم حتى يتمكنوا من البحث والنظر بروح البحث في

الايـديـولـوجـيـات والنظريات الزائفة و يكون في مستطاعهم حل القضايا المعقدة التي سـببتها الحضارة المعاصرة هذا الهدف سام ونبيل ولكنه يحتاج إلى سعي مستمر وجهد متواصل ودائرة الدراسات الاسلامية لا تزال فى أول الطريق.

وحول بناء السيرة والسلوك:

وتهـدف الـدائـرة إلـى بـنـاء سير أعضائها حسب التعاليم الإسلامية ومن الضرورى أولاً للـحـصـول عـلـى هـذا الهـدف ان يـتـعـرف المرء على النظام الإسلامي الصحيح و يـكـون مطلعًا كذلك على جميع أشكال الأفكار الباطلة حتى يكون في وسعه العمل وفق النظام الحق والتصدى لأي باطل في أى شكل ما.

منهج العمـــــــــــل:

تتخذ دائرة الدراسات الإسلامية الطرق والوسائل التالية:

(أ) الحـفـلات: تـعـقـد الحـفـلات والـتـجـمـعـات في فـتـرات محـددة على جميع المستو يات، وتعقد الحفلات الاسبوعية على مستوى الوحدات المحلية بصفة عامة وتلقى فيهـا المحـاضـرات في الـكـتـاب والـسنة وسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم كما تعقد الحـفـلات الـشـهـر يـة على مستوى المدير ية التي تلقى فيها المحاضرات المشار اليها آنفا بـالاضـافـة إلـى عـمـل المحـاسـبـة للأعضاء لغرض تقدير ما قاموا بدراسته من الكتاب والـسـنـة والكتب الإسلامية الاخرى طوال الشهر كما يسئل الاعضاء عن نشاطهم في هـذه الـفـتـرة تجـاه تحـقيق اهداف المنظمة وتعقد الحفلات المماثلة على مستوى الولاية سـنـو يـا عـلاوة عـلـى ذلـك تقوم الدائرة بنوع من الاجتماعات التي تسمى بالحفلات الـتـبـلـيـغية فتوجه الدعوة للحضور الى سكان الحارة حيث يعقد الاجتماع وخاصة الى شـبـابهـا المـسلم ويحاول المشرفون على هذا الاجتماع تعر يف الحاضر ين على اغراض المنظمة وغاياتها وحث المشتركين على القيام بمجهودات احياء الاسلام.

(ب) المطبوعات:

نـظرًا إلى أهمية الكتب الفكر ية الصحيحة تزاول دائرة الدراسات الإسلامية بجمو وكشمير النشاطات المذكورة أدناه بخصوص الطبع والنشر:

١ــ **جريدة ترجمان الحق الأسبوعية:** لا تزال تصدر هذه المجلة من سرنقر بانتظام منذ عشر سنوات.

٢ــ **مجلة اقرأ الشهرية:** بدأت المنظمة بإصدار مجلة عام ١٩٧٨ باسم «اقرأ» وتهتم هذه المجلة بتوفير ما تحتاج إليه الطبقة المثقفة للأمة الإسلامية من غذاء علمي وفكرى و بالإضافة إلى عرض المشكلات التي تتعلق بالشعب الهندي وخاصة الشباب وذلك مع تقديم الحلول الاسلامية الفعالة.

٣ــ **طبع الكتب:** قد قامت الدائرة بطبع ونشر أكثر من اثنى عشر كتيبًا فى اللغتين الانجليزية والاوردية.

٤ــ **المدارس:** جعلت الدائرة لزوما دستوريا على الاعضاء محاولة تأسيس وإدارة المدارس الإسلامية وتقوم الآن على إدارة مدرستين يدرس فيهما الطلاب العلوم الإسلامية من الكتاب والسنة مع الاطلاع على شيء من المعارف الحديثة للعلوم والتكنولوجيا معا.

جمعية الطلبة المسلمين:

وهذه جمعية نشطة ذات فعل مؤثر بين الشبان فى هذه البلاد مما حمل الحكومة الهندية المركزية على أن تحظر عليها أن تتسلم مساعدات مالية من خارج الهند: الا أن ذلك لم يؤثر تأثيراً كبيراً على نشاطها وهى تعمل بالتعاون مع الجمعيات الإسلامية الأخرى النشطة مثل (الجماعة الإسلامية) في جامو وكشمير.

التعليم الديني الإسلامي في كشمير

ان آخر حاكم لكشمير من آل دوغرا (سير هرى سنغ) اثناء فترة حكمة (٤٧ — ١٩٢٥) قد قبل مطالبة الشعب الكشميرى باتخاذ ترتيبات معينة ثابتة لتعليم أولاد المسلمين و يرجع الفضل إلى ذلك في إضافة مقررات دراسية عن الدين الأسلامي واللغة العربية إلى مناهج التعليم في مختلفة المدارس بالولاية. طبقا لحاجة المنطقة الواقعة فيها المدرسة وقد عين ناظراً مسلماً للمدارس وكانت مهمته أن يقدم تقاريره عن التقدم في التعليم إلى الحكومة.

ولما انتقلت السلطة إلى المؤتمر الوطني كان أول عمل قامت به حكومة الولاية برئاسة الشيخ/ عبدالله هو طبع التعليم بطابع علماني و بتعبير آخر أوقف تدريس المواد الدينية وتعليم قراءة القرآن في المدارس الحكومية، وخلال الفترة الأولى من اضطلاعه بمهام الحكومة (٤٨ — ١٩٥٣م) ذهب الشيخ/ عبدالله إلى حد سحب المساعدة المالية من المدارس الإسلامية التي يديرها خصومه السياسيون.

وقد سار خلفاء الشيخ/ عبدالله على نفس هذا الطريق باستثناء شيء بسيط وهو أنهم سمحوا بتعيين مدرسين لتدريس اللغة العربية كمادة اختيارية وأنشأ (بخش غلام محمد) أثناء رئاسته لحكومة ولاية جامو وكشمير الكلية الإسلامية للعلوم والتجارة (سرنقر) في ١٩٦٢م ولكن الموضوعات التي اهتمت الكلية بتدريسها كانت علمانية.

وكانت النتيجة الملموسة التي أسفرت عن السياسة الرسمية للتعليم هي أنه بعد مرور ٢٥ عاماً أصبح معظم المسلمين غير مثقفين بالثقافة الإسلامية ولايعرف كثير منهم المبادئ الأساسية لدينهم والطلبة الذين يدرسون في المدارس التي تديرها منظمات غير رسمية هم الذين يعرفون بعض الشيء عن دينهم ومنهم من يعمل بتعاليم دينهم ومنهم من لايعمل.

حقيقة مؤسفة ومؤلمة فى ذات الوقت وهى ان المؤسسات التعليمية الاسلامية الخاصة فى كشمير التى يجمع بعضها بين التعليم العصرى وعلوم الدين، و يقتصر

البعض منها على تدريس اللغة العربية والقرآن والحديث وعلوم الدين تشهد هى بدورها انحداراً وتدهوراً يهددها بالزوال والانقراض لعوامل مالية وفنية أهمها:

١ ـ العناصر المشرفة على التعليم تعوزها المواهب لإدخال الإصلاحات على نظام التعليم الجامد والفاسد، والجهود التي تبذل فى هذا المضمار تذهب سدى لافتقارها إلى التخطيط السليم.
٢ ـ عند انتقال السلطة إلى المؤتمر الوطنى، كان أول عمل قامت به حكومة الولاية برئاسة الشيخ عبدالله في الفترة ما بين ٤٨ ـ ١٩٥٣ هو سحب المساعدة المالية من المدارس الإسلامية التي يديرها خصومه السياسيون كما سبق، وسار على نهجه من خلفه في الحكم وغدا التزلف والتملق أمراً شائعاً في الوسط التعليمي نتج عنه جيل سيطر عليه القلق واليأس.
٣ ـ تهدم بعض المبانى التعليمية وافتقارها الشديد إلى الآلات والمعدات والتجهيزات والمختبرات العلمية.
٤ ـ الدخول المحدودة للمؤسسات الإسلامية التعليمية التي تنحصر في التبرعات والرسوم الطلابية البسيطة وغلة بعض المباني التابعة لها والمساعدات التي اقرتها فيما بعد حكومة بخش غلام محمد والتي لا تكفى لتحسين حالة المدرسين والطلبة، ولدوام واستمرارية التعليم الإسلامى، وإذا بقيت هذه المشاكل قائمة دون حل فلربما ادت إلى إغلاق العديد من المدارس وبالتالي يفقد القدر اليسير من المنهج الإسلامي الذي يعلم فيها.

وقد أصبحت المدارس والكليات والمعاهد الحكومية بعد عام ١٩٦٢م في حالة يرثى لها. حيث فقد المدرسون إخلاصهم وفعاليتهم فى العمل وأصبحت الكليات مصدرًا لأنواع من البلبلة والقلاقل في الفترة من ١٩٦٥ ـ ١٩٧٥م وكان للوكالات الأجنبية والمرتزقة التابعين لها النصيب الأكبر في إيجاد هذه الأوضاع وفى فبراير عام ١٩٧٥م تولى الشيخ/ عبدالله منصب رئيس الحكومة المحلية للولاية فعاد الهدوء الى الطلبة وشهدت المدارس والكليات نوعا من الاستقرار ولكن الواقع هو أنه ليس هناك إلاّ انضباط ظاهرى لأن نظام التعليم متدهور باستمرار والسبب في ذلك هو أن الأشخاص الذين يديرون النظام التعليمي غير أكفاء تعوزهم المواهب اللازمة لتمكينهم

من إدخال الإصلاحات على النظام الجامد الفاسد ومن هنا تنشأ مشاكل التعليم في الولاية.

ووسط هذا الجو الباعث على اليأس تقوم المعاهد التعليمية الخاصة التي تديرها منظمات المسلمين بعمل مشكور منذ سنوات كثيرة غير أن هذه المعاهد تبذل معظم جهودها بدون تخطيط كما أن هذه المعاهد تواجه عددًا من العقبات والعراقيل التي تضعها في طريقها الجهات الحكومية. و يعد إهمال المسلمين أنفسهم أيضاً عاملاً من العوامل التي تحد من نشاط هذه المعاهد والمدارس الإسلامية.

المعاهد التعليمية الإسلامية:

إن معظم المنظمات الإسلامية التي تديرها المعاهد والمدارس على المستويات الإبتدائية والعالية والجامعية تقع في وادي كشمير. وفي المناطق ذات الأغلبية الإسلامية في جامو توجد هناك بعض المدارس التي تركز على التعليم الديني لأولاد المسلمين والهدف العام الذى تتوخاه المعاهد الإسلامية في الوادي هو اعداد طلبة يجمعون بين العلوم العصرية والعلوم الدينية غير أن بعض هذه المعاهد والمدارس تقصر نشاطها على تدريس اللغة العربية والقرآن والأحاديث النبوية. وفيما يلى بيان بالمنظمات والمعاهد والمدارس التابعة لها:

جمعية نصرة الإسلام بسرى نقر:

أنشأ هذه الجمعية كبير الوعاظ مولوى رسول شاه في عام ١٨٩٩م وكان الغرض الوحيد من إنشاء هذه الجمعية هو إصلاح شعب كشمير المسلم اجتماعيًّا عن طريق التعليم الديني والعصرى وتمكينهم من محاربة قوى الجهل السائد. وقد تلقى بعض كبار زعماء المسلمين تعليمهم في مدارس الجمعية ومنهم الشيخ/ عبدالله الذي تلقي تعليمه الإبتدائى في إحدى هذه المدارس ويرأس الجمعية حاليًّا مولوى محمد فاروق وهناك عدد من المعاهد والمدارس التي تديرها هذه الجمعية القديمة.

(أ) كلية نور الإسلام الشرقية:

أنشئت الجمعية هذه الكلية قبل نصف قرن من الزمن و يوجد فيها الآن

حوالي أربعين طالباً وستة مدرسين ومنهم عميد الكلية وتحتوي مناهج تعليمها للمراحل الثلاث على اللغة العربية والأدب العربي ومقررات دراسية في القرآن والحديث وتعد شهادة مولوى فاضل أعلى شهادة تعطيها الكلية لطالب ينجح في امتحان المرحلة النهائية وتجرى امتحانات هذه الكلية عن طريق جامعة كشمير وكانت نتائج الامتحانات طيبة دائما وفقا لما قاله رئيس جمعية نصرة الإسلام. وكان قد شيد بناية الكلية وتبرع لها بخش غلام محمد الراحل الذى كان رئيس الحكومة للولاية في الفترة من ١٩٥٣م إلى ١٩٦٣م. و يعيش الطلبة والمدرسون عيشة صعبة لأن دار إقامة الطلاب والمدرسين غير صالحة لاقامتهم والمتخرجون من هذه الكلية إماّ يعينون أئمة في المساجد أو مدرسين في المدارس.

(ب) المدارس الأخرى للجمعية:

تدير الجمعية مدرستين عاليتين في سرى نقر يدرس فيهما أكثر من ٨٠٠ تلميذ و يبلغ عدد المدرسين فيهما ٤٢ مدرسًا. وقد سبق أن بلغ عدد الطلبة في إحدى هاتين المدرستين حوالي ١٥٠٠ طالب في بعض الأحيان. والسبب في انكماش عدد الطلاب هو أنهم يتركون التعليم في منتصف الطريق نظرًا للظروف الاقتصادية الصعبة و يلتحقون بالورشات والمصانع للتدريب وهذه نزعة غير طيبة لأن هؤلاء التلاميذ الذين لايكملون دراستهم ينسون المبادئ الأساسية للإسلام.

وهناك ثلاث مدارس متوسطة وثلاث مدارس ابتدائية وأخرى متوسطة تديرها الجمعية في سرنقر و يدرس فيها أكثر من ٥٠٠ طالب و يبلغ عدد المدرسين فيها ٧٣ مدرسًا. وفي هذه المدارس يتقلص عدد التلاميذ باستمرار بسبب الإفلاس المالي لأولياء أمورهم المسلمين وقد طلبت خمس مدارس أخرى صغيرة من الجمعية أن تشرف على أعمالها.

وبالنسبة لموارد الدخل فإن الجمعية تعتمد على المساعدة التي تقدمها حكومة الولاية التي قد بدأها بخش غلام محمد، والتبرعات والرسوم التعليمية التي يدفعها الطلبة وإيجار قليل لبعض المباني والتبرعات التي يجمعها مندوبان

اثنـان للجمعية. ولا تكفي مصادر الدخل هذه لتحسين حالة التلاميذ والمدرسين فإن مباني المدارس والمعاهد التي تديرها الجمعية متهدمة وغرف التدريس خالية من الآلات والتجهيزات اللازمة ومعامل الاختبارات العلمية غير مزودة بالمعدات اللازمة

وجملة القول ان المعاهد والمدارس التي تديرها الجمعية تشهد وضعا من الزوال والانقراض لأسباب مالية وفنية واذا بقيت مشكلات الجمعية دون أن يوجد لها حل وأدت ظروفها المالية إلى اغلاق مدارسها فإنه لن يبقى هناك أيضا ذلك القدر اليسير من تعليم الإسلام الذى يعلم في هذه المدارس.

وجدير بالذكر أن قراءة القرآن ودراسة الدين اجبارية في المقررات الدراسية حتى الصف العاشر في هذه المدارس غير أنه ليس من الضرورى للطالب أن ينجح فى امتحان المواد الدينية.

(جـ) الكلية الإسلامية للعلوم والتجارة:

وقد أنشئت هذه الكلية الجمعية بمساعدة بخش غلام محمد في عام ١٩٦٢م وكان الغرض الوحيد من انشائها هو أن يتمكن اولئك الأولاد الذين لايستطيعون أن يستفيدوا من الكليات الحكومية، من الحصول على التعليم في العلوم والتجارة وقدمت الحكومة مساعدة مالية دائمة لهذه الكلية. وتحمل المسلمون النفقات على المباني التي تحتاج اليها الكلية. و يوجد هناك مجلس حكومي يشرف على الكلية و يرأس المجلس رئيس الحكومة المحلية وفيه تمثيل لجمعية نصرة الأسلام بنسبة (٤٠٪) غير أنه لايحضر اجتماعات هذا المجلس الا عدد قليل من ممثلي الجمعية لوجود خلافات حادة بين رئيس الجمعية مولوى محمد فاروق والشيخ عبدالله، وقد بدأت الكلية فى وقت لاحق بتدريس مواضيع اسلامية وكان ذلك نتيجة جهود بذلها الدكتور الشيخ/ محمد اقبال عندما كان عميداً لهذه الكلية.

التحديـات :

لابد لفهم التحديات والأخطار الفكرية من استعراض موجز للمبادئ الإلحادية والمذاهب المعادية للإسلام ونفوذها بين المسلمين من أبناء كشمير ومدى قدرة

المنظمات الإسلامية على مواجهتها.

الشيوعية والاشتراكية:

ان هناك عدداً محدداً من المثقفين والبارزين من المسلمين في المجتمع الكشميرى يميلون إلى الشيوعية و يعملون على نشرها فبعضهم ينشطون في الكليات والمعاهد التعليمية بحكم اتصالهم بها و يستخدمون نفوذهم في الأوساط التعليمية للتأثير على العقول والأذهان الطيعة للطلبة و بعض هؤلاء الشيوعيين شعراء يقرضون أشعارا تهدف الى نشر الشيوعية ولهؤلاء الشيوعيين اتصال وثيق بالحزب الشيوعي الهندي ولهم مكتب في العاصمة (سرنقر) وهناك أشخاص ليسوا شيوعيين ولكنهم بحكم صداقتهم وعلاقاتهم مع الشيوعيين يخدمون الشيوعية بشتى الطرق.

ان عدد الشيوعيين الأعضاء في الحزب الشيوعي في كشمير محدود جدا ولكنهم يعملون بمنتهى التخطيط والحذر و بعضهم يقومون بز يارات للاتحاد السوفيتي والبلدان الشيوعية التي تدور في الفلك السوفيتي وتوجه اليهم الدعوات عن طريق السفارة السوفيتية في نيودلهي وقد ازداد عدد الدعوات الموجهة إلى الشيوعيين من كشمير لزيارة البلدان الشيوعية اثناء فترة حكم المرأة (انديرا غاندى) و يستورد عملاء الشيوعية كتبا سوفيتية غالية و يوزعونها أو يبيعونها بأثمان رخيصة لترويج الدعاية الشيوعية.

القاديانيــــة:

دخل دعاة القاديانية وادي كشمير قبل تقسيم الهند. وكان لهم نفوذ كبير ونشاط ملحوظ قبل التقسيم ومما سهل مهمتهم هو وقوع قاديان (وهو المكان الذى ينسب اليه ميرزا غلام احمد قادياني ومذهبه) بالقرب من حدود كشمير وكانوا قد حصلوا على مكان للعبادة في (سرنقر) وقد تحول هذا المكان الآن إلى معبدلهم فخم شيد بمساعدة أرسلت للقاديانيين في كشمير من قاديان وفي الماضي كان القاديانيون يصرفون الأموال الهائلة لإغراء الفقراء واستمالتهم إلى مذهبهم الباطل.

ولا تزال هناك بعض القرى في وادي كشمير تنتشر فيها القاديانية مثل (ناس نور) و (ناصر آباد) وحام نجرى وكنيبورا و ياريبوار في منطقة سربيان.

ويقوم بعض البارزين من القاديانيين بتنظيم مؤتمرات وحفلات لرفع معنويات إخوانهم القاديانيين ونشر المذهب القادياني ويقوم حفيد ميرزا غلام منشئ المذهب القادياني ناصر احمد بزيارات إلى المراكز القاديانية في وادي كشمير لتشجيع القاديانيين وحثهم على نشر هذه الدعوة الكافرة.

والجدير بالذكر هنا ان انصار القاديانيين لايكادون يذكرون بالنسبة إلى باقي السكان وأن الجماعة الإسلامية وغيرها من الجمعيات والمنظمات الأسلامية قد اوقفت غزو القاديانية في كشمير بدحض معتقداتها ولاشك في أنه لولا جهود هذه الجماعات والمنظمات لانتشرت القاديانية على نطاق أوسع في كشمير.

البهائيـــة:

أول من زرع بذور هذا المذهب الهدام في كشمير هو المدعو (مولاى عبدالله) الذي كان يدعو أولاً إلى الأحمدية القاديانية ثم اعتنق البهائية وأخذ يدعو الناس اليها.

وقد ظل هذا الشخص مرتبطا بالحركة السياسية للشيخ عبدالله رئيس وزراء كشمير السابق كمرشد له حقبة من الزمن وتوفي عام ١٩٤٩م وحفيده شخص معروف وهو عضو البرلمان السابق ورئيس تحرير مجلة تصدر باللغة الأوردية باسم «آينه».

ومن بين الآخرين الذين اعتنقوا البهائية شخص يعمل في اذاعة كشمير وأكاديمية الفن والثقافة ومحاضر في احدى الكليات وعدد من اصدقائهما.

إن عدد البهائيين قليل جدا وهم يعملون لنشر مذهبهم غير أن نشاطهم محدود جدا. وقد وجدت هذه العناصر التشجيع أخيرا من مؤتمر النساء البهائيات الذى عقد في دلهي في السنة الماضية.

ولكن جهود إخوتنا المسلمين فى كشمير كفيلة بدحر أتباع هذه النحلة الملحدة.

تشويه نقاء الإســـلام :

يوجد في كشمير دراويش منتشرون في مختلف انحاء البلاد يجمعون حولهم السذج

والبسطاء من الرجال والنساء الذين يعتقدون ان هؤلاء الدراو يش قادرون على الإتيان بالمعجزات واعمالهم منافية للشريعة الإسلامية وهناك آخرون يتقنعون بأقنعة الإسلام و يأتون بأفاعيل مثل تعاطي المسكرات والحشيش و يلحقون بذلك ضرراً بالغاً بالإسلام والمسلمين كما أن بعض غلاة الصوفية الذين يدعون الصلاح والولاية يأمرون اتباعهم بالسجود لهم وذلك كله بسبب قلة الوعي العام بأهمية العقيدة السلفية الصحيحة وذكرنا في اليوميات بيان هذا القصور في فهم العقيدة وأن طائفة من الناس يتبركون بشعرة مزعومة من الشيخ عبدالقادر الجيلاني إضافة إلى الذهاب إلى قبور الموتى من الصالحين للتبرك بهم.

أثر الهنادك على المسلمين :

يتعايش المسلمون مع اقلية من هنادكة كشمير الذين يسمون «بانديتس» تعايشا سلميًّا منذ عدة قرون. وقد تفاعلت حضارتا الطائفتين تفاعلا كبيرا فتأثر الهنادكة بعادات المسلمين الظاهرية في الحياة الاجتماعية مثل المأكل والملبس غير أن المسلمين أيضا تأثروا ببعض العادات والتقاليد المتبعة بين الهنادكة في بعض المناسبات كالولادة والزواج والموت مما ادى إلى ابتعاد بعض المسلمين عن القيم الإسلامية النقية والتعاليم الدينية السامية التي تحث على مجانبة العادات الكافرة والبعد عن الأخلاق والعادات غير الإسلامية والتمسك بالأخلاق الإسلامية الكريمة.

وقد أصبح المجتمع الإسلامي في كشمير يعاني من مظاهر هذه الأمراض الاجتماعية وهي أمراض متأصلة الجذور لايرجي شفاء المجتمع الإسلامي منها الاّ اذا قامت هناك حركة اسلامية نقية تتزعمها شخصية دينية قوية تتوافر فيها الصفات التي تحلى بها الإمام المجدد الشيخ/ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله واكرم مثواه.

وهناك أمور مؤسفة تأتي من بعض الشبان المسلمين من كشمير وهو انهم قد يتعلقون بفتيات من الأسر الهندوكية فيتزوجون منهم بعد أن يسلمن إسلاماً ظاهرياً دون الأهتمام بتعريفهن بمبادئ الأسلام ولايخفي مافي ذلك من مضار حيث ان الأطفال الذين يولدون نتيجة هذا الزواج لايتلقون التربية الإسلامية المطلوبة.

ومن ناحية أخرى توجد في مدينة (سرنقر) مدارس يديرها الهنادكة و يتعلم فيها

أيضا أعداد كبيرة من ابناء المسلمين على اعتبار أنها ليست مدارس دينية وليست فيها حصص دينية ونتيجة لذلك فإن الطلبة يتخرجون منها لايعرفون شيئاً عن مبادئ دينهم الإسلامي ويتعللون أو يتعلل أولياء أمورهم بأنهم لايجدون المدارس الإسلامية التي توفر لأبنائهم التعليم المدني الحديث إلى جانب التعليم الإسلامي وبانهم بحاجة إلى التعليم الحديث لكي يجد ابناؤهم الوظائف والأعمال بعد التخرج وقد يتعلل بعضهم بأن ذلك هو فى مصلحة المسلمين على اعتبار أن هؤلاء المتخرجين قد يخدمون أبناء المسلمين عن طريق وجودهم فى الوظائف العامة فى الدوائر الحكومية والشركات.

وهذا الأمر له وجه من الصحة ولكن الأولى هو الجمع بين المصلحتين بتعليم ابناء المسلمين العلوم العصرية إلى جانب الثقافة الإسلامية حتى تكون لديهم البصيرة في الدين وبالتالي توجد فيهم المناعة ضد الذوبان الفكري في المجتمعات الهندوكية الكافرة.

ذلك الذوبان الذي هو أخطر مايهدد المسلمين هنا فى الوقت الحاضر.

دور المسيحية في كشمير:

نظراً إلى تمسك المسلمين الكشميريين بدينهم تمسكاً شديداً قد يسميه بعض الأعداء تعصبًا فإن دعاة المسيحية لايعملون على نشر المسيحية في كشمير بطريق مباشر كما هو معروف عنهم في كثير من البلدان وإنما يسعون إلى اهدافهم عن طريق تقديم الخدمات الطبية والتعليم فقد اقامت الإرساليات المسيحية مستشفيات في (سرنفر) واسلام آباد وبارامولا. كما انشأت مدارس ابتدائية وثانوية في (سرنقر).

ويعالج الأطباء المسيحيون فى مستشفيات الإرساليات المسيحية الفقراء من المسلمين بعناية خاصة ويحاولون التأثير عليهم واستمالتهم الى المسيحية بطرق غير مباشرة.

ويقوم رجال الدين المسيحي من الكنائس بزيارة للمستشفيات بمناسبات مختلفة ويلقون خطبا عن حياة المسيح عليه السلام من وجهة النظر التى يرون انها تخدم دعوتهم.

وتوجد في (سرنقر) ست مدارس يديرها المسيحيون وتملك هذه المدارس مباني فخمة وتقع فى مناطق جميلة و يدرس فيها أولاد الموسرين والأغنياء من المسلمين ومن الهنادكة لأن هذه المدارس تعد ذات مستوى رفيع في التدريس و يبلغ مجموع عدد الطلبة فيها حوالي ٤٠٠٠ طالب معظمهم مسلمون.

وتلقى إدارات هذه المدارس توجيهات من الجهات المسيحية الأجنبية وتوضع المقررات الدراسية لهذه المدارس بحيث لايترك مجال للطلبة المسلمين لدراسة المواد الاسلامية وتعلم القرآن الكريم فى غير أوقات المدارس أيضا لأن هؤلاء الطلبة يطالبون بمذاكرة دروسهم في جميع أوقات الفراغ.

ونتيجة لذلك يكون الطلبة الذين يتخرجون من هذه المدارس لايعرفون شيئا عن الاسلام بينما يلمون بأشياء كثيرة عن المسيحية وبما أن تربيتهم تم على أيدي المسيحيين فان بعضهم لايميلون بعد تخرجهم من المدارس المسيحية إلى معرفة دينهم الإسلامي الحنيف لتعودهم على أسلوب معين من الحياة.

وهكذا فإن طائفة من أبناء المسلمين المثقفين تضيع باستمرار وهذا بدون شك خسارة ظاهرة لايمكن تلافيها إلاّ إذا أنشئت مدارس إسلامية تنافس في مستواها التعليمي المدارس المسيحية.

يتضح مما سبق أن هذا الوضع ناشئ عن عدم توافر الإمكانات اللازمة للتعليم الديني لأبناء المسلمين وتوعيتهم توعية اسلامية صحيحة تمكنهم من استيعاب ما يمتاز به ديننا الإسلامي النقي من محاسن.

غير أن هذا لايعني أنه لاتوجد في كشمير معاهد ومدارس تهتم بتدريس مبادئ الدين والثقافة الإسلامية بل إن هناك عدداً لابأس به من المعاهد والمدارس الإسلامية وهي ذات مناهج مختلفة ومستويات متعددة وتركز اهتمامها على التعليم الديني لناشئة المسلمين غير أن هذه المدارس لاتتمكن من أداء رسالتها على الوجه المطلوب للأسباب التالية:

١ــ العجز المالي.

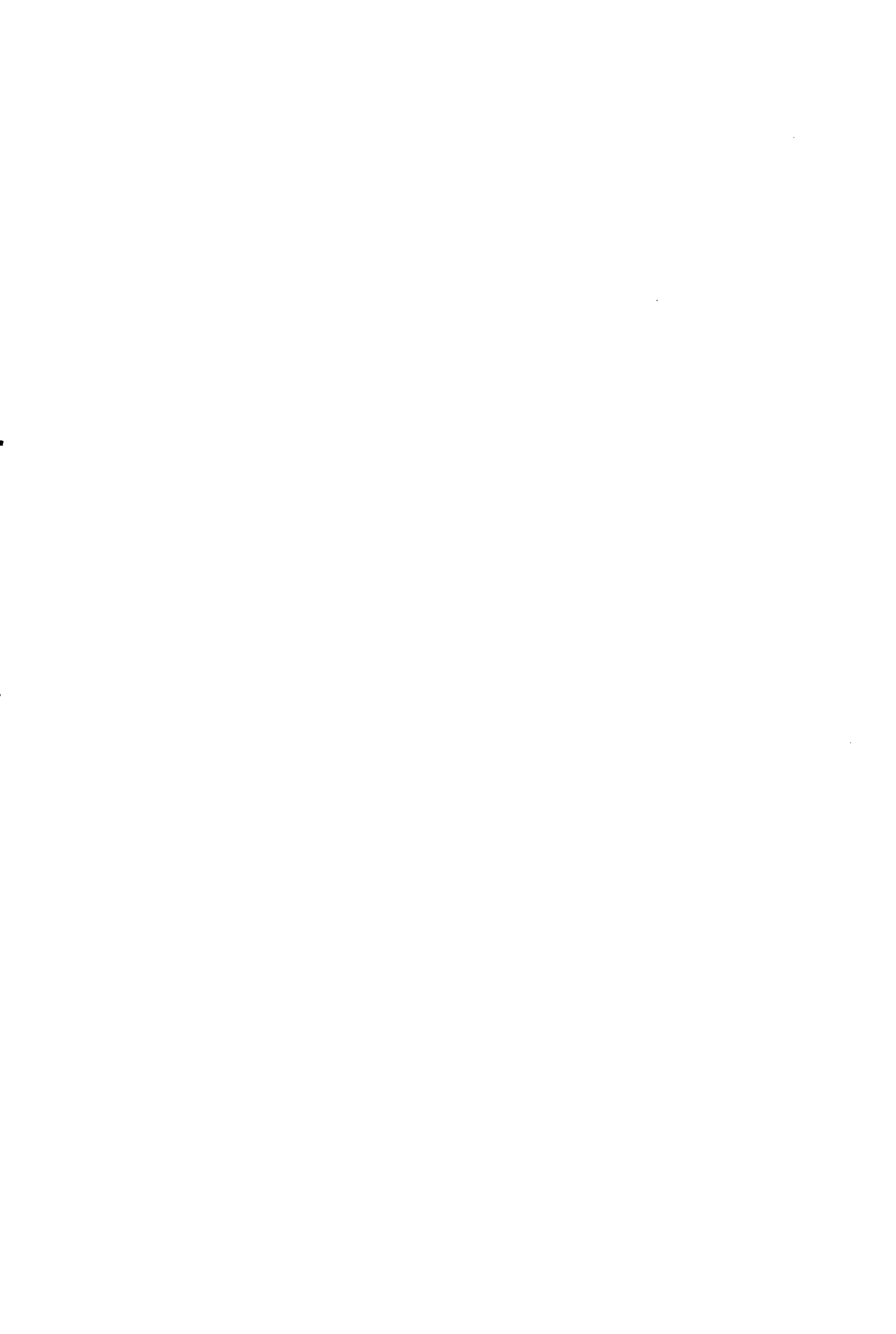
٢ــ انحطاط المستوى التعليمي.
٣ــ عدم توافر الكفاءات في العاملين بها.
٤ــ انعدام التخطيط.
٥ــ عدم تنسيق الجهود التي تبذلها مختلف الجماعات والمنظمات.
٦ــ العقبات التي تضعها الإدارة الحكومية فى طريق هذه المدارس
٧ــ غفلة المسلمين عن القيام بواجبهم نحو التربية الإسلامية لأبنائهم.

الآ أن هذا لاينطبق على المدارس والمعاهد التي تديرها الجماعات والمنظمات الدينية نظراً للظروف غير المواتية التي تعمل فيها والتي لاتجد فيها تشجيعاً من أى جهة في داخل البلاد.

وأما الكليات والمعاهد التي تهتم بتدريس بعض المواد الدينية واللغة العربية إلى جانب المواضيع الرئيسية الأخرى فإنها تحتاج إلى أن تولى مزيدا من الإهتمام لتدريس الموضوعات الإسلامية لأن المستوى الحالي لذلك يكاد يكون في مستوى الصفر.

ولابد من تدعيم الجماعة الإسلامية لكشمير وغيرها من المنظمات والجمعيات الإسلامية التي تقوم بخدمات مشكورة في سبيل دحض العقائد الباطلة ومقاومة حملات المذاهب المضللة رغم قلة امكانات هذه الجمعيات.

نهاية الكتاب ولله الحمد



الفهرس

السياحة

إلى كشمير ثانيـــة

بعد السياحـــــة